المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن
كلية الآداب
قسم الدراسات الإسلامية

الالتفات عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير

(دراسة وصفية تحليلية)

مشروع رسالة علمية مقدَّمة للحصول على درجة الماجستير في تخصص التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالبة:

سمية بنت سمير المنصوري

الرقم الجامعي (٤٣٦٠٠٨١٧٨)

البريد الإلكتروني (suusapple15@gmail.com)

إشراف الأستاذ الدكتور:

أحمد بن علي السديس

العام الجامعي ١٤٣٩- ١٤٤٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[الإسراء: ٨٨].

" وإن كلام رب الناس حقيق بأن يخدم سعيا على الرأس، وما أدى هذا الحق إلا قلم المفسر يسعى على القرطاس، وإن قلمي طالما استن بشوط فسيح، وكم زجر عند الكلال والإعياء زجر المنيح، وإذ قد أتى على التمام فقد حق له أن يستريح ".

محمد الطاهر ابن عاشور

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
Ministry Of Education
Princess Nourah bint Abdulrahman University
(048)
Graduate Studies and Scientific Research Vice-Rectorate
Deanship of Graduate Studies
نموذج (١٦/أ)

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن
(٠٤٨)
وكالة الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي
عمادة الدراسات العليا

اعتماد نتيجة لجنة المناقشة والحكم

(ماجستيـــــر)

نوقشت رسالة الطالبة : _____ بتاريخ / / ١٤هـ وتكونت

لجنة المناقشة والحكم من الأساتذة :

	الاسم	المرتبة العلمية /التخصص	الجهة	صفة العضوية	التوقيع
١.					
٢.					
٣.					
٤.					
٥.					

قرار اللجنة منح الطالبة درجة الماجستير في

تخصص _____ بتقدير

تاريخ موافقة مجلس الكلية على المنح : / / ١٤هـ

وكيلة الكلية للدراسات العليا ختم الكلية عميدة الكلية

جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن
Princess Nourah bint Abdulrahman University

شكر وتقدير

أشكر الله جلَّ وعلا أن يسَّر لي كتابة هذا البحث وأعانني على إتمامه، وأسأله بمنِّه وكرمه أن يجعله خالصًا لوجهه وأن يعمَّ بنفعه، ثم أشكر والديَّ الكريمين على بذلهما ونصحهما وتوجيههما ودعواتهما التي كانت زادًا لي في كل مراحل البحث، فأسال الله تعالى أن يجزيهما عني خيرًا وأن يرحمهما كما ربياني صغيرًا، كما أتوجه بالشكر الجزيل لمشرفي وأستاذي فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ أحمد بن علي السديس، عميد كلية القرآن الكريم في الجامعة الإسلامية حفظه الله؛ فطالما استفدت من توجيهاته ودقة ملحوظاته، واللهَ أسألُ أن يبارك في عِلمه وعمله وذريته، وأتقدمُ بالشكر والتقدير لعضوي المناقشة فضيلة الأستاذ الدكتور ناصر بن محمد المنيع رئيس قسم الدراسات القرآنية بجامعة الملك سعود، وفضيلة الأستاذة الدكتورة لولوة بنت عبدالكريم المفلح أستاذ التفسير من قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن على تكرمهما بقبول المناقشة مع ضيق وقتهما وكثرة أشغالهما، وإني أرحب بكل ملاحظةٍ أو استدراكٍ أو توجيهٍ منهما يخدم هذا البحث، ويأبى الله العصمةَ لكتاب غيرِ كتابه، فبارك الله في علمهما ونفع بهما، والشكر والدعاء موصول لهذا الصرح العلمي الكبير جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، رئاسةً وعمادةً وإدارةً وأعضاءً، وأخص منهم قسم التفسير وعلوم القرآن في كلية الآداب،كما أشكر أيضًا كلية القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وأخص منهم قسم التفسير وعلوم القرآن؛ جعلهما الله منارتين للعلم والعلماء، كما أُسَيّر شكري لرفيق دربي زوجي الذي شجعني على طلب العلم، وتحمَّل معي عبء الدراسة والبحث، وأشكر إخواني وأخواتي وصديقاتي وكل من أفادني في هذا البحث، وأخص منهم صديقتي الأستاذة عالية بنت سعد العتيبي.

ملخص الرسالة

هذه الدراسة بعنوان "الالتفات عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير"، تناولت فيها موضوع الالتفات عند ابن عاشور، وسلكت فيها المنهج الوصفي التحليلي من خلال عرض منهج ابن عاشور في الالتفات ومناقشة بعض أمثلة الالتفات الواردة عنده وتحليلها، واستخراج اللطائف القرآنية والأسرار والفوائد والنكات الناشئة عنه، مع إبراز كلام المفسرين وعلماء توجيه القراءات والبلاغيين للاستعانة به على تدبُّر كلام الله، وقد قسمت البحث إلى قسمين قسم نظري وآخر تطبيقي، وضمَّنت القسم النظري مبحثين، المبحث الأول في مفهوم الالتفات وتحته مطلبان، والمبحث الثاني في عناية ابن عاشور بالالتفات وتحته مطلبان، أما الدراسة التطبيقية ففيها مبحثان، المبحث الأول تناولت فيه الشواهد القرآنية لأقسام الالتفات وتحته ستة مطالب، والمبحث الثاني في المواضع الأخرى التي عدها ابن عاشور من الالتفات، وجاءت هذه الدراسة في مائتين وثلاث وستين صفحة.

الكلمات المفتاحية: الالتفات، الالتفات عند ابن عاشور، الالتفات في التحرير والتنوير.

Abstract

This study is under the title " Ibn Ashour considerations in his book compilation and enlightenment

a descriptive and analytical study

– الالتفات عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير دراسة وصفية تحليلية–

This study handles the matter of considerations as assumed by Iben Ashour, where I adopt the analytical descriptive approach though presenting such process followed by Iben Ashour, discussing, analyzing some examples of such considerations, extracting the Quranic subtleties, secrets and behavioral benefits arising from the Quranic verses, besides highlighting up the words of the interpreters, scholars who guide the recitation / reading of Quran and the rhetoric scholars to help in understanding and managing the Words of ALLAH, also to apply such Words in their life. I have divided the study into two sections, theoretical and applied, I included in the theoretical section, two themes, the first one is in the concept of the consideration under which two requirements, while the second theme speaks about taking care of consideration by Iben Ashour, laying under this theme two requirements. As for the applied study; there are two themes herein, the first theme, I handles the Quranic evidences relating to the sections of the consideration where it contains six requirements, while the second theme hereof handles other subjects that Iben Ashour included within the consideration matter. This study is concluded into two hundred and sixty-three pages.

Keywords: Consideration, consideration assumed by Iben Ashour, consideration of compilation and Enlightenment

المحتويات

المحتوى	الصفحة
شكر وتقدير	ب
ملخص الرسالة	ج
فهرس المحتويات	هـ
المقدمة	٢
التمهيد	١٢
أولًا: التعريف بالإمام الطاهر ابن عاشور	١٣
أ/ اسمه، ونسبه، ومولده، ونشأته، ووفاته	١٥
ب/ منزلته العلمية، وثناء العلماء عليه	٢٠
ج/ مصنَّفاته وآثاره	٢٦
ثانيًا: التعريف بكتابه	٣٣
أ/ اسم الكتاب	٣٤
ب/ مصادر المؤلف في كتابه	٣٥
ج/ قيمة الكتاب، وعنايته بالقضايا النحوية والبلاغية	٤٣
القسم الأول: الدراسة النظرية	٦٤
المبحث الأول: مفهوم الالتفات	٦٥
المطلب الأول: تعريفه لغةً واصطلاحًا	٦٦
المطلب الثاني: أغراضه وفوائده	٨٠
المبحث الثاني: عناية ابن عاشور بالالتفات	٨٤
المطلب الأول: مفهوم الالتفات عند ابن عاشور	٨٥
المطلب الثاني: طرق التعبير عن الالتفات عند ابن عاشور	٨٩
القسم الثاني: الدراسة التطبيقية	٩٥
المبحث الأول: شواهد قرآنية لأقسام الالتفات	٩٦

المحتوى	الصفحة
المطلب الأول: الالتفات من الغَيْبة إلى الخطاب	٩٧
المطلب الثاني: الالتفات من الخطاب إلى الغَيْبة	١٣٦
المطلب الثالث: الالتفات من الغَيْبة إلى التكلُّم	١٦١
المطلب الرابع: الالتفات من التكلُّم إلى الغَيْبة	١٨٢
المطلب الخامس: الالتفات من الخطاب إلى التكلُّم	١٨٧
المطلب السادس: الالتفات من التكلُّم إلى الخطاب	١٩٣
المبحث الثاني: المواضع الأخرى التي عدَّها ابن عاشور من الالتفات	١٩٦
الخاتمة	٢١٠
الثبت التفصيلي	٢١٥
الفهارس	٢٢٦
فهرس الآيات القرآنية	٢٢٧
فهرس الأحاديث والآثار	٢٤٦
فهرس الأعلام	٢٤٧
فهرس الأشعار	٢٥٠
فهرس المصادر والمراجع	٢٥٢

المقدمة

- ❖ الأهمية العلمية للموضوع
- ❖ أسباب اختيار الموضوع
- ❖ هدف البحث
- ❖ الدراسات السابقة
- ❖ خطة البحث
- ❖ منهج البحث

المقدمة

الحمد لله الذي هدى بكتابهِ القلوب، وأنزله في أوجز لفظٍ وأعجزِ أسلوب، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين، محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمَّا بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى قد أنعم على أُمَّة محمد -صلى الله عليه وسلم- بأعظم نِعمة، وأجلِّ مِنَّة، وهي القرآن الكريم، الذي حثَّنا على تدبُّره وفَهْمِه، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [سورة النساء: ٨١]، ولا يتأتَّى ذلك إلا بالوقوف على معاني آياته، ومواطن إعجازه، ودقائق أسراره تدبُّرًا وتفكُّرًا، وإمعان النظر في هذه الآيات، وما تحمله من سياقات، ونَظْم وبلاغة، ومعرفة المراد منها، والعمل بها.

ومِمَّا يُعين على التدبُّر الأمثل للقرآن الكريم: الاستعانة بكتب التفسير المهتمة باستنباط أحكام القرآن، واستخراج فوائده، والكشف عن صور بلاغته؛ فقد قيَّض الله لخدمة كتابه علماء أجلاء، فسَّروه وأبرزوا فصاحته وأساليب بلاغته، ومن هؤلاء العلماء: الإمام الطاهر ابن عاشور -رحمه الله- صاحب كتاب: (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، المعروف اختصارًا واشتهارًا بـ"التحرير والتنوير"، وكتابه هذا يُعَدُّ من أجود الكتب المعاصرة التي تستحق الدراسة؛ لِما أولى الأساليب القرآنية من عناية فائقة؛ من حيث اشتمالها على أفانين البلاغة العربية، وتجلية أوجه الإعجاز فيها، كما وصف ذلك في مقدِّمة كتابه عندما قال: "وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز، ونُكَت البلاغة العربية، وأساليب الاستعمال".

ومن أظهر الأساليب التي تناولها ابن عاشور في كتابه؛ أسلوبُ الالتفات، الذي قصدتُ في بحثي هذا عرض منهجه فيه، ومناقشة بعض أمثلة الالتفات الواردة عنده وتحليلها، واستخراج اللطائف القرآنية والأسرار والفوائد

والنِّكات، مع إبراز كلام المفسرين وعلماء توجيه القراءات والبلاغيين، راجيةً من الله أن يُسهم بحثي في خدمة كتابه، ونفْع عباده، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

- **الأهمية العلمية للموضوع**:

١- يُعَدُّ هذا الأسلوب من الأساليب التي نالت عناية الأئمة المتقدمين، أمثال: أبي عبيدة، والأصمعي، وابن قتيبة وغيرهم، وإن كان بعضهم لم يصرِّح به، وسَمَّاه بمسمًّى آخر، مما يدل على أهميته في إيصال المعاني بأدق صوَرها إلى ذهن السامع أو القارئ.

٢- يُعدُّ الالتفات كذلك أسلوبًا بلاغيًّا من أساليب التعبير البيانية التي تميَّز بها القرآن الكريم، وكثُرَ دورانُه واستعمالُه في سورِها وآياتها، حتى قد نجدُ في الآية الواحدة أكثرَ من التفاتٍ، لا سيما في الضمائر، والأعداد، والأفعال.

٣- أنَّ في أسلوب الالتفات ما يكشف عن أسرار ونكت تُبْرِز إعجاز النص القرآني وجماله.

٤- أسلوب الالتفات يُعين على استقراء الآيات القرآنية، والتعمُّق في فَهْمها لاستخراج اللطائف التدبُّرية، والأسرار والفوائد والنكات.

٥- تبوَّأ هذا النوع من البلاغة القرآنية منزلة كبيرة عند المفسرين كالزَّمَخْشَريِّ، وأبي السُّعود، والآلوسيِّ، وابن عاشور وغيرهم.

٦- الرغبة في التعرُّف على منهج ابن عاشور في الالتفات؛ لكونه أحد أعلام البلاغة الذين أَوْلَوْا هذا الأسلوب عناية واهتمامًا.

٧- هذا الأسلوب معدود من الفصاحة كما ذكر ذلك ابن عاشور، ومما لا شك فيه أنَّ أسلوب القرآن الكريم قد بلغ الغاية في الفصاحة والبلاغة.

٨- تقديم أنواع الالتفات الموجودة في القرآن مع أمثلة له بصورة مبسَّطة وواضحة تسهُل على القارئ.

٩- الرغبة في تأصيل العلوم والفنون البلاغية والأدبية ببحوث مستمَدَّة من القرآن الكريم.

١٠- الرغبة في المشاركة والنهوض بالبحوث التطبيقية المتعلِّقة بالقرآن الكريم.

▪ أسباب اختيار الموضوع:

١- بعد استقراء الآيات القرآنية لفت نظري كثرةُ مواضع الالتفات في كتاب الله عز وجل؛ فرغبتُ في الوقوف على هذا الأسلوب البلاغي الذي يُظْهِر جمال النص القرآني.

٢- وجدتُ أنَّ هذا الأسلوب لقي اهتمامًا كبيرًا من أهل البلاغة؛ فتناولوه من ناحية بلاغية، ورغبتُ المشاركة فيه من ناحية تفسيرية تطبيقية، بعد النظر في سياق الآيات واعتمادي على أقوال المفسِّرين وأهل البلاغة، مما يتيح لي الاطلاع على أمَّهات الكتب في مختلف الفنون اللغوية والأدبية.

٣- تَمكُّن ابن عاشور من علوم اللغة العربية عامة، ومن علوم البلاغة خاصة، وقد كان اهتمامه بهذا النوع من البلاغة ظاهرًا في مقدمة تفسيره، وفي ثنايا كتابه "التحرير والتنوير" (الذي يُعَدُّ أحد كتب التفسير الموسوعية التي تستحق الدراسة من الناحية البلاغية).

٤- جِدَّة هذا الموضوع وحداثته، حيث لم يسبق دراسة هذا الموضوع -على حد علمي- دراسة تطبيقية وافية عند ابن عاشور.

▪ أهداف البحث:

١- بيان اهتمام الإمام ابن عاشور بأنواع الالتفات في القرآن الكريم.

٢- استخراج اللطائف القرآنية والأسرار والفوائد بعد استقراء الآيات التي ورد بها الالتفات، والتعمُّق في فَهْمها للإستعانة بها على تدبُّر كلام الله.

٣- تحليل صور الالتفات، والوقوف على تأثيرها في السياقات التي وردت بها، مع بيان ما ينشأ من الالتفات بسبب تغايُر القراءات، ورأي المفسرين وعلماء التوجيه فيه.

٤- إظهار أوجه الإعجاز في البلاغة القرآنية.

▪ الدراسات السابقة:

وقفتُ على عدَّة دراسات تناولت مفهوم الالتفات في القرآن الكريم، ومنها:

١- أسرار الالتفات في ضوء الذِّكْر الحكيم، تأليف: إبراهيم علي حسن داود، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، تأليف: حسن طبل، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

٣- أسلوب الالتفات في القرآن الكريم (دراسة تاريخية تحليلية وصفية)، تأليف: آدم إدريس محمد، جامعة الخرطوم، رسالة ماجستير.

٤- الالتفات في أساليب القرآن الكريم، تأليف: ربيع محمد عبد المحسن، جامعة الأزهر، رسالة ماجستير، ١٩٨١م.

٥- الالتفات في السبع الطوال من القرآن الكريم (دراسة بلاغية تطبيقية)، تأليف: مريم عبد الصمد ضاما، جامعة تشرين، الدراسات الإسلامية، رسالة ماجستير، ١٩٩٤م.

٦- الالتفات في القران الكريم، تأليف: سلام حسن علوان، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م.

٧- الالتفات في القرآن الكريم، تأليف: عدنان عبد الكريم خليفات، جامعة أم درمان الإسلامية، أصول الدين، رسالة دكتوراه، ١٩٩٨م.

٨- الالتفات في القرآن الكريم، تأليف: مازن موفق صديق الخيرو، جامعة الموصل، رسالة دكتوراه، ٢٠٠٦م.

٩- الالتفات في النصف الأول من القرآن (دراسة تحليلية بلاغية)، تأليف: خديجة محمد بناني، جامعة أم القرى، رسالة ماجستير، ١٤١٥هـ.

١٠- البديع المعنوي في تفسير ابن عاشور (دراسة بلاغية تحليلية)، تأليف: أحمد بن عبدالوهاب عسيري، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، رسالة ماجستير، ١٤٣٠هـ.

١١- الجهود البلاغية لابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير، تأليف: محمد دعدوش نعمان سلهب، عمّان – الأردن، دار قنديل للنشر والتوزيع، ٢٠١٤م.

١٢- الطاهر ابن عاشور وجهوده البلاغية في ضوء تفسيره التحرير والتنوير "المعاني والبديع"، تأليف: رانية جهاد إسماعيل الشوبكي، الجامعة الإسلامية – غزة، رسالة ماجستير، ٢٠٠٩م.

١٣- بلاغة فن الالتفات في القرآن الكريم، تأليف: ظاهر الدين، جامعة بشاور، رسالة دكتوراه، ١٩٩٣م.

١٤- تجلِّيات الالتفات في فضاء الخطاب القرآني، تأليف: نوافل يونس الحمداني، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م.

وقد جاءت دراستي مختلفة عن الدراسات السابقة من عدة أوجه:

١- لم يظهر لي أنَّ هناك من درَس أسلوب الالتفات عند الطاهر ابن عاشور دراسة استقرائية وافية لكافة مواضع الالتفات عنده، ومن تطرق إليه عرض بعض صوره بإيجاز، ومثَّل له بمثال واحد لكل نوع، أما دراستي هذه فحصرَت كافَّة مواضع الالتفات في جدول تفصيلي للمواضع، موضحة به نوع الالتفات الوارد، واسم السورة، ورقم الآية، وموضع ذلك في تفسير ابن عاشور.

٢- الدراسات السابقة للالتفات عنَت بدراسة الالتفات من ناحية نظرية وأخرى بلاغية، لكن دراستي هذه تركِّز على الناحية التطبيقية من خلال عَرْض أكبر قدر ممكن من الأمثلة عند ابن عاشور، مُبْرِزَة ما ذكَره من نُكَت وأسرار.

٣- إنَّ كثيرًا من الدراسات تناولت الالتفات بمفهومه العام؛ من حيث اشتماله على الالتفات في الضمائر، وفي الأفعال، وفي الإفراد والتثنية والجمع، أما دراستي هذه فكانت مقتصرة على المفهوم الخاص، وهو الالتفات بين الضمائر؛ كونه هو المستعمَل عند الإمام ابن عاشور.

▪ خطة البحث:

ينقسم البحث إلى: مقدمة، وتمهيد، وقسمين، وخاتمة، وقائمة الفهارس.

أما المقدمة فضمَّنتها: أهمية الموضوع، وأسباب اختيار الموضوع، وهدف البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهجه.

وأما التمهيد ففيه: التعريف بالإمام ابن عاشور وكتابه، وفيه:

أولًا: التعريف بالإمام الطاهر ابن عاشور:

أ/ اسمه، ونسبه، ومولده، ونشأته، ووفاته.

ب/ منزلته العلمية، وثناء العلماء عليه.

ج/ مصنَّفاته وآثاره.

ثانيًا: التعريف بكتابه:

أ/ اسم الكتاب.

ب/ مصادر المؤلِّف في كتابه.

ج/ قيمة الكتاب، وعنايته بالقضايا النحوية والبلاغية.

تلا ذلك موضوع البحث، وقسَّمته إلى قسمين (نظري – تطبيقي):

القسم الأول: الدراسة النظرية، وفيها مبحثان:

المبحث الأول: مفهوم الالتفات، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: تعريفه لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثاني: أغراضه وفوائده.

المبحث الثاني: عناية ابن عاشور بالالتفات، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الالتفات عند ابن عاشور.

المطلب الثاني: طرق التعبير عن الالتفات عند ابن عاشور.

القسم الثاني: الدراسة التطبيقية، وفيها مبحثان:

المبحث الأول: شواهد قرآنية لأقسام الالتفات، وتحته ستة مطالب:

المطلب الأول: الالتفات من الغَيْبة إلى الخطاب.

المطلب الثاني: الالتفات من الخطاب إلى الغَيْبة.

المطلب الثالث: الالتفات من الغَيْبة إلى التكلُّم.

المطلب الرابع: الالتفات من التكلُّم إلى الغَيْبة.

المطلب الخامس: الالتفات من الخطاب إلى التكلُّم.

المطلب السادس: الالتفات من التكلُّم إلى الخطاب.

المبحث الثاني: المواضع الأخرى التي عدَّها ابن عاشور من الالتفات.

الخاتمة وتضمنت أهم النتائج والتوصيات.

الثبت التفصيلي للمواضع.

قائمة الفهارس.

منهج البحث:

يتناول موضوع البحث دراسة الالتفات عند ابن عاشور دراسة وصفية تحليلية.

- **وأمَّا آلية الدراسة فتتمثَّل في التالي:**

١- عرْض مفهوم الالتفات وأغراضه دون التعريض للخلافات البلاغية؛ فليس هذا محلها، والتركيز على الرأي الراجح، أو رأي الجمهور فيه.

٢- استقراء قضية الالتفات عند ابن عاشور، ورصْد مواضعها، ومِن ثَمَّ تصنيفها وتحليل بعضها ومناقشتها، وذلك بعرضها وتقسيمها حسب نوعها (حيث أُلْحِق البحث بجدول مقسَّم حسب مواضع الالتفات عند ابن عاشور، واسم السورة، ورقم الآية، ونوع الالتفات).

٣- اختيار الأمثلة التي يتناول فيها ابن عاشور مصطلح الالتفات بتقرير، وليس بتعريض أو إشارة أو تلميح.

٤- اختيار المواضع التي يتناول فيها ابن عاشور مصطلح الالتفات ويترتَّب عليها معنًى أو أثر أو غرض.

- **جاءت دراستي للشواهد القرآنية وفق الخطوات التالية:**

١- أُورِد الآية أو الآيتين التي حصل بهما الالتفات، مراعية كتابة الآيات بالرسم العثماني وفق الرواية التي التزمها المصنِّف، وهي رواية قالون.

٢- أعزو الآيات إلى مواضعها في السور.

٣- أبيِّن المعنى العام للآية.

٤- أحدِّد موضع الشاهد الذي وقع به الالتفات.

٥- أُورِد نصَّ كلام الطاهر ابن عاشور المتعلِّق بهذا الموضع مع توثيقه.

٦- أبيِّن القراءات الواردة إن وُجِدَتْ، وأي القراءات وقع فيها الالتفات (وقد اقتصرت في بحثي هذا على القراءات السبع فقط).

٧- أجمع ما جاء من من نُكَت، وفوائد، وأسرار للالتفات من بعض كلام المفسرين (كالزمخشري- وأبي حيان- والبقاعي- وأبي السعود - والآلوسي)، والبلاغيين كابن الأثير، وإن التزم الأمر رجعت إلى غيرهم، معلقةً على كلامهم، ومستنبطةً فوائد جديدة بحسب الإمكان.

٨- تخريج الأحاديث والحكم عليها من مظانِّها.

٩- أعرِّف بالمصطلحات العلمية الواردة في هذا البحث.

١٠- أترجِم للأعلام غير المشهورين الوارد ذِكْرُهم في البحث.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

الباحثة

التمهيد

وفيه:

- أولًا: التعريف بالإمام الطاهر ابن عاشور.
- ثانيًا: التعريف بكتابه.

أولًا:

التعريف بالإمام الطاهر ابن عاشور

وتحته:

- أ/ اسمه، ونسبه، ومولده، ونشأته، ووفاته.
- ب/ منزلته العلمية، وثناء العلماء عليه.
- ج/ مصنَّفاته وآثاره.

التمهيد

إنّ من أجلِّ نِعم الله أن يُقيِّض لكل أمَّة علماء أجلَّاء، وأئمة فضلاء، هم ورثة الأنبياء، يُبلِّغون دينه، ويُقيمون شرعه، فيُصلح الله بهم البلاد، ويهدي بهم العباد، ويكون لهم الأثر العظيم في النهضة العلمية، والفكرية، والأدبية، والإصلاحية في مشارق البلاد الإسلامية ومغاربها.

والمغرب الإسلامي حَظِيَ بأعلام برعوا وساهموا في تدوين العلوم المتنوعة؛ في التفسير، والحديث، والفقه، والأصول، والعربية بفنونها.

ومن أولئك الأعلام الكرام عَلَمٌ شعَّ نوره في تونس، ووصلت أصداؤه العالم الإسلامي، وخلَّدته آثاره، ذلك هو العلَّامة الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور -رحمه الله-، وها أنذا أقدِّم بين أيديكم شذرات من سيرته العَطِرة، مشيرة إلى أهم جوانب حياته بشيء من الإيجاز، ومركِّزة على عنايته بالقضايا البلاغية والتي تَمَسُّ موضوع دراستي هذه، علمًا بأنَّ الدراسات والبحوث لِعَلَمِنا مستفيضة، واسعة الأطراف؛ الأمر الذي أغناني عن التفصيل.

أولًا: التعريف بالإمام الطاهر ابن عاشور
اسمه ونسبه ومولده ونشأته ووفاته

اسمه ونسبه:

هو العلَّامة الإمام محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن محمد بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور[١]، من بيت آل عاشور الأشراف الأندلسيين[٢]، وجدُّه للأب الشيخ محمد الطاهر بن عاشور قاضي الحضرة التونسية وصاحب المؤلَّفات القيِّمة، وجدُّه للأم العلَّامة الوزير الشيخ محمد العزيز بوعتور[٣].

مولده:

وُلِدَ الطاهر ابن عاشور بالمرسى، وهي ضاحية من الضواحي الشمالية للعاصمة التونسية، وكانت ولادته سنة ١٢٩٦هـ - ١٨٧٩م بقصر جدِّه للأم محمد العزيز بوعتور[٤].

نشأته العلمية:

نشأ الطاهر ابن عاشور في بيئة علمية، بين أحضان والدٍ يأمل فيه أن يكون على مثال جدِّه في العلم والنبوغ والعبقرية، وفي رعاية جدِّه الوزير الذي يحرص على أن يكون خليفة في العلم والسلطان والجاه[٥].

---

(١) شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور: ١٤٧، محمد الطاهر ابن عاشور علَّامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه: ٢٢.

(٢) تونس وجامع الزيتونة: ١٢٣، محمد الطاهر ابن عاشور علَّامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه: ٢٢.

(٣) تونس وجامع الزيتونة: ١٢٣.

(٤) ينظر: شيخ الجامع الأعظم: ٣٧، محمد الطاهر ابن عاشور علَّامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه: ٢٥، شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور: ١٤٧.

(٥) ينظر: شيخ الجامع الأعظم: ٣٧.

ولمَّا بلَغ السادسة من عمره اتجه الفتى كأبناء جيله إلى حفظ القرآن العظيم في مسجد سيدي أبي حديد المجاور لبيتهم بنهْج الباشا بتونس، وحَفِظَ مجموعة من المتون العلمية كابن عاشر، والرسالة، والقطر، ونحوها، مما كان يُعْنَى بتلقينه آن ذاك[١]، وتلقَّى الشيخ المبادئ الأولى في قواعد العربية[٢].

ولما بلَغ – رحمه الله– الرابعة عشرة من عمره التحق بجامع الزيتونة[٣] لطلب العلم، وكان ذلك سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، حيث أخذ ينهل من علوم النحو، والصَّرف، والبلاغة، والمنطق من جهة، وعلوم المقاصد؛ كتفسير القرآن، والقراءات، والحديث، ومصطلح الحديث، والكلام، وأصول الفقه، والفقه، والفرائض، من جهة ثانية[٤]، وأضاف إلى ثقافته الواسعة تعلُّم اللغة الفرنسية[٥]، ولعل دراسة الشيخ ابن عاشور بالزيتونة ببرنامجها العميق المتكامل، بالإضافة إلى مطالعاته المتنوعة في شتى العلوم أثرى مداركه العلمية والمعرفية، وكانت ضمن أسباب انطلاقه في مسيرة العلم والمعرفة، إضافةً إلى ذلك انحداره من أسرة عريقة في العلم، فجدُّه للأم الشيخ محمد العزيز بوعتور[٦] الذي كان وزيرًا وعالِمًا فقيهًا، ومن المشاركين في تنظيم التدريس بجامع الزيتونة،

---

(١) ينظر: شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور: ١٤٨.

(٢) شيخ الجامع الأعظم: ٣٧.

(٣) هو أعز وأفخر مؤسسة إسلامية تونسية عمَّت سمعتها المشرق والمغرب، إذ يُعَد من أقدم المعاهد العربية الموجودة بشمال إفريقية، وقد تخرَّج منه أقطاب العلم كالمؤرخ ابن خلدون صاحب الشهرة العالمية، والإمام محمد بن عرفة، وغيرهم، ينظر: صفحات من تاريخ تونس: ٢٨٣-٢٩٤.

(٤) ينظر: شيخ الجامع الأعظم: ٣٧، ٣٨، شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور: ١٤٨.

(٥) ينظر: دائرة المعارف التونسية، الكراس الأول: ٤١، شيخ الجامع الأعظم: ٣٩، محمد الطاهر ابن عاشور علَّامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه: ٢٨.

(٦) محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيب بن الوزير محمد بن محمد بوعتور، أستاذ السياسة ومالك أَزِمَّة التحرير في تونس، عالم فقيه، برع برع في كل العلوم العربية النقلية والعقلية، فأجازه شيوخه للإقراء بالجامع، فأقرأ كتبًا شتى في فنون كثيرة، وكان من طليعة أهل الترجيح والفتوى، وكان كريم الطباع، حسَن الأخلاق، توفي سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وألف.

ينظر ترجمته في: صفحات من تاريخ يونس: ٤٢٢-٤٥١، تراجم المؤلفين التونسيين: ٣/ ٣٥٥.

وبالمدرسة الصادقية[١]، وجمعية الأوقاف، والسجون، والمحاكم الشرعية، وغيرها، والذي أفرغ جهده في تربية وتهذيب حفيده، فكان جليسه في أوقات فراغه، ولقَّنه العلم، والحكمة، والآداب العربية، ومكارم الأخلاق، وفضائل الأعمال، مما جعله في مصافِّ فضلاء الرجال[٢]، وقد وفَّر لحفيده عناية فائقة، فكتب له بخطه نسخة من (المفتاح) للسَّكّاكيّ، ونسخ له متن البخاري في جزء فريد، وجمع له في دفتر كبير نصوصًا من عيون الأدب وأمَّهات الكتب، فكان له المرشد الأمين، والموجِّه القدير في شتى المجالات العلمية والأدبية والإصلاحية[٣].

وكذلك جدُّه للأب ابن عاشور[٤]، الذي كان أحد الأئمة في العلوم النقلية والعقلية، وقد وَلِيَ القضاء، ثم الفُتْيَا، فنقابة الأشراف، وجعل عَلَمُنا بعض أقوال جدِّه من مصادره في تفسير بعض الأقوال أو القضايا الواردة في هذا التفسير[٥]، مما يعني أنَّ لهذا الجد ثقافة دينية واسعة، جعلت حفيده يستظهرها ويسجل ويسجل ما يحتاج إليه منها.

---

(١) هي مدرسة تونسية، لتعليم العلوم العربية وبعض اللغات الأوروبية مع ما يتبعها من العلوم العصرية، وقد افتتحت أبوابها للدارسين في شهر فبراير ١٨٧٥م، وأنتجت نخبة من الشبَّان الذين برعوا في آداب اللغتين العربية والفرنسية، وفي الفنون العصرية، وأدركوا درجات عالية في المعارف، ينظر: صفحات من تاريخ تونس: ٣٠٩-٣٢٣.

(٢) ينظر: صفحات من تاريخ تونس: ٤٤٨.

(٣) ينظر: شيخ الجامع الأعظم: ٤٢.

(٤) هو أبو عبد الله محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور، من بيت شهير بالعلم والشرف والصلاح، كان شهمًا عالي الهمة، ولا يذكر فِقهًا إلا بدليله، يقول الشعر ويجيده، من مصنفاته: حاشية على شرح القطر، وشرح على البردة، وتقاييد على حاشية الشيخ عبد الحكيم على المطوَّل، توفي سنة أربع وثمانين ومائتين وألف.

ينظر في ترجمته: تراجم المؤلفين التونسيين: ٣/ ٣٠٠، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: ٥٦٠/١.

(٥) ومثال ذلك ينظر: التحرير والتنوير: ٦٩/٣.

وساعده في ذلك أيضًا استعداده الفطري، فقد ظهرت عليه علامات الذكاء الوقَّاد، وقوة الحفظ، ونفاذ الهِمَّة[١]، مما جعل صديقه محمد الخضر حسين[٢] يصِفه بقوله: "شبَّ الأستاذ على ذكاء فائق، وألمعية وقَّادة، فلم يلبث أن ظهر نبوغه بين أهل العلم، وقد امتاز بهِمَّة طمّاحة إلى المعالي، وجِدٍّ في العمل لا يمسُّه كلل، ومحافظة على واجبات الدين وآدابه، وبالإجمال ليس إعجابي بوضاءة أخلاقه وسماحة آدابه بأقلَّ من إعجابي بعبقريته في العلم"[٣].

وقال عن نفسه في الكلمة التي ألقاها يوم أخذ جائزة الدولة التقديرية: وإني أحمد الله على أن أودع فِيَّ محبة العلم، والتَّوْق إلى تحصيله وتحريره، والأُنس بدراسته ومطالعته، سجيةً فُطِرْتُ عليها، حتى أصبحتُ لا أتعلق بشيء من المناصب والمراتب تعلُّقي بطلب العلم، ولا آنَس برُفقةٍ ولا حديث أُنسي بمسامرة الأساتيذ والإخوان في دقائق العلم ورقائق الأدب، ولا حُبِّب إليَّ شيء ما حُبِّبت إليَّ الخلوة إلى الكتاب والقرطاس، متنكِّبًا كل ما يجري حولي من المشاغل، فلا تكاليف الحياة الخاصة، ولا أعباء الأمانات العامة التي حُمِّلْتُها فاحتملتها في القضاء وإدارة التعليم حالت بيني وبين أُنسي في دروس تضيء منها بُروق البحث الذكي والفهم الصائب[٤].

---

(١) ينظر: شيخ الجامع الأعظم: ٥.

(٢) محمد الخضر بن الحسين بن علي بن عمر، أديب ولغوي، وله نشاطه في ميدان الدعوة الإسلامية، من أعضاء المجمعين العربيين بدمشق والقاهرة، وممن تولوا مشيخة الأزهر، درس ودرَّس بجامع الزيتونة، وأنشأ مجلة السعادة العظمى، وولي قضاء بنزرت، من تصانيفه: بلاغة القرآن، وتونس وجامع الزيتونة، توفي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة وألف.

ينظر ترجمته في: تراجم المؤلفين التونسيين: ٢/ ١٢٦، أعلام الفكر: ١٩٤، وما بعدها.

(٣) ينظر: تونس وجامع الزيتونة: ١٢٥، ١٢٦.

(٤) ينظر: شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور: ١٦٦، باختصار.

وكان لشيوخه وعلماء عصره أكبر الأثر في تكوين شخصيته العلمية، فقد اكتسب منهم ملَكة علمية، وبثُّوا فيه روحًا إصلاحية، وعمَّقوا ثقافته بشتى العلوم، أمثال الشيخ سالم بوحاجب[١]، والشيخ عمر بن الشيخ[٢]، والشيخ محمد النخلي[٣]، وغيرهم ممن أثَّروا في اتجاهات الطاهر ابن عاشور، وفكره، وتكوين شخصيته.

وفاته:

توفي –رحمه الله– يوم الأحد ١٣ رجب عام ١٣٩٣هـ/ الموافق ١٢ أغسطس ١٩٧٣م، ودُفِنَ بمقبرة الزلاج، عن عمر يناهز ٩٤ سنة، مخلِّفًا وراءه كتبًا، ومقالات، وأفكارًا أضافت بصمة كبيرة على التراث الإسلامي والعربي، رحمه الله رحمة واسعة، وأجزل له المثوبة والجزاء، جزاء ما قدَّم للإسلام والمسلمين[٤].

---

(١) أبو النجاة سالم بن عمر بو حاجب البنبلي، من أعلام عصره، فقيه محقق، ولغوي، وأديب، وشاعر، ومُصلح إسلامي، درس ودرَّس بجامع الزيتونة بتونس، وكان وَلوعًا بمناقشة الآراء وابتكار الأنظار، له قوة في التحليل، وبراعة في النقد والاحتجاج، وإلى جانب ضلاعته من العلوم الشرعية كان ضليعًا من اللغة العربية، عارفًا بعوائد العرب وأنسابهم، من مصنفاته: تقارير على شرح الأشموني على الخلاصة الألفية لابن مالك، وتقارير على شرح صحيح البخاري، توفي بتونس سنة اثنين وأربعين وثلاثمائة وألف.

ينظر ترجمته في: تراجم المؤلفين التونسيين: ٢/ ٧٧، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: ١/ ٦٠٥.

(٢) عمر بن أحمد بن علي بن حسن بن علي بن قاسم المعروف بابن الشيخ، الفقيه، المتكلم، العارف بالفلسفة، الجامع بين المنقول والمعقول، مفتي تونس ونواحيها، شيخ الشيوخ، وعمدة أهل التحقيق والرسوخ، المحرر للفروع والأصول، أفرغ جهده في العلم والتعليم، ودرس ودرَّس في جامع الزيتونة، وكان ضليعًا في العلوم الحكمية، ودقة الفهم، وبراعة التقرير، تولى الوظائف النبيهة، منها: النظارة العلمية، والقضاء، والفُتيا، من مصنفاته: رسائل في مسائل من العلوم، وفهرسة صغرى، توفي سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وألف.

ينظر ترجمته في: تراجم المؤلفين التونسيين: ٣/ ٢١٣–٢١٨، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: ١/ ٥٩٨.

(٣) أبو عبد الله الشيخ محمد النخلي القيرواني، كان نقَّادًا خبيرًا، وأستاذًا كبيرًا، وشاعرًا، ميالًا لتحقيق المباحث، يشار إليه بالرسوخ في العلم، وسعة الاطلاع، وجودة البيان، شعلة في الذكاء وفي المحاضرة، مع فصاحة التعبير والإجهار بما في الضمير، قضى جل عمره قراءة وإقراء، وختم الكتب العالية في فنون شتى، درس ودرَّس بجامعة الزيتونة، وكان عضوًا في الجمعية الزيتونية العاملة على إصلاح التعليم، توفي سنة اثنين وأربعين وثلاثمائة وألف.

ينظر ترجمته في: تراجم المؤلفين التونسيين: ٥/ ٢٦، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: ١/ ٦٠٥.

(٤) ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين: ٣٠٧/٣، شيخ الجامع الأعظم: ٦٨، شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور: ١٦٣.

منزلته العلمية وثناء العلماء عليه

بعد سنوات من الجِدِّ والاجتهاد في التحصيل العلمي الذي كان يتلقَّاه الشيخ بجامع الزيتونة اجتاز مرحلة الدرس إلى مرحلة التدريس، وظهر نبوغه بين أهل العلم، فتدرَّج في حياته العلمية والعملية على النحو التالي:

- في سنة ١٣١٧هـ/١٨٩٦م أحرز شهادة التطويع[١] من جامع الزيتونة[٢].
- ثم فاز في مناظرة التدريس[٣] من الرتبة الثانية سنة ١٣٢٠هـ/١٨٩٩م[٤].
- وفي سنة ١٣٢١هـ/١٩٠٠م سُمِّي مدرِّسًا بالمدرسة الصادقية مع بقائه مدرِّسًا بجامع الزيتونة[٥].
- وقد شارك في مناظرة التدريس من الرتبة الأولى، فنجح فيها سنة ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٣م[٦].
- وفي سنة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٤م سُمِّي نائبًا عن الدولة لدى نظارة جامع الزيتونة[٧].
- ثم عيِّن عضوًا بلجنة النظر في إصلاح التعليم سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م[٨]، وفي نفس العام

---

(١) وشهادة التطويع تعني انتهاء التعليم الثانوي، وتعطى بعد امتحانٍ لمن زاول الدراسة بالجامع الأعظم في المدّة المحددة وشهِد له الشيوخ بذلك، ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه: ٢٨.

(٢) ينظر: تونس وجامع الزيتونة: ١٢٣، تراجم المؤلفين التونسيين: ٣٠٤/٣.

(٣) وهي مناظرة تجرى وينتقل بها المدرّس من مرتبة إلى أعلى، ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه: ١٧.

(٤) تونس وجامع الزيتونة: ١٢٣، تراجم المؤلفين التونسيين: ٣٠٤/٣.

(٥) ينظر: تونس وجامع الزيتونة: ١٢٣، تراجم المؤلفين التونسيين: ٣٠٤/٣.

(٦) ينظر: المرجع السابق.

(٧) ينظر: المرجع السابق.

(٨) ينظر: تونس وجامع الزيتونة: ١٢٤، تراجم المؤلفين التونسيين: ٣٠٤/٣.

عيِّن عضوًا بمجلس الأوقاف الأعلى، وبدأ نشاطه القضائي بصفة حاكم بمجلس المختلط العقاري[١].

- وفي عام ١٣٣١هـ/١٩١٣م أُسْنِدَت إليه خطة القضاء المالكي بعاصمة تونس، ودخل في هيئة النظارة العلمية التي تدير شؤون جامع الزيتونة، وتدرَّج حتى سُمِّي مفتيًا مالكيًّا بالديار التونسية، ثم سُمِّي رسميًّا كبير أهل الشورى (باش مفتي المالكية)[٢].

- وفي عام ١٣٥١هـ/١٩٣٢م صدر الأمر الملكي بتلقيبه شيخ الإسلام[٣] المالكي، وتسويته بزميله (شيخ الإسلام الحنفي) تسوية تامة[٤].

- وفي السنة نفسها صدر الأمر الملكي بتعيينه رئيسًا للنظر في شؤون التعليم بجامع الزيتونة بلقب شيخ الجامع الأعظم، واعتُمد عليه في إصلاح حال التعليم الزيتوني[٥]، إلا أنَّ الشيخ أُبْعِدَ عن مشيخة الجامع في سنة ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م بعد اضطرابات وقلاقل[٦].

- وفي سنة ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م أُعيد الشيخ ثانية شيخًا للجامع الأعظم وفروعه، وواصل تطبيق برنامجه الإصلاحي[٧]، فبذل كل ما بوسعه لإصلاح التعليم الزيتوني، وتطويره، وتنشيط الدروس في كافة الفروع الزيتونية المنتشرة داخل البلاد[٨].

---

(١) ينظر: تونس وجامع الزيتونة: ١٢٤، تراجم المؤلفين التونسيين: ٣/٣٠٤، دائرة المعارف التونسية، الكراس الأول: ٤١، ٤٢.

(٢) ينظر: تونس وجامع الزيتونة: ١٢٤، تراجم المؤلفين التونسيين: ٣/ ٣٠٥، دائرة المعارف التونسية، الكراس الأول: ٤٢.

(٣) وهو لقب تفخيمي تداولته الرئاسة الشرعية بتونس منذ القرن العاشر الهجري، ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه: ٧٩.

(٤) تونس وجامع الزيتونة: ١٢٤، تراجم المؤلفين التونسيين: ٣/ ٣٠٥، دائرة المعارف التونسية، الكراس الأول: ٤١.

(٥) ينظر: تونس وجامع الزيتونة: ١٢٤، دائرة المعارف التونسية، الكراس الأول: ٤٢.

(٦) ينظر: دائرة المعارف التونسية، الكراس الأول: ٤٢.

(٧) ينظر: المرجع السابق.

(٨) أعلام تونسيون: ٣٦٢، ٣٦٣.

- وفي سنة١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م أُبْعِد الشيخ عن مباشرة وظيفته بسبب اضطرابات سياسية، ثم أُعيد لمباشرة شؤون التعليم الزيتوني بلقب شيخ عميد لجامعة الزيتونة سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م[١].

- واخْتِير الشيخ -رحمه الله- عضوًا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٥٠م، وعضوًا في مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٥٥م[٢].

وقد نال الشيخ إجازات في رواية الحديث النبوي، وله أربعة أسانيد:

أولها: ما أجاز له الشيخ محمد العزيز بوعتور في سنة ١٣٢١هـ/ ١٩٠٤م.

وثانيها: ما أجاز له الشيخ محمود ابن الخوجة[٣] في سنة ١٣٢٩هـ/١٩١٢م.

وثالثها: ما أجاز له الشيخ سالم بوحاجب في سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩٠١١م.

ورابعها: أجازه الشيخ عمر بن أحمد المعروف بابن الشيخ، وذلك في سنة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٨م[٤].

وللمترجَم له أوَّلِيَّات يجدر الإشارة إليها؛ وهي مظهر من مظاهر تميُّزه، وعُلُوِّ منزلته، وتفانيه في عمله، فمنها أنه:

١- أوَّل من سُمِّي شيخًا للجامع الأعظم ليتولى الإصلاحات العلمية والتعليمية.

٢- أوَّل من جمع بين منصب شيخ الإسلام المالكي وشيخ الجامع الأعظم (الزيتونة).

---

(١) ينظر: دائرة المعارف التونسية، الكراس الأول: ٤٢، ٤٣.

(٢) ينظر: دائرة المعارف التونسية، الكراس الأول: ٤٣، تراجم المؤلفين: ٣٠٧/٣.

(٣) محمود ابن الشيخ محمد بن أحمد بن الخوجة، الفقيه الحنفي، النحوي، كان فصيحًا مفوَّهًا، وفقيهًا محقِّقًا، ولغويًّا مدقِّقًا، وناثرًا ناظمًا، تولّى التدريس، والإمامة، والخطابة، والفُتيا، من مصنفاته: الحصن الحصين على التبيين، وروضة المقل في مسألة طلاق المختل، توفي سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وألف.

ينظر ترجمته في: تراجم المؤلفين التونسيين: ٢٦٢/٢.

(٤) ينظر: دائرة المعارف التونسية، الكراس الأول: ٤١.

٣- أوَّل من لُقِّب بشيخ الإسلام.

٤- أوَّل من أدخل إصلاحات تعليمية وتنظيمية في الجامع الزيتوني في إطار منظومة تربوية وفكرية.

٥- أوَّل من تقلَّد جائزة الدولة التقديرية للدولة التونسية، ونال وسام الاستحقاق الثقافي[١].

فهذه بعض من أوَّليَّاته، وكفاه شرفًا وفخرًا أن أفنى عُمرًا في العناية بكتاب الله وتفسيره، وقد نال الشيخ منزلةً كبيرةً بين قرنائه وتلامذة عصره، فقد جاء في وصفه أنه كان فريدًا مع تقدُّم السن في حضور واستحضار ما يُسأل عنه من مسائل، حيث يُبين ويشرح الوجوه المختلفة وكأنه يقرأ في كتاب، وهذا شأنه في كل ما يُسْأَل عنه من قضايا العلم اللغوي أو الشرعي، وكان خزانة عِلم تنتقل، يجِد لديه كل طالب بُغْيَته، أعانه على حصول ذلك وبلوغ المرتبة العالية العجيبة فيه اشتغالُه المتواصل بالمراجعة والتدريس والتحقيق والتأليف، مع صِحَّة ذهن، وجودة طبع، وقوة عارضة، وطلاقة لسان، وكان صبورًا على المِحَن، فلم يشْكُ من أحد، رغم الحملات التي أُثيرت ضده، ولم يُعْثَر في نقده العلمي على ما يمس الذوق أو يخدش الكرامة، عفُّ اللسان، كريم، مُحِب لأهل العلم ولطلبته ولمن كان أهلًا للمحبة، وكان في مناقشاته العلمية لا يجرح أحدًا، ولا يحطُّ من قدره، فإذا لاحظ تهافتًا في الفكر لَمَّح إلى ذلك تلميحًا، ولم يوجد في خصوماته الفكرية ما يمس شخصية أحد قط، فكان الشيخ قدوةً ومنارةً علمية يُحتذى بها، ومثالًا للتعمُّق في الفكر كما شهِد بذلك كل من عاصره[٢]، وقد جاد الشيخ في معاملاته وأخلاقه، فكان كثير الإحسان إلى مساعديه من المستكتِبين

(١) ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه: ٧٨-٨٠، باختصار.

(٢) وهذا من وصف تلميذه الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة، ينظر: شيخ الجامع الأعظم: ٦٤، بتصرف.

والعَمَلَة[١] ، وجاء مِن وَصْفِه أيضًا أنه لم يُعْرَف مثله بين معاصريه أو طلابه، أو من كان في درجتهم من أهل العلم؛ إذ كان انكبابه على الدرس متميزًا، واشتغاله بالمطالعة غير منقطع، مع عناية دائمة مستمرة بالتدوين والكتابة، وتقديم ما يحتاج إليه الناس من معارف وعلوم، وأذواق وآداب، وملاحظات وتأملات؛ فلا بِدْعَ إذا اطَّردت جهوده واستمر عطاؤه في مختلف مجالات الدرس والثقافة في حقول المعرفة الشرعية والدينية، وفي الدراسات اللغوية، وفي معالجة أوضاع التعليم بالزيتونة، والعمل على إصلاحها، مع ذبِّه عن الإسلام أصوله وآدابه، وتطلُّعه كل يوم إلى مزيد من المعرفة بكل ما يمكن أن يقع تحت يده من كتب فريدة، ومخطوطات ومصنَّفات في شتى العلوم والفنون[٢] .

وقد وهبه الله متانة عِلم، وسعة ثقافة، وعُمق نظر، وقدرة لا تفتر على التدوين والنشر، وملَكات نقدية يتضح أثرها في طريقة الجمع بين الأصول والتعريفات، وما يلحق بها من ابتداعات وتصرُّفات، وهكذا صدرت مقالاته وتحقيقاته وبحوثه وتآليفه، متدفقة متوالية من غير انقطاع أو ضعف، فنُشِر ما نُشِر، وبقي الكثير منها محفوظًا بخزانة آل عاشور ينتظر من يتولى نشره، وطبعه، وتحقيقه[٣] .

وعن ذلك الأثر الذي تركه ابن عاشور نجد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي[٤] يصِفُه فيقول: "الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور عَلَمٌ من الأعلام الذين يَعُدُّهم التاريخ الحاضر من ذخائره، فهو إمام

---

(١) ينظر: شيخ الجامع الأعظم: ٦٤.

(٢) ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور علّامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه: ٨٤، بتصرف.

(٣) محمد الطاهر ابن عاشور علّامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه: ٨٤، ٨٥.

(٤) محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، كان عالِمًا شاملًا، تعمَّق في كثير من فنون العلم والمعرفة بالإضافة إلى علوم الدين، وكان كاتبًا، وخطيبًا، وصحافيًّا، وأستاذًا، وإمامًا، ومفسِّرًا للقرآن، وكان معلمًا للتاريخ الإسلامي ببراعة تحليل وسعة نظر، يتطرق إلى فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع والأخلاق، وأستاذًا في اللغة والآداب العربية، وكان مع هذا كله قدوة في سهولة المعاملة والاتصال، بشوشًا مرحًا في مَجالسه، من تصانيفه: الكلمات المظلومة، والشاب الجزائري كما تمثله لي الخواطر، توفي سنة خمس وثمانين وثلاثمائة وألف.

=

متبحِّر في العلوم الإسلامية، مستقل في الاستدلال لها، واسع الثراء من كنوزها، فسيح الذراع بتحمُّلها، نافذ البصيرة في معقولها، وافر الاطِّلاع على المنقول منها، أَقْرَأَ وأفاد، وتخرَّجت عليه طبقات ممتازة في التحقيق العلمي، وتفرَّد بالتوسع والتجديد لفروع من العلم ضَيَّقها المنهاجُ الزيتوني، وأبلاها الركود الذهني، وأنزلتها الاعتبارات التقليدية دون منزلتها بمراحل، فأفاض عليها هذا الإمام من روحه وأسلوبه حياةً وجِدَّة، وأشاع فيها مائيةً ورونقًا، حتى استرجعت بعض قيمتها في النفوس، ومنزلتها في الاعتبار، هذه لمحات دالَّة -في الجملة- على منزلته العلمية، وخلاصتها أنه إمام في العمليات لا يُنازع في إمامته أحد"[1].

=

ينظر ترجمته في: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي: ١/١٨.

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية: ١٨، ١٩.

مصنفاته وآثاره[١]

خلَّف ابن عاشور ذخائر متنوعة وآثارًا نفيسة من المؤلفات المتميزة في مختلف العلوم الشرعية والعربية والأدبية، شملت كتبًا، ومقالات، وبحوثًا، ودراسات، منها المطبوع، ومنها الذي لم يطبع بعد، وهي تكشف بحق عن موسوعيته لكثير من المعارف الإسلامية والأدبية، ويمكن عرضها كالتالي:

أ- من مؤلفاته في العلوم الإسلامية:

١- التحرير والتنوير[٢].

٢- مقاصد الشريعة الإسلامية[٣].

٣- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام[٤].

٤- أليس الصبح بقريب[٥].

٥- الوقف وآثاره في الإسلام[٦].

٦- كشف المغطَّى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطَّأ[٧].

---

(١) ينظر: شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور: ٣١٢ وما بعدها، شيخ الجامع الأعظم: ٦٨-٧١، محمد الطاهر ابن عاشور علّامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه: ٩٢-٩٤.

(٢) مطبوع.

(٣) مطبوع.

(٤) مطبوع.

(٥) مطبوع.

(٦) مطبوع.

(٧) مطبوع.

٧- قصة المولد[١].

٨- تحقيقات وأنظار في الكتاب والسنة[٢].

٩- ردٌّ على كتاب "الإسلام وأصول الحكم" تأليف: علي عبد الرازق[٣].

١٠- فتاوى ورسائل فقهية[٤].

١١- التوضيح والتصحيح في أصول الفقه[٥].

١٢- النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح[٦].

١٣- تعليق وتحقيق على شرح حديث أُمِّ زَرْع[٧].

١٤- قضايا شرعية وأحكام فقهية وآراء اجتهادية ومسائل علمية[٨].

١٥- آمال على مختصر خليل[٩].

١٦- تعاليق على المطوَّل وحاشية السيالكوتي[١٠].

---

(١) مطبوع.

(٢) مطبوع.

(٣) مطبوع.

(٤) لم يطبع.

(٥) مطبوع.

(٦) مطبوع.

(٧) لم يطبع.

(٨) لم يطبع.

(٩) لم يطبع.

(١٠) لم يطبع.

١٧- أمالٍ على دلائل الإعجاز[١].

١٨- أصول التقدم في الإسلام[٢].

١٩- مراجعات تتعلق بكتابي مُعْجِز أحمد واللامع للعزيزي[٣].

ب- من مؤلفاته في اللغة العربية وآدابها:

١- أصول الإنشاء والخطابة[٤].

٢- موجز البلاغة[٥].

٣- شرح قصيدة الأعشى في مدح المحلق[٦].

٤- شرح ديوان بشار[٧].

٥- الواضح في مشكلات المتنبي لابن جنِّي[٨].

٦- سرقات المتنبي[٩].

---

(١) لم يطبع.

(٢) لم يطبع.

(٣) لم يطبع.

(٤) مطبوع.

(٥) مطبوع.

(٦) مطبوع.

(٧) مطبوع.

(٨) مطبوع.

(٩) مطبوع.

٧- شرح المقدمة الأدبية للمَرْزُوقِي على ديوان الحماسة[١].

٨- تحقيق فوائد العقيان للفتح بن خاقان مع شرح ابن زاكور[٢].

٩- ديوان النابغة الذُّبْيَاني (جمع وشرح وتعليق)[٣].

١١- تراجم لبعض الأعلام[٤].

١٢- تحقيق كتاب الاقتضاب للبَطَلْيَوْسِيّ مع شرح كتاب أدب الكاتب[٥].

١٣- جمع وشرح ديوان سحيم[٦].

١٤- شرح معلقة امرئ القيس[٧].

١٥- تحقيق لشرح القرشي على ديوان المتنبي[٨].

١٦- غرائب الاستعمال[٩].

١٧- تصحيح وتعليق على كتاب الانتصار لجالينوس للحكيم ابن زهر[١٠].

---

(١) مطبوع.

(٢) مطبوع.

(٣) لم يطبع.

(٤) لم يطبع.

(٥) لم يطبع.

(٦) لم يطبع.

(٧) لم يطبع.

(٨) لم يطبع.

(٩) لم يطبع.

(١٠) لم يطبع.

١٨- شرح ديوان الحماسة لأبي تمام[١].

ج- إنتاج الشيخ العلمي في الدوريات الثقافية:

ساهَم ابن عاشور -رحمه الله- بالكتابة في المجلات والصحف والدوريات، نذكر منها:

- السعادة العظمى.
- المجلة الزيتونية.
- هدى الإسلام.
- مصباح الشرق.
- مجلة الهداية الإسلامية.
- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
- مجلة المجمع العلمي بدمشق.
- المنار.
- الرسالة.

ومن الصحف التي حفلت بفتاويه:

- الزهرة.
- النهضة.
- الوزير.

---

(١) لم يطبع.

- الصباح.
- الفجر.

ولابن عاشور مؤلفات أخرى لم تُطْبَع بعد[١]، وإلى جانب تأليف الكتب اشتغل الطاهر ابن عاشور بصُنع الرجال، فقد تخرَّج على يديه أعلام كثيرون، كالإمام عبد الحميد بن باديس[٢] باعث النهضة الجزائرية، والشيخ البشير الإبراهيمي، وابنه الفاضل محمد الفاضل[٣]، وأعلام كثيرون في مختلف أقطار المغرب العربي[٤].

وهكذا قضى ابن عاشور عمره كله خادمًا للعلم؛ معلِّمًا، ومحقِّقًا، ومؤلِّفًا، ولا عجب أن يبلُغ عَلَمُنا هذا المبلغ الرفيع من المعرفة والدرس والعلم، وهو القائل: "إنَّ مزية العلم، وشرفَ الانتساب إليه، أمرٌ بَلَغ من اليقين والضرورة مبْلغًا يَقْصُر عنه البيان، وينتقص قدرَه محاولةُ إقامة البرهان، بعد أن توَّجه الله تعالى بكتابه الكريم، وهو

---

(١) تونس وجامع الزيتونة: ١٢٦.

(٢) عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس، رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، أتمَّ دراسته في جامع الزيتونة بتونس، واشتغل بالسياسة، وصارع الاستعمار الفرنسي، واضطُهد وأوذي، وأصدر مجلة الشهاب، وله تفسير القرآن الكريم، توفي سنة تسع وخمسين وثلاثمائة وألف.

ينظر ترجمته في: معجم المؤلفين: ١٠٥/٥.

(٣) محمد الفاضل ابن الإمام محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، أحد الأئمة الأعلام في تاريخ تونس المعاصر، ومن أعلام الفكر الإسلامي الحديث، الموسوعي الثقافة، والخطيب اللامع، والسياسي المحنك، كان فذًّا بين مدرِّسي الزيتونة، لا يشاركه أحد في سعة معارفه وثقافته الحديثة وغزارة اطِّلاعه وسُمُوّ أخلاقه، وكان عضوًا بمجمع اللغة العربية في القاهرة، من مصنفاته: أركان النهضة الأدبية بتونس، وأعلام الفكر الإسلامي في المغرب العربي، توفي سنة تسعين وثلاثمائة وألف.

ينظر ترجمته في: تراجم المؤلفين التونسيين: ٣١٠/٣.

(٤) ينظر: المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير: ٢٥.

الذي علَّم مَن لم يكن يعلم، وزكَّى رسوله بأنه على خُلُق عظيم، وصراط مستقيم، فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾[سورة طه:١١١]، قولًا جعل طلب العِلم والحرص عليه والاستزادة منه أعظم مطلوب لأشرف موجود"[1].

(١) شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور: ٢٣.

ثانياً: التعريف بكتابه

وتحته:

- أ/ اسم الكتاب.
- ب/ مصادر المؤلف في كتابه.
- ج/ قيمة الكتاب، وعنايته بالقضايا النحوية والبلاغية.

ثانياً: التعريف بكتابه

اسم الكتاب

أسماه مؤلِّفه الطاهر ابن عاشور في تمهيد كتابه حين قال: "وسَمَّيته (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، واختصرتُ هذا الاسم بِاسم (التحرير والتنوير من التفسير)"[(١)].

ثم اشتهر هذا التفسير باسم (التحرير والتنوير)، و(تفسير التحرير والتنوير)، و(تفسير ابن عاشور).

(١) التحرير والتنوير: ١/٨، ٩.

مصادر المؤلف في كتابه

إنَّ سعة اطلاع ابن عاشور وكثرة حفظه وتعمُّق قراءته، مع ما اكتسبه -رحمه الله- من علم وخبرة وذوق ومَلَكَة جعلت تفسيره حافلًا بالمصادر الجمَّة من العلوم المتنوعة والفنون المختلفة، المتعلقة بكتب التفسير، وعلوم القرآن، والقراءات، والفقه وأصوله، واللغة، والنحو، والبلاغة، والعقيدة، والفِرَق، والتاريخ والسِّيَر، وغيرها مما جعل تفسيره أشبه بالموسوعة، وقد ذكَر ابن عاشور في مقدمته الثانية من تفسيره أهم مصادر التفسير التي اعتمدها، والتي منها: تفسير الكشّاف للزَّمَخْشَريّ، والمحرَّر الوجيز لابن عَطِيَّة، ومفاتيح الغيب لفخر الدين الرّازِيّ، وتفسير البَيْضاوِيّ، وما كتبه الطِّيبيّ والقَزْوينيّ والقُطْب والتَّفْتازانيّ على الكشّاف، وما كتبه الخَفَاجيُّ على تفسير البَيْضاوِيّ، وتفسير أبي السُّعود، وتفسير القُرْطُبيِّ، وتفسير الإمام محمد بن جرير الطَّبَريّ، ودُرَّة التنزيل المنسوب لكل من فخر الدين الرّازِيّ والرّاغِب الأَصْفَهانيّ[(١)].

وعقِب ذِكْرِه لهذه المصادر صرَّح -رحمه الله- بأنه قد يُعْرِض عن العزو إلى بعضها اختصارًا[(٢)]، مما يجعل من الصعوبة بمكان الإلمام بكل هذه المصادر وحصْرها، خاصة على اتساع هذا التفسير وكثرة أجزائه.

والمتأمِّل في هذا التفسير يظهر له عدد كبير من المصادر التي أخذ عنها ابن عاشور على اختلاف طريقته في العزو إليها، فقد يذكر اسم الكتاب فقط[(٣)]، أو يذكر المؤلِّف دون اسم الكتاب[(٤)]، أو يذكر اسم الكتاب والمؤلِّف معًا[(٥)].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١/٧، باختصار.

(٢) ينظر: المرجع السابق.

(٣) ومثال ذلك ينظر: المرجع السابق: ١٠/٢٧٣.

(٤) ومثال ذلك ينظر: المرجع السابق: ١/٧٠١.

(٥) ومثال ذلك ينظر: المرجع السابق: ١/٥٢٥.

وفيما يلي عرض لبعض المصادر المتنوعة التي استقى منها تفسيره:

أ/ من مصادره من كتب القراءات وعلوم القرآن:

الرقم التسلسلي	اسم الكتاب	اسم المؤلف وسنة وفاته	رقم الجزء والصفحة في التحرير والتنوير
١	الإتقان في علوم القرآن	السُّيوطيّ (ت ٩١١هـ)	٢١٣/٢٦، ٨٩/١٩
٢	أسباب النزول	الواحِدي (علي بن أحمد) (ت ٤٦٨هـ)	٣٥٨/١، ١٩٧/٢
٣	إعجاز القرآن	محمد بن الطَّيِّب الباقِلّانيّ (ت ٤٠٣هـ)	١٠٢/١، ٣٤٧/١
٤	تقريب المأمول في ترتيب النزول	إبراهيم بن عمر الجَعْبَريّ (ت ٧٣٢هـ)	٩٠/١
٥	حرز الأماني	أبو القاسم الشّاطِبيّ (ت ٥٩٠هـ)	٢٠٩/٢٦
٦	دُرَّة التنزيل وغرة التأويل	الرّاغِب الأَصْفَهانيّ (ت ٥٣٥هـ)	١٩٢/٢٧
٧	طبقات المفسرين	الدّاوُودي (ت ٩٤٥هـ)	٨٩/١٩
٨	العدد	أبو عمرو الدّاني (ت ٤٤٤هـ)	٧٧/١
٩	القراءات	ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ)	٤٤٥/٣٠
١٠	المرشد الوجيز	أبو شامَة (ت ٦٦٥هـ)	٥٩/١

ب/ من مصادره من كتب الحديث وعلومه وشروحه:

الرقم التسلسلي	اسم الكتاب	اسم المؤلف وسنة وفاته	رقم الجزء والصفحة في التحرير والتنوير
١	الجامع الصحيح	الإمام البُخاريّ (ت ٢٥٦هـ)	١٨٠/١٢
٢	الجامع الصحيح	الإمام مسلم (ت ٢٦١هـ)	٣٥٩/٣٠
٣	سنن ابن ماجه	ابن ماجه القَزْوينيّ (ت ٢٧٣هـ)	٢٥٩/١٤
٤	سنن أبي داود	أبو داود (ت ٢٧٥هـ)	٢٤٥/٤
٥	سنن التِّرْمِذيّ	التِّرْمِذيّ (ت ٢٧٩هـ)	٣٠٨/٢١، ٢٤٠/٢
٦	سنن الدّارَقُطْنِيّ	الدّارَقُطْنِيّ (علي بن عمر (ت ٣٨٥هـ)	٤١٩/٢
٧	سنن البَيْهَقيّ	البَيْهَقيّ (أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ)	١٥٤/١
٨	سنن النَّسائيّ	النَّسائيّ (ت ٣٠٣هـ)	٤٠٤/٢
٩	شرح النَّوَوِيّ على صحيح مسلم	النَّوَوِيّ (يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ)	١٠١/٢٢، ١٢٧/٣
١٠	فتح الباري	ابن حَجَر العَسْقَلانيّ (ت ٨٥٢هـ)	٢٠١/١
١١	المستدرك	الحاكم (محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥هـ)	٨-أ/١٧٤
١٢	مسند الإمام أحمد	أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)	٦٩/٦
١٣	مسند أبي يَعْلَى	أبو يَعْلَى (أحمد بن علي) (ت٣٠٧هـ)	٢٠٣/٢٢
١٤	الموطأ	الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ)	٢٣/١

١٥	النهاية في غريب الحديث والأثر	ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)	٢٤١/٢٧

ج/ من مصادره من كتب الفقه وأصوله:

الرقم التسلسلي	اسم الكتاب	اسم المؤلف وسنة وفاته	رقم الجزء والصفحة في التحرير والتنوير
١	البيان والتحصيل	ابن رشد (المجد) (ت ٥٢٠هـ)	١٠٢/١٠، ٣١٩/٢٣
٢	بداية المجتهد ونهاية المقتصد	ابن رشد (الحفيد) (ت ٥٩٥هـ)	١٤٠/١، ٤٦/٧
٣	تنقيح الفصول	القَرافِيّ (أحمد بن إدريس) (ت ٦٨٤هـ)	٢٤٦/١٩
٤	جمع الجوامع	ابن السُّبْكيّ (ت ٧٧١هـ)	١٤/٢٨
٥	المدونة برواية سَحْنون	سَحْنون (عبد السلام بن حبيب) (ت ٢٤٠هـ)	٤٦٧/١
٦	الْمُحلَّى	ابن حزم الظّاهِريّ (ت ٤٥٦هـ)	٢٣٤/٢
٧	المحصول	الفخر الرَّازِيّ (ت ٦٠٦هـ)	٤٥١/١، ٣٦٥/٢٧
٨	الموافقات	الشّاطِبيّ (ت ٧٩٠هـ)	٢١٧/٧

د/ من مصادره اللغوية والنحوية والبلاغية والأدبية:

الرقم التسلسلي	اسم الكتاب	اسم المؤلف وسنة وفاته	رقم الجزء والصفحة في التحرير والتنوير
١	أدب الكاتب	ابن قُتَيْبَة (ت ٢٧٦هـ)	٢٦/٣٠ ،١٥٣/٢٣
٢	الآداب	ابن سَناء الْمُلْك (ت ٦٠٨هـ)	٢٦٨/٤
٣	أساس البلاغة	الزَّمَخْشَريّ (ت ٥٣٨هـ)	١٥٥/٢ ، ٣٠٦/١٧
٤	أصول الإنشاء والخطابة	ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)	١٣٨/٢٢ ،٤١٨/١
٥	الأغاني	أبو الفرج الأَصْفَهانيّ (ت ٣٥٦هـ)	١٤٦/٣٠ ،١٧٨/١
٦	الأمالي النحوية	ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ)	٣٣٦/٣٠
٧	أوضح المسالك	ابن هشام الأَنْصاريّ (ت ٧٦١هـ)	١٧٠/٤
٨	الإيضاح	الخطيب القَزْوينيّ (ت ٧٣٩هـ)	٥١/١٩ ،٦٧٣/١
٩	البيان والتبيين	الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)	١٥٥/٤ ،١٤٥/١
١٠	تاج العروس	الزَّبِيديّ (ت ١٢٠٥هـ)	١٥٣/٢٣
١١	تهذيب اللغة	الأَزْهَريّ (ت ٣٧٠هـ)	٧٥/٢٦
١٢	خزانة الأدب	عبد القادر البَغْداديّ (ت ١٠٩٣هـ)	٢٦٥/٢٧
١٣	دلائل الإعجاز	عبد القاهر الجُرْجانيّ (ت ٤٧١هـ)	٩٢/٣ ،٥٢٥/١
١٤	الكامل	الْمُبَرِّد (ت ٢٨٦هـ)	٩٥/٢
١٥	فقه اللغة	أبو منصور الثَّعالِبيّ (ت ٤٢٩هـ)	٧١/١٠
١٦	القاموس المحيط	الفَيْروزآباديّ (ت ٨١٧هـ)	٣٦/٢
١٧	المثل السائر	ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ)	٨٩/٢٢ ،١٢٣/٢٠

١٨	مفتاح العلوم	أبو يعقوب السَّكّاكيّ (ت ٦٢٦هـ)	١/ ١٩، ١٤٥/٢
١٩	الكتاب	سِيبَوَيْه (ت١٨٠هـ)	١٥٦/١، ٢٠٧/١
٢٠	المفردات	الرّاغِب الأَصْفَهانيّ (ت ٥٠٢هـ)	٤٩٠/٢، ٣١٤/٢٨

هـ/ من مصادره في العقيدة والفلسفة:

الرقم التسلسلي	اسم الكتاب	اسم المؤلف وسنة وفاته	رقم الجزء والصفحة في التحرير والتنوير
١	تحفة المريد بشرح جوهرة التوحيد	البَاجُورِيّ (ت ١٢٧٧هـ)	٣٤٦/٧
٢	تهافت الفلاسفة	أبو حامد الغَزالِيّ (ت ٥٠٥هـ)	٢٤٧/٧
٣	الفتوحات المكية	محيي الدين ابن عربي (ت ٦٣٨هـ)	١٦/١٦
٤	الفِصَل في الْمِلَل والأهواء والنِّحَل	ابن حزم (ت ٤٥٦هـ)	١٠٣/١
٥	الْمِلَل والنِّحَل	الشَّهْرِسْتانِيّ (ت ٥٤٨هـ)	٥٧/٦

و/ من مصادره من كتب التاريخ والسير والتراجم:

الرقم التسلسلي	اسم الكتاب	اسم المؤلف وسنة وفاته	رقم الجزء والصفحة في التحرير والتنوير
١	الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل	أبو اليمن العُلَيْمِيّ (ت ٩٢٨هـ)	١٧/١٥

٢	بغية الوعاة	السُّيوطيّ (ت ٩١١هـ)	٣٤٣/١
٣	تاريخ بغداد	الخطيب البَغْداديّ (ت ٤٦٣هـ)	١٢٨/٢٨
٤	تهذيب الكمال	يوسف عبد الرحمن الْمِزِّي (ت ٧٤٢هـ)	١٨٣/١٨
٥	الرَّوْض الأُنُف	أبو القاسم السُّهَيلي (ت ٥٨١هـ)	٢٦٥/١٥
٦	سيرة ابن إسحاق	محمد بن إسحاق (ت ١٥١هـ)	٢١٠/١٢
٧	سيرة ابن هشام	عبد الملك بن هشام (ت ٢١٣هـ)	١٤٦/٣
٨	الطبقات الكبرى	ابن سعد (ت ٢٣٠هـ)	١٧٣/٢ ،٤٢٩/١
٩	الكامل في التاريخ	ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)	١٠٠/٢٢
١٠	نفح الطِّيب	أحمد التِّلِمْسانيّ الْمَقَّرِيّ (ت ١٠٤١هـ)	٢٧٣/١٠
١١	وفيات الأعيان	ابن خَلِّكَان (ت ٦٨١هـ)	٢٤١/٤

ي/ من مصادره في المعارف العامة:

الرقم التسلسلي	اسم الكتاب	اسم المؤلف وسنة وفاته	رقم الجزء والصفحة في التحرير والتنوير
١	دائرة المعارف الإسلامية	مجموعة من المستشرقين (مترجمة)	٥٣٣/١
٢	دائرة المعارف العربية	بطرس البُسْتانِيّ (ت ١٣٠٠هـ)	٤٠٨/١
٣	الفهرست	ابن النَّدِيم (ت ٣٨٥هـ)	٧/٢٩
٤	كشف الظنون	حاجي خليفة (ت ١٠٧٦هـ)	٢٥٣/١٤
٥	معجم البلدان	ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)	٣١١/٧

هذه جملة من المصادر التي اعتمدها ابن عاشور في تفسيره[١]، وإلا فهي كثيرة، ولعل ما قُدِّم هنا أغنى عن ذِكْر الكثير منها، حيث خرج تفسيره مزيجًا من المصادر المتنوعة والفنون المختلفة، بأبهى حُلَّة وأجمل صورة، مع ما أضفاه إليه فصاحة لسانه وحُسن بيانه.

(١) وللاستزادة ينظر: الجهود البلاغية لابن عاشور: ٥٧-٦٣.

قيمة الكتاب، وعنايته بالقضايا النحوية والبلاغية

قيمة الكتاب:

يُعَدُّ هذا التفسير من أدلِّ الكتب وأقدرها على التعريف بالطاهر ابن عاشور وبثقافته الواسعة، فهو بحق ثمرة العزيمة الصادقة، والمقدرة العجيبة على العمل[(١)]، وقد كان أكبر أمنياته؛ حيث قال في مقدمته: "فقد كان أكبر أمنيتي منذ أمدٍ بعيد تفسير الكتاب المجيد، الجامعِ لمصالح الدنيا والدين، ومَوثِق شديد العُرَى من الحق المتين، والحاوي لكلِّيَّات العلوم ومعاقد استنباطها، والآخذ قَوس البلاغة من محل نِياطها؛ طمعًا في بيان نُكَتٍ من العلم، وكلياتٍ من التشريع، وتفاصيلَ من مكارم الأخلاق"[(٢)]، فكان له ما أراد بعد توفيق الله وتيسيره، وكان تفسيره متميزًا، شهد له الصفوة من الخلق، وهو من أعظم ما أُلِّف في علم التفسير في العصور المتأخرة، ومن أهمِّ المراجع لدى كثير من العلماء والباحثين، خاصةً في القضايا النحوية والبلاغية، فقد نقلوا عنه وأحالوا عليه، و أُطْلِق عليه اسم الموسوعة العلمية[(٣)]؛ لِمَا تضمَّنه من المعارف والعلوم، يقول محقق كتاب "مقاصد الشريعة" لابن عاشور: "ومن ثَمَّ فلا غرابة أن جاءت هذه السيرة وارفة الأفنان، متنوعة العطاء، دانية القطوف، وكأنما أنت في حَضْرة جَمْع من العلماء ضُمَّ في صعيد واحد: اللغوي، والأديب، والمفسِّر، والمحدِّث، والأصولي، والفقيه، والمربي، والمؤرِّخ، والفيلسوف، والمنطقي، بل وحتى العالِم بأمور الطب، ويكفي لمعرفة مكانة ابن عاشور في التفسير الإحالة على موسوعته تفسير التحرير والتنوير"[(٤)].

---

(١) ينظر: نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر ابن عاشور: ٩١، بتصرف.

(٢) التحرير والتنوير: ١/٥.

(٣) من الذين أسموه بالموسوعة العلمية: إسماعيل الحسني، ينظر: نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر ابن عاشور: ٩٠.

(٤) مقدمة مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور: ١٩.

وسلك الشيخ منهجًا متميزًا عمد فيه إلى ما شاده المتقدمون فهذَّبه، وزاده، وأبدى فيه نُكَتًا لم يسبق إليها أحدٌ قبله من المفسرين، كما وقف فيه موقف الْحَكَم بين طوائف المفسرين[١]، فلم يكن ناقلًا منهم فحسب، لكنه وقف موقف المهذِّب المستدرِك.

وقد ابتدأ تفسيره بمقدماتٍ عشر، أرادها أن تكون عَوْنًا للباحث في التفسير، فتناول فيها عددًا من القضايا الهامَّة في علوم القرآن الكريم، مثل: التفريق بين التفسير والتأويل، واستمداد علم التفسير، والتعريف بالمنهجين المعتمدَين في تفسير القرآن (التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي)، كما بحث مقاصد التفسير، وأسباب النزول، وعرَّف بالقراءات، وتحدَّث عن قصص القرآن، وختم جملة هذه المباحث بتقسيمات القرآن وترتيباته وأسماء ذلك، وتناول أيضًا إعجاز القرآن، ومبتكرات القرآن، وعاداته، إلى غير ذلك[٢].

وتفسيره هذا كان جملة دروس ألقاها على طلابه بالجامع الأعظم أسماها (الأمالي)، فهو يخاطب به حلقات من طلبة الدراسات العليا، وعددًا من المدرِّسين الذين كانوا يهرعون إلى مجلسه للتأدُّب به والتعلُّم منه، ومضى الشيخ في تفسيره على نمط فريد، يداني به كبار أئمة التفسير المعتمَدين، ويجنح بطلابه فيه إلى مختلَف الطرق، تمكينًا لهم من فَهْم النص القرآني فَهْمًا كاملًا، وتدريبًا لهم على الغَوْص على لطائف معانيه وإشاراته ودقائقه، مع التربية لِمَلَكاتهم، والصَّقْل لمواهبهم، والارتقاء بأذواقهم، فهو يبني بهذه الطريقة جيلًا جديدًا من المتعمِّقين المتخصِّصين، المزوَّدين بالثقافة العالية الواسعة والخبرة العميقة[٣]، قضى في تحريره خمسين سنة

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١/٧.

(٢) لِبَسط هذه المقدمات العشر ينظر: التحرير والتنوير: ١/١٠-٣٠.

(٣) ينظر: شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور: ٣١٤، ٣١٥، بتصرف.

كاملة[١]، جمع فيه خلاصة آراء السابقين، وزبدة أفكار المعاصرين، في أسلوبٍ أدبي رفيع، وتقسيمٍ عِلمي بديع[٢].

عنايته بالقضايا النحوية والبلاغية:

استحوذت العربيةُ النصيبَ الأكبر من تفسير "التحرير والتنوير"، بل وعُدَّت أحد أهم الركائز التي يسير عليها ابن عاشور في تفسيره، حتى جعلها في مقدمة العلوم اللازمة لمتعاطي علم التفسير، حيث قال في مقدمته الثانية: "فاستمداد علم التفسير للمفسر العربي، والْمُوَلَّد، من المجموع الملتَئِم من علم العربية وعلم الآثار، ومن أخبار العرب، وأصول الفقه، قيل: وعِلم الكلام وعِلم القراءات"[٣].

ولاهتمامه باللغة العربية في تفسيره وضَّح منها مقصوده، فقال: "أما العربية فالمراد منها معرفة مقاصد العرب من كلامهم وأدب لغتهم، سواءٌ حصلت تلك المعرفة بالسجية والسليقة؛ كالمعرفة الحاصلة للعرب الذين نَزَل القرآن بين ظهرانيهم، أم حصلت بالتلقِّي والتعلُّم؛ كالمعرفة الحاصلة للموَلَّدين الذين شافهوا بقية العرب ومارَسوهم، والموَلَّدين الذين درَسوا علوم اللسان ودوَّنوها، إنَّ القرآن كلام عربيٌّ، فكانت قواعد العربية طريقًا لفَهْم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم لمن ليس بعربي بالسليقة"[٤].

---

(١) ينظر: نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر ابن عاشور: ٩١.

(٢) الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير: ٣٥٤.

(٣) التحرير والتنوير: ١٨/١.

(٤) المرجع السابق.

ويعني بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربي، وهي: متن اللغة، والتصريف، والنحو، والمعاني، والبيان، ومن وراء ذلك استعمال العرب الْمُتَّبع من أساليبهم في خُطبهم وأشعارهم وتراكيب بلغائهم[١]، والناظر في تفسير ابن عاشور يجد أنَّ القضايا النحوية والبلاغية قد أخذت حيِّزًا كبيرًا من تفسيره، فما ترك ابن عاشور في تفسيره من آية إلا واستوفى الجانب اللغوي لها؛ يُفصِّل القول فيها، ويستعين بكل ما يمكن الاستعانة به من قرآن، أو حديث، أو شعر، أو قول مفسر، أو قول عالم لغة، وغير ذلك من الشواهد، ومن وراء ذلك كله تمكُّنه من فنون العربية، وثقافته الواسعة في هذا الميدان، وبعد حديثه عن الكلمة من حيث دلالتها يذكر موقع الجملة التي جاءت فيها هذه الكلمة في الإعراب، ووجه العلاقة بينها وبين الجملة التالية لها، فالسورة عنده تمثِّل وحدة متكاملة مهما كان تعدُّد أغراضها[٢].

(١) التحرير والتنوير: ١٨/١.

(٢) ينظر: منهج الإمام الطاهر ابن عاشور في التفسير: ١٦٢، بتصرف.

وتظهر عناية ابن عاشور بالقضايا النحوية في صور متعددة، منها:

١- نسبته أقوال النحويين إلى أربابها، فيقوم الإمام ابن عاشور بنسبة أقوال أئمة اللغة؛ كسِيبَوَيْه[١]، والكِسَائِيِّ[٢]، والفَرَّاء[٣]، والفارِسيِّ[٤]، ومواطن ذلك في تفسيره كثيرة[٥].

٢- عنايته بالإعراب في مواضع الإشكال[٦].

٣- عنايته بالاشتقاق اللغوي[٧].

---

(١) هو عمرو بن عثمان بن قَنْبَر الفارسي ثم البصري، أبو بشر، إمام النحو، وحجَّة العرب، استملى على حماد بن سلمة، وأخذ النحو عن: عيسى بن عمر، ويونس بن حبيب، والخليل، وأبي الخطاب الأخفش الكبير، وكان علّامة، حسن التصنيف، من تصانيفه: الكتاب، توفي سنة ثمانين ومائة.

ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: ٣٥١/٨، ٣٥٢، طبقات النحويين واللغويين: ٦٦-٧٢، بغية الوعاة: ٢٢٩/٢، ٢٣٠.

(٢) هو علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان، أبو الحسن، النحوي أحد الأئمة في القراءة والنحو واللغة، وأحد السبعة القراء المشهورين، والإمام الذي انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة، روى الحديث وصنَّف الكتب، من تصانيفه: كتاب معاني القرآن، وكتاب القراءات، توفي سنة تسع وثمانين ومائة.

ينظر ترجمته في: إرشاد الأريب: ١٧٣٧/٤، ١٧٣٨، غاية النهاية: ٥٣٥/١-٥٣٩.

(٣) يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور بن مروان الأسلمي الديلمي الكوفي، أبو زكريا، كان من أعلم الكوفيين بالنحو، أخذ عن أبي الحسن الكسائي، وروى عن قيس بن الربيع ومندل بن علي، وأخذ عنه سلمة بن عاصم ومحمد بن الجهم السمري وغيرهما، كان فقيهًا، عالِمًا بالخلاف وبأيام العرب وأخبارها وأشعارها، عارفًا بالطب والنجوم، ومتكلمًا، من تصانيفه: معاني القرآن، والمقصور والممدود، توفي سنة سبع ومائتين.

ينظر ترجمته في: إرشاد الأريب: ٢٨١٢/٦-٢٨١٤، طبقات النحويين واللغويين: ١٣١-١٣٣.

(٤) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان بن أبان الإمام، أبو علي الفارسي النحوي المشهور، انتهت إليه رياسة علم النحو، روى القراءة عرضًا عن أبي بكر بن مجاهد، وأخذ النحو عن أبي إسحاق الزجاج، ثم عن أبي بكر بن السري، من كتبه: التذكرة، وكتاب الحجة، توفي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة.

ينظر ترجمته في: غاية النهاية: ٢٠٦/١، ٢٠٧، بغية الوعاة: ٤٩٦/١، ٤٩٧.

(٥) ومنها ينظر: التحرير والتنوير: ٦٠٣/١، ٦٠٤.

(٦) ومثال ذلك ينظر: المرجع السابق: ١٣٢/٢-١٣٤.

(٧) ومثال ذلك ينظر: المرجع السابق: ١١٣/٢٣.

٤- إيراده للخلاف بين مدارس البصريين ومدارس الكوفيين، فيأخذ عنهم ويناقشهم فيما ذهبوا إليه من آراء وأقوال، ويبيِّن رأيه، ويستدرك على بعض المفسرين والنحاة فيما فاتهم[١].

وبالجملة نجد من خلال القراءة في تفسير التحرير والتنوير أنَّ عناية ابن عاشور بالقضايا النحوية ظاهرة في تفسيره للآيات القرآنية، وبارزة في الجمع بين الفهم النحوي التقليدي الذي يهتم بإعراب المفردة في الجملة، وبين المعنى النحوي الذي يتابع نظْم الكلام فيحلِّل موقعها في الجملة، وعلاقتها بما قبلها وما بعدها، وأسرار اختيار تلك الألفاظ دون غيرها[٢].

إن عناية ابن عاشور بالقضايا البلاغية ظاهرة في تفسيره من خلال بيان الأوجه والأسرار البلاغية لكثير من النصوص القرآنية، بل وعُدَّ تفسيره من أهم التفاسير التي عُنيت بالجوانب البلاغية واللغوية، والتي اجتهد مؤلِّفها ببيان اللمسات البلاغية، ويدعم ذلك قوله: "وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز، ونُكَت البلاغة العربية، وأساليب الاستعمال"[٣].

ولم يخصَّ أحدٌ من المفسرين –على حد قوله- فنَّ دقائق البلاغة بكتابٍ كما خَصُّوا الأفانين الأخرى، ومن أجل ذلك التزم ابن عاشور بالتنبيه على ما يلوح له من هذا الفن في كل آية من آي القرآن العظيم؛ بقدر ما أُلْهِمَ من الفهم والتدبُّر[٤]، ولهذا جاء تفسيره حافلًا بدقائق البلاغة، ونُكَتها، وأفانينها، فلا تكاد تمر بآية إلا وله فيها بيان لفنٍّ أو أكثر من فنون البلاغة، فهو الفارس في هذا الميدان، وقبل أن نعرج على استشهادات

(١) ومثال ذلك ينظر: التحرير والتنوير: ١/٢٩٠، ٢٩١.

(٢) ينظر: تنويرات بيانية في التحرير والتنوير: ١٣.

(٣) التحرير والتنوير: ١/٨.

(٤) ينظر: المرجع السابق: ١/٨، بتصرف.

الشيخ البلاغية المتعلقة بعِلمَي البيان والمعاني يحسُن بنا الوقوف على مكانتهما عند ابن عاشور، خاصة وأنه نبَّه على أهميتهما في غير ما موضع، وأشار إلى ارتباطهما الوثيق بالتفسير؛ إذ يقول: "ولعِلمَي البيان والمعاني مزيد اختصاص بعلم التفسير؛ لأنهما وسيلة لإظهار خصائص البلاغة القرآنية، وما تشتمل عليه الآيات من تفاصيل المعاني، وإظهار وجه الإعجاز، ولذلك كان هذان العِلْمان يسمَّيان في القديم علم دلائل الإعجاز"(١).

وهو بذلك يسير على نَهْج العلماء الذين سبقوه، ويستشهد بأقوالهم، فقد نقل عن الزَّمَخْشَريّ ما نصَّ عليه في ديباجة كشّافه قوله: "عِلم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي عِلم، فالفقيه وإن برز على الأقران في عِلم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن بزَّ أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القرية أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحوي وإن كان أنحى من سِيبَوَيْه، واللغوي وإن عَلَكَ اللغات بقوة لحييه، لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق، إلا رجل قد برع في عِلمين مختصين بالقرآن وهما علما البيان والمعاني"(٢).

ونقل عن السَّكَّاكيّ قوله في مقدمة القسم الثالث من كتاب مفتاح العلوم: "وفيما ذَكَرنا ما يُنبِّه على أنَّ الواقف على تمام مراد الحكيم تعالى وتقدَّس من كلامه مفتقِر إلى هذين العلمين (المعاني والبيان) كل الافتقار، فالويل كل الويل لمن تعاطى التفسير وهو فيهما راجل"(٣).

ونقل عنه أيضًا قوله: "لا أعلم في باب التفسير بعد علم الأصول أقرأَ على المرء لمراد الله من كلامه من علمي المعاني والبيان، ولا أعوَنَ على تعاطي تأويل متشابهاته، ولا أنفعَ في دَرْك لطائف نُكَته وأسراره، ولا

---

(١) التحرير والتنوير: ١٩/١.

(٢) ينظر: مقدمة الكشاف: ٢، بتصرف.

(٣) مفتاح العلوم: ١٦٢/١.

أكشفَ للقناع عن وجه إعجازه، ولَكَمْ آية من آيات القرآن تراها قد ضِيمَت حقَّها واستُلِبت ماءها ورونقها أن وقعت إلى مَن ليسوا من أهل هذا العلم، فأخذوا بها في مآخذ مردودة، وحملوها على محامل غير مقصودة"[(١)].

وقد تمثَّلت عناية ابن عاشور البلاغية في تفسيره من خلال صور متعددة، منها:

١/ جهوده في الكشف عن جماليات صور البيان من عدة أوجه:

أ- الكشف عن صور التشبيه، ومثال ذلك ما جاء في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَـٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْداً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [سورة المؤمنون: ٤١]، قال ابن عاشور: "الغثاء: ما يحْمِله السيل من الأعواد اليابسة والورق، والكلام على التشبيه البليغ للهيئة، فهو تشبيه حالة بحالة، أي: جعلناهم كالغثاء في البِلَى والتَّكدُّس في موضع واحد، فهلكوا هلكة واحدة"[(٢)].

ب- الكشف عن صور المجاز، ومن هذا الباب قوله تعالى:﴿وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِى أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْراً ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِى أَنفُسِهِمْ إِنِّىَ إِذاً لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [سورة هود: ٣١]، قال

(١) مفتاح العلوم: ٤٢١/١.

(٢) التحرير والتنوير: ٥٩/١٨.

ابن عاشور: "وإسناد الازدراء إلى الأعين وإنما هو من أفعال النفْسِ مجاز عقلي؛ لأنَّ الأعين سبب الازدراء غالبًا؛ لأنَّ الازدراء ينشأ عن مشاهدة الصفات الحقيرة عند الناظر"(١).

ج- الكشف عن الاستعارة، ومنها ما أورده في قوله تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾[سورة الفجر: ١٣]،قال ابن عاشور: "والصَّبُّ حقيقته: إفراغ ما في الظرْفِ، وهو هنا مستعار لحلول العذاب دفعةً وإحاطته بهم، كما يُصَب الماء على المغتسِل أو يُصَب المطر على الأرض، فوجه الشَّبه مُرَكَّب من السرعة والكثرة"(٢).

د- بيانه لمفهوم الكناية، ومن شواهدها ما جاء في شأن صاحب الجنتين في قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾[سورة الكهف: ٤١]، قال ابن عاشور: "وتقليب الكفَّيْن حركة يفعلها المتحسِّر، وذلك أن يُقلِّبهما إلى أعلى ثم إلى قُبالتِه تحسُّرًا على ما صرَفه من المال في إحداث تلك الجنة، فهو كناية عن التحسُّر"(٣).

(١) التحرير والتنوير: ٥٨/١٢.

(٢) المرجع السابق: ٣٢٢/٣٠.

(٣) المرجع السابق: ٣٢٧/١٥.

٢/جهوده في الكشف عن الأسرار البلاغية المتعلقة بمسائل علم المعاني؛ من التعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، والتوكيد، وأسلوب القصر، وأسلوب الفصل والوصل، والحذف والذِّكر، والإيجاز والإطناب، والالتفات، وغيرها، مع إبرازه للنُّكَت البلاغية المستنبَطة منها، ومن أمثلة ذلك:

أ- فيما يتعلق بالتعريف: قد يفيد التعريف بالموصولية معنى التهويل، وشاهِده ما ذكره ابن عاشور بعد قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [سورة طه: ٧٧]، حيث قال: "وقوله: ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ يفيد ما أفاده قوله: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ﴾؛ إذ من المعلوم أنهم غشيَهم غاشٍ، فتعيَّن أنَّ المقصود منه التهويل، أي بلَغ من هَوْل ذلك الغرقِ أنه لا يُستطاع وصْفه"(١).

ب- فيما يتعلق بالتنكير: قد يفيد التنكير معنى التفخيم والتعظيم، ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ١٨]، قال ابن عاشور: "تنكير ﴿ذَهَابٍ﴾ للتفخيم والتعظيم، ومعنى التعظيم هنا تعدُّد أحوال الذهاب به؛ من تغويره إلى أعماق الأرض بانشقاق الأرض بزلزال ونحوه، ومن تجفيفه بشدة الحرارة، ومن إمساك إنزاله زمنًا طويلًا"(٢).

ت- فيما يتعلق بالتقديم: قد يتقدم المسنَد إليه ليفيد التخصيص، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ

(١) التحرير والتنوير: ٢٧٢/١٦.

(٢) المرجع السابق: ٢٩/١٨.

سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [سورة المائدة: ١١٨]، قال ابن عاشور: "تقديم المسنَد إليه على الخبر الفعلي في قوله: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ يدل على أنَّ الاستفهام متوجِّه إلى تخصيصه بالخبر دون غيره، مع أنَّ الخبر حاصلٌ لا محالة"(١).

ث- فيما يتعلق بالحذف: قد يفيد حذف المفعول الوعيد والتهويل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [سورة العاديات: ٩]، قال ابن عاشور: "حُذِف مفعولَا ﴿يَعْلَمُ﴾ ولا دليل في اللفظ على تعيين تقديرهما، فيوكَل إلى السامع تقدير ما يقتضيه المقام من الوعيد والتهويل، ويسمَّى هذا الحذف عند النحاة الحذف الاقتصاري"(٢).

ج- فيما يتعلق بالذِّكر: مثاله ما جاء في قوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ ٱلَّـٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَـٰتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ﴾ [سورة الأحزاب: ٤]، قال ابن عاشور: "قُيِّد بقوله: ﴿بِأَفْوَاهِكُمْ﴾، فإنه من المعلوم أنَّ القول إنما هو بالأفواه،

(١) التحرير والتنوير: ١١٣/٧.

(٢) المرجع السابق: ٥٠٦/٣٠.

فكان ذِكْر ﴿بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ مع العلم به مشيرًا إلى أنه قول لا تتجاوز دلالته الأفواه إلى الواقع، ونفْسُ الأمر فليس له من أنواع الوجود إلا الوجود في اللسان والوجود في الأذهان دون الوجود في العَيان"(١).

ح- فيما يتعلق بأسلوب القصْر: ومنه قَصْر الصفة على الموصوف، ومثاله ما جاء في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [سورة المطففين: ١١-١٣]، قال ابن عاشور: "وصيغة القصْر من النفي والاستثناء تفيد قصْر صفة التكذيب بيوم الدين على المعتدين الآثمين، الزاعمين القرآنَ أساطير الأولين، فهو قصْر صفة على موصوف، وهو قصْر حقيقي"(٢).

خ- فيما يتعلق بأسلوب الفصل: قد يتحقق بأن تكون الجملة الثانية مؤكِّدة للأولى، ومثاله ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ [سورة هود: ٧٢]، حيث قال: "زادت تقرير التعجب بجملة ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾، وهي جملة مؤكِّدة لصيغة التعجب، فلذلك فُصِلت عن التي قبلها لكمال الاتصال"(٣).

د- فيما يتعلق بأسلوب الوصل: قد يتحقق لتأكيد العموم وتحقيق المغايرة، ومثاله ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ [سورة الرعد: ٤٤]، حيث قال:

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٦٠/٢١.

(٢) المرجع السابق: ١٩٧/٣٠.

(٣) المرجع السابق: ١٢١/١٢.

"والتعريف في الميثاق يُحمَل على تعريف الجنس فيستغرق جميع المواثيق، وبذلك يكون أعمَّ من عهد الله، فيشمل المواثيق الحاصلة بين الناس من عهود وأيمان، وباعتبار هذا العموم حصلت مغايرة ما بينه وبين عهد الله، وتلك هي مسوِّغةُ عطفِ ﴿وَلاَ يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَاقَ﴾ على ﴿يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ مع حصول التأكيد لمعنى الأولى بنفي ضدها، وتعريضًا بالمشركين لاتصافهم بضد ذلك الكمال، فعطف التأكيد باعتبار المغايرة بالعموم والخصوص"(١).

ذ- فيما يتعلق بالإيجاز: ومثال ذلك ما ذَكَره ابن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى:﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٩٩]، حيث قال: "وقد جمعت هذه الآية مكارم الأخلاق؛ لأنَّ فضائل الأخلاق لا تعدو أن تكون عفوًا عن اعتداء فتدخل في ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾، أو إغضاءً عما لا يلائم فتدخل في ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾، أو فِعْلَ خيرٍ واتسامًا بفضيلة فتدخل في ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾"(٢).

ر- فيما يتعلق بالإطناب: ومن هذا الباب ما ذكره ابن عاشور بعد قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَه ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيّاً وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [سورة الروم: ١٧-١٨]، حيث قال: "وقوله: ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾، ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾،

(١) التحرير والتنوير: ١٢٦/١٣.

(٢) المرجع السابق: ٢٢٩/٩.

﴿وَعَشِيّاً﴾، ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ ظروف متعلقة بما في إنشاءِ التنزيه من معنى الفِعلِ، أي ينْشأ تنزيه الله في هذه الأوقات، وهي الأجزاء التي يتجزَّأ الزمان إليها، والمقصود التأبيد، كما تقول: سبحان الله دومًا، وسلك به مسلك الإطناب لأنه مناسِب لمقام الثناء"[(١)].

هـ- فيما يتعلق بالتوكيد: ومنه التوكيد بـ(إن) المكسورة الهمزة المشدَّدة النون، ومثال ذلك ما جاء في قوله تعالى:﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾ [سورة النصر: ٣]، قال ابن عاشور: "توكيد بـ﴿إِنَّ﴾ هنا غير مقصود به ردُّ إنكارٍ ولا إزالة تردُّد؛ إذ لا يُفرضان في جانب المخاطَب -صلى الله عليه وسلم-، فقد تمحَّض ﴿إِنَّ﴾ لإفادة الاهتمام بالخبر بتأكيده"[(٢)].

وبعد فهذه بعض جهود ابن عاشور المتعلقة بعلم المعاني، وقد نال الالتفات اهتمامًا من ابن عاشور، وتطبيقاته مستوفاة في الدراسة التطبيقية من هذا البحث[(٣)].

---

(١) التحرير والتنوير: ٦٥/٢١.

(٢) المرجع السابق: ٥٩٦/٣٠.

(٣) ينظر: ٩٥-٢٠٩.

٣/جهوده في الكشف عن الأسرار البلاغية المتعلقة بألوان البديع، وإبرازه للنُّكَت البلاغية المستنبَطة منها، ومن أمثلة ذلك:

أ- فيما يتعلق بالمحسِّنات المعنوية: من أهم ما ورد في التفسير منها:

١- الطِّباق: ومثاله ما ذكره ابن عاشور في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَنْ يَّرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَّشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة المائدة: ٥٦]، حيث قال: والأذلَّة والأعزَّة وصفان متقابلان وُصِف بهما القوم باختلاف المتعلَّق بهما، فالأذلَّة جمع الذَّليل وهو الموصوف بالذُّل، والذل- بضم الذال وبكسرها- الهوان والطاعة، فهو ضد العِز، وإثبات الوصفين المتقابلين للقوم صناعة عربية بديعية، وهي المسماة الطِّباق، وبُلغاء العرب يُغرِّبون بها، وهي عزيزة في كلامهم، وقد جاء كثير منها في القرآن(١).

٢- الأسلوب الحكيم(٢): ومنه ما أورده ابن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٦/٢٣٧، ٢٣٨، باختصار.

(٢) وهو تلقي المخاطب بغير مايترقّبه، إما بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله، وإما بحمل كلام المتكلم على غير ماكان يقصد ويريد، تنبيهًا على أنه كان ينبغي له أن يسأل هذا السؤال، أو يقصد هذا المعنى، ينظر: جواهر البلاغة: ١/٣١٩.

وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ٦١]، حيث قال: "جملة: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ جملة ﴿قُلْ﴾ مستأنفة استينافًا ابتدائيًا، على طريقة المقاولة والمحاورة، لإبطال قولهم بقلب مقصدهم إغاظةً لهم، وكمدًا لمقاصدهم، وهو من الأسلوب الحكيم الذي يحمل فيه المخاطَب كلام المتكلم على غير ما يريده، تنبيهًا له على أنه الأَولى بأن يراد"(١).

٣- التجريد: ومثاله ما ذكره ابن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَالْيَوْمَ ٱءَلاْخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيراً﴾ [سورة الأحزاب: ٢١]، حيث قال: حرف ﴿فِي﴾ جاء على أسلوب ما يسمَّى بالتجريد المفيد للمبالغة؛ إذ يُجرَّد من الموصوف بِصفة موصوفٍ مِثلِه ليكون كذاتين، فالأصل: رسولُ الله أسوة، فقيل: ﴿فِي رَسُولِ ٱللَّهِ إِسْوَةٌ﴾(٢).

٤- تأكيد المدح لِما يُشبه الذم: ومن ذلك ما ذكره ابن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ تَأْثِيماً ۝٢٥ إِلاَّ قِيلاً سَلَماً سَلَماً﴾ [سورة الواقعة: ٢٥-٢٦]، حيث

(١) التحرير والتنوير: ٢٤٢/١٠.

(٢) ينظر: المرجع السابق: ٣٠٢/٢١، ٣٠٣، باختصار.

قال: "قوله: ﴿إِلاَّ قِيلاً سَلَٰماً سَلَٰماً﴾ وهو استثناء من ﴿لَغْواً وَلاَ تَأْثِيماً﴾، بطريقة تأكيدِ الشيء بما يُشْبه ضدَّه المشتهَرَ في البديع بِاسم تأكيدِ المدح لِما يشبه الذم، وله موقع عظيم في البلاغة"(١).

٥- مراعاة النظير(٢): ومثاله ما ذكره ابن عاشور عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِۦ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [سورة هود: ١٢]، حيث قال: "﴿ضائق﴾: اسم فاعل من (ضاق)، وإنما عدَل عن أن يقال (ضِيق) هنا إلى ﴿ضائق﴾ لمراعاة النظير مع قوله:﴿تَارِكٌ﴾؛ لأنَّ ذلك أحسن فصاحةً، ولأنَّ ﴿ضائق﴾ لا دلالة فيه على تمكُّن وَصْف الضيق من صدره بخلاف ضِيق؛ إذ هو صفة مشبَّهة، وهي دالَّة على تمكُّن الوصف من الموصوف، إيماء إلى أنَّ أقصى ما يُتوهَّم توقُّعه في جانبه -صلى الله عليه وسلم- هو ضيق قليل يعرِض له"(٣).

٦- الجمع والتقسيم: ومنه ما أورده ابن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ۝٣٢ مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [سورة النازعات: ٣٢-٣٣]، قال ابن عاشور: "وفي قوله:

(١) التحرير والتنوير: ٢٩٧/٢٧.
(٢) وهي الجمع بين أمرين، أو أمور متناسبة، لا على جهة التضاد، وذلك إما بين اثنين أو بين أكثر، ينظر: جواهر البلاغة: ٣٠٤/١.
(٣) التحرير والتنوير: ١٦/١٢.

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾ [سورة النازعات: ٣٠] إلى ﴿وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ مُحسِّن الجمع ثم التقسيم"[١].

٧- اللَّف والنشْر[٢]: ومنه ما ذكره ابن عاشور في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً﴾ [سورة الإسراء: ٢٩]، حيث قال: "قوله: ﴿فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً﴾ جواب لكلا النهيَيْنِ على التوزيع بطريقة النشْر المرتَّب، فالملوم يرجِع إلى النهي عن الشُّح، والمحسور يرجِع إلى النهي عن التبذير"[٣].

٨- الإدماج[٤]: ومن ذلك ما أورده ابن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [سورة يس: ٣٣]، حيث قال: "وإخراج الحَبِّ من الأرض هو إخراجه من نباتها، فهو جاء منها بواسطة، وهذا إدماج للامتنان في ضِمْن الاستدلال، ولذلك فُرِّع عليه ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾"[٥].

---

(١) المرجع السابق: ٨٨/٣٠.

(٢) ويطلق عليه الطي والنشر، وهو أن يذكر متعدد، ثم يذكر ما لكل من أفراده شائعًا من غير تعيين، اعتمادًا على تصرف السامع في تمييز ما لكل واحد منها، وردّه إلى ماهو له، ينظر: جواهر البلاغة: ٣١٠/١.

(٣) التحرير والتنوير: ٨٥/١٥.

(٤) وهو أن يضمِّن كلام قد سيق لمعنى معنى آخر لم يصرّح به، ينظر: جواهر البلاغة: ٣٠٥/١.

(٥) التحرير والتنوير: ١٣/٢٣.

٩- الاستطراد: ومنه ما ذكره ابن عاشور في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلاَ بُعْداً لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [سورة هود: ٩٥]، حيث قال: "وأما قوله: ﴿كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ فهو تشبيه البُعد الذي هو انقراض مَدْيَن بانقراض ثمود، ووجه الشَّبَه التماثل في سبب عقابهم بالاستئصال، وهو عذاب الصيحة، ويجوز أن يكون المقصود من التشبيه الاستطراد بذمِّ ثمود لأنهم كانوا أشد جرأةً في مناوأة رسل الله، فلمَّا تهيأ المقام لاختتام الكلام في قصص الأمم البائدة ناسب أن يُعاد ذِكْر أشدِّها كفرًا وعنادًا فشبَّه هَلَكَ مدين بِهَلكهم، والاستطراد فنٌّ من البديع"(١).

ب- فيما يتعلق بالمحسِّنات اللفظية: من أهم ما ورد في التفسير منها:

١- مراعاة الفاصلة القرآنية: ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاءَلاْخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ [سورة النجم: ٢٧]، حيث أتى التعبير بالمفرد في ﴿ٱلْأُنثَىٰ﴾ ولم يقل: الإناث، وعلَّل ابن عاشور ذلك فقال: "والتعريف في ﴿ٱلْأُنثَىٰ﴾ تعريف الجنس الذي هو في معنى الْمُتعدِّد، والذي دعا إلى هذا النظْم مراعاة الفواصل ليقع لفظ ﴿ٱلْأُنثَىٰ﴾ فاصلةً كما وقع لفظ ﴿ٱلْأُولَى﴾ ولفظ ﴿يرضى﴾ ولفظ ﴿شَيْـًٔا﴾"(٢).

---

(١) المرجع السابق: ١٥٤/١٢.

(٢) التحرير والتنوير: ١١٥/٢٧.

٢- الجِناس: ومنه ما ذكره ابن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ﴾ [سورة الروم: ٥٥]، حيث قال: "وفي قوله: ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾ و ﴿سَاعَةٍ﴾ الجِناس التام"(١).

٣- ردُّ العَجْز على الصدر: من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾[سورة الحج: ٣٣]، قال ابن عاشور: "وقد جاء في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ردُّ العَجْز على الصدر باعتبار مبدأ هذه الآيات، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [سورة الحج: ٢٦]"(٢).

٤- القَلْب: ومثاله ما ذكره في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٣٣]، حيث قال: ومن بدائع الإعجاز في هذه الآية أنَّ قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ﴾ فيه مُحسِّن بديعي؛ فإن حروفه تُقرأ من آخرها على الترتيب كما تُقرأ من أوَّلها، مع خِفَّة التركيب، ووَفْرة الفائدة، وجريانه مجرى المثل من غير تنافُر

(١) المرجع السابق: ١٢٩/٢١.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٥٨/١٧.

ولا غرابة، وهذا النَّوع سمَّاه السَّكّاكي «المقلوب المستوي»، وجعله من أصناف نوع سمَّاه القَلْب[١]، وخُصَّ هذا الصنف بما يتأتَّى القلب في حروف كلماته[٢].

بناءً على ما سبق بيانه[٣] يتضح أنَّ التراكيب اللغوية من نحوية وبلاغية كانت إحدى القواعد التي ينطلق منها الشيخ ابن عاشور في تفسيره للآيات القرآنية، بل كانت بمثابة الأدوات والدوافع التي تعين على استخراج اللطائف والكنوز الخفية من وراء النص القرآني.

(١) ينظر: مفتاح العلوم: ٤٣١.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٦١/١٧، باختصار.

(٣) ولبسط هذه المسائل البلاغية ينظر: الجهود البلاغية لابن عاشور: ٩٥، وما بعدها.

القسم الأول: الدراسة النظرية

وفيها مبحثان:

- المبحث الأول: مفهوم الالتفات.
- المبحث الثاني: عناية ابن عاشور بالالتفات.

المبحث الأول: مفهوم الالتفات

وتحته مطلبان:

- المطلب الأول: تعريف "الالتفات" لغةً واصطلاحًا.
- المطلب الثاني: أغراض الالتفات وفوائده.

المطلب الأول: تعريف "الالتفات" لغةً واصطلاحًا

تعريف "الالتفات" لغةً:

"الالتفات" في أصل اللغة مأخوذ من الفعل الثلاثي (لفَت) بفتح الفاء، ومادة (لفَت) اللام والفاء والتاء كلمة واحدة تدل على اللَّيِّ وصَرْف الشيء عن جهته المستقيمة، منه لفتُّ الشيء: لَوَيته، ولَفَتُّ فلانًا عن رأيه: صرَفته، وهو أن تَعدِل بوجهك، وكذا التَّلَفُّتُ[(١)].

وأصل اللَّفْت لَيُّ الشيء عن الطريقة المستقيمة، ولَفَت وجهه عن القوم: صَرَفه والتفت التفاتًا، والتَّلَفُّتُ أكثر منه، وتَلَفَّتَ إلى الشيء والتَفَتَ إليه: صرف وجهه إليه، ولَفَتَه عَنِ الشَّيءِ يَلْفِتُه لَفْتًا: صَرفه، ولَفَتَه يَلفِتُه لَفتًا: لَوَاه على غير جهته، واللَّفْتُ: لَيُّ الشيء عن جهته، كما تقبض على عنق إنسان فتَلفِتُه، ولَفَتُّ فلانًا عن رأيه أي صرَفتُه عنه، ومنه الالتفات[(٢)].

فالمادة اللغوية للالتفات تدور حول معنى واحد وهو الصرف والتحوُّل من جهة إلى أخرى؛ سواء كان ذلك في الأمور الحسية كلَيِّ الرأس، أو في الأمور المعنوية كصَرْف الرأي، وجاء في قوله تعالى: ﴿فَاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ [سورة الحجر: ٦٥]، أي: لا ينصرف منكم أحد ولا يتخلَّف[(٣)]، ومن ذلك ما جاء في السنة عن

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٢٥٨/٥، باختصار.

(٢) ينظر: لسان العرب: مادة (لفت) ٨٤/٢، ٨٥، باختصار.

(٣) أنوار التنزيل: ٥٣٣/١.

عائشة أم المؤمنين –رضي الله عنها– أنها سألت النبي –صلى الله عليه وسلم– عن الالتفات في الصلاة، فقال: ((هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد))[١].

تعريف "الالتفات" اصطلاحًا:

مصطلح "الالتفات" من المصطلحات التي لاقت اضطرابًا في تحديد دلالتها عبر العصور؛ فالناظر في كتب المتقدمين يجد أنَّ التعريف لم يستقر على شيء بعينه، ولذا اختُلِفَ في تسميته؛ فسُمِّي بِاسم الالتفاف[٢]، والصرف[٣]، والانصراف[٤]، والمجاز[٥]، والتعريض[٦]، والاستدراك[٧] وسُمِّي أيضًا بالشجاعة العربية[٨].

وظلَّ هذا الفن له وزنه عند العرب منذ القرن الثاني الهجري؛ فقد أشار إليه أبو عبيدة مَعْمَر بن الْمُثَنَّى[٩] (٢٠٩هـ) إذ قال: "ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطَبَة الشاهد ثم تُرِكت وحُوِّلت مخاطبته إلى مخاطبة

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الالتفات في الصلاة، برقم: ٧٥١.

(٢) نقد الشعر: ٥٣.

(٣) البرهان في وجوه البيان: ١٢٢.

(٤) البديع في نقد الشعر: ٢٠٠.

(٥) مجاز القرآن: ١١/١.

(٦) الإيضاح: ١٢٣/٢.

(٧) نقد الشعر: ٥٣.

(٨) المثل السائر: ١٣٥/٢.

(٩) التَّيمي، كان من أعلم الناس باللغة، وأخبار العرب وأنسابها، وله في ذلك مصنفات كثيرة، منها: كتاب مجاز القرآن، وكتاب غريب الحديث، توفي سنة تسع ومائتين.

ينظر ترجمته في: طبقات النحويين واللغويين: ١٧٥، ونزهة الألباء: ٩٠.

مخاطبة الغائب، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [سورة يونس: ٢٢].

ومن مجاز القرآن ما جاء خبره عن غائب ثم خوطب الشاهد، قال تعالى: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ۝٣٣ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ [سورة القيامة: ٣٣- ٣٤]"[(١)].

ونجد كذلك إشارة الأَصْمَعِيّ[(٢)] (٢١٥هـ) إليه في الخبر الذي أورده أبو هلال العسكري[(٣)] (٣٩٥هـ) (٣٩٥هـ) حينما قال: "أخبرنا أبو أحمد[(٤)] قال: أخبرني محمد يحيى الصُّولي[(٥)] قال: قال الأصمعي: أتعرف التفاتات جرير[(٦)]؟ قلت: لا، فما هي؟ قال:

---

(١) مجاز القرآن: ١١/١.

(٢) عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو بكر، صاحب النحو واللغة والغريب والأخبار والملح، توفي سنة خمس عشرة ومائتين.

ينظر ترجمته في: طبقات النحويين واللغويين: ١٦٧-١٧٤، ونزهة الألباء: ٩٠.

(٣) الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، كان موصوفًا بالعلم والفقه، والغالب عليه الأدب والشعر، له من التصانيف: كتاب كتاب صناعتي النظم والنثر، والتلخيص في اللغة، وجمهرة الأمثال، كانت وفاته سنة خمس وتسعين وثلاثمائة.

ينظر ترجمته في: إرشاد الأريب: ٩١٨/٢-٩٢١، وبغية الوعاة: ٥٠٦/١.

(٤) عبيد الله بن محمد بن أحمد بن أبي مسلم الفرضي، المقرئ البغدادي، قرأ على أبي الحسين، وأحمد بن بويان ، وقرأ عليه خلق كثير، أحد الأعلام، كان إمامًا فاضلًا، ثقةً ورعًا، اجتمعت فيه أدوات الرياسة، من علم وقرآن وإسناد، توفي سنة ست وأربعمائة.

ينظر ترجمته في: اللباب في تهذيب الأنساب: ٤٢٢/٢، ومعرفة القراء الكبار: ٢٠٤، ٢٠٥.

(٥) يكنى أبا بكر، كان عالِمًا بفنون الآداب، وحسن المعرفة بآداب الملوك والخلفاء، حاذقًا بتصنيف الكتب، ومن مصنفاته: أخبار ابن هرمة الشاعر، وأخبار أبي تمام، توفي سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة.

ينظر ترجمته في: نزهة الألباء: ٢٠٤، ٢٠٥، وإرشاد الأريب: ٢٦٧٨/٦.

(٦) ابن عطية بن حذيفة الخطفي، التميمي، البصري، يكنى بأبي حزرة، شاعر زمانه، توفي سنة عشرة ومائة.

ينظر ترجمته في: الشعر والشعراء: ٤٥٦/١، وسير أعلام النبلاء: ٥٩٠/٤، ٥٩١.

أَتَنْسَـــــى إِذْ تُوَدِّعُنـــــا سُـــــلَيْمَى بِفَـــرْعِ بَشَـــامَةٍ[١] سُـــقيَ البَشَـــامُ[٢]

ألا تراه مُقْبِلًا على شعره ثم التفت إلى البَشَامِ فدعا له"[٣].

وتلاهم في ذلك محمد بن يزيد الْمُبرِّد[٤] (٢٨٥هـ) حيث عَرض نوعًا من أنواعه ومَثَّل له بمثال، فقال: فقال: "والعرب تترك مخاطبة الغائب إلى مخاطبة الشاهد، ومخاطبة الشاهد إلى مخاطبة الغائب، قال الله جل وعز: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [سورة يونس: ٢٢]،كانت المخاطبة للأُمة، ثم صُرِفت إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-"[٥].

وأشار يحيى بن زياد الفَرَّاء (٢٠٧هـ) إلى صورة من صور الالتفات وإن كان لم يسمِّه، وذلك عند حديثه عن الآيتين الكريمتين: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُون ٱلْاٰخِرَةَ﴾ [سورة القيامة: ٢٠-٢١]، حيث قال: "رُوِّيت عن علي بن أبي طالب -رحمه الله- ﴿بَلْ تُحِبُّونَ﴾، ﴿وَتَذَرُون﴾ بالتاء، وقرأها كثير ﴿بل يحبون﴾ بالياء، والقرآن يأتي على أن يخاطب المنَزَّل عليهم أحيانًا، وحينًا يُجعلون كالغُيَّب

(١) البَشَام: شجر طيب الريح والطعم يستاك به، وواحدته بَشَامة.

ينظر: لسان العرب: ١٢/٥٠.

(٢) ديوان جرير: ٤١٧.

(٣) الصناعتين: ٣٩٢.

(٤) ابن عبد الأكبر الأزدي البصري، أبو العباس، النحوي اللغوي الأديب، له من التصانيف: معاني القرآن، والكامل المقتضب، والروضة، توفي سنة ست وثمانين ومائتين.

ينظر ترجمته في: إرشاد الأريب: ٦/٢٦٧٨-٢٦٨٣، وبغية الوعاة: ١/٢٦٩-٢٧١.

(٥) الكامل: ٣/١٧.

كقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [سورة يونس: ٢٢]"[(١)].

وتكلم عن الالتفات أيضًا دون أن يذكر اسمه عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبَة[(٢)] (٢٧٦هـ)، وجعله من باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه، ومما قاله: ومنه أن تخاطب الشاهد بشيء ثم تجعل الخطاب له على لفظ الغائب، كقوله عز وجل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [سورة يونس: ٢٢]، وقوله: ﴿وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ [سورة الروم: ٣٩]، وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [سورة الحجرات: ٧] ثم قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾[سورة الحجرات: ٧]، وكذلك أيضًا تجعل خطاب الغائب للشاهد[(٣)].

وأما عن تحديد مفهوم الالتفات فقد تناوله بعض البلاغيين والنُّقاد بتوسُّع، وقيَّده بعضهم بنوع أو نوعين، ومما قاله هؤلاء في هذا الصدد:

---

(١) معاني القرآن للفراء: ٢١٢/٣، ٢١٣.

(٢) هو أبو محمد الكاتب الدينوري، النحوي اللغوي، العالم، ولي القضاء، وروى عن العلماء أمثال إسحاق بن راهويه، وأبي حاتم السجستاني، وروى عنه العلماء؛ كولده أحمد، وعبد الله بن جعفر بن درستويه الفارسي، وكان ثقةً ديِّنًا فاضلًا، من تصانيفه: إعراب القرآن، ومعاني القرآن، توفي سنة ست وسبعين ومائتين، وقيل: سبع وستين.

ينظر ترجمته في: إنباه الرواة: ١٤٣/٢-١٤٦، وبغية الوعاة: ٦٣/٢، ٦٤.

(٣) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ١٧٧، باختصار.

قول ابن الْمُعْتَزّ[١] (٢٩٦هـ) في تعريف الالتفات: "وهو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك، ومن الالتفات الانصرافُ عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر"[٢].

وقول ابن وَهْب الكاتب[٣] (٣٣٥هـ): "وأمَّا الصرف: فإنهم يصرِفون القول من المخاطب إلى الغائب، ومن الواحد إلى الجماعة"[٤].

وقول قُدامة بن جعفر[٥] (٣٣٧هـ): "ومن نعوت المعاني الالتفاف، وبعض الناس يسمِّيه الاستدراك، وهو أن يكون الشاعر آخِذًا في معنى، فكأنه يعترضه إما شكٌّ فيه، أو ظنٌّ بأنَّ رادًّا يَرُد عليه قوله، أو سائلًا يسأله عن سببه، فيعود راجعًا على ما قدَّمه، فإما أن يؤكِّده، أو يذكر سببه، أو يَحل الشك فيه"[٦].

وقول أسامة بن مُنْقِذ[٧] (٥٨٤هـ) في باب الانصراف: "وهو أن يرجع من الخبر إلى الخطاب، ومن

---

(١) عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد، أبو العباس، الهاشمي، العباسي، كان أديبًا، وشاعرًا، فصيحًا، بليغًا، قريب المأخذ، سهل اللفظ، جَيِّد القريحة، حسن الإبداع للمعاني، مخالطًا للعلماء والأدباء، معدودًا من جملتهم، وكان من أعلم الناس بالأخبار وأيام الخلفاء، وله مصنفات في ذلك، توفي سنة ست وتسعين ومائتين.

ينظر ترجمته في: البداية والنهاية: ١٢٢/١١-١٢٤، وشذرات الذهب: ٤٠٦/٣، ٤٠٧.

(٢) البديع في البديع: ١٥٢.

(٣) إسحاق بن إبراهيم بن سليمان، أبو الحسين، صاحب كتاب البرهان في وجوه البيان، وقد سكتت المصادر عنه، ولم أجد من تَرجم له إلا محقق الكتاب، والمحقق كانت ترجمته من خلال كتاب المؤلف وليس من مصادر كتب التراجم، فيبدو أنه لم يَعْثُر له على ترجمة.

(٤) البرهان في وجوه البيان: ١٢٢.

(٥) ابن قدامة الكاتب، أبو الفرج، اشتهر في زمانه بالبلاغة ونقد الشعر، وكان أحد البلغاء الفصحاء والفلاسفة الفضلاء، وممن يشار إليه في علم المنطق، من آثاره: سر البلاغة في الكتابة، ونقد الشعر، وصناعة الجدل، توفي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة.

ينظر ترجمته في: إرشاد الأريب: ٢٢٣٥/٥، ومعجم المؤلفين: ١٢٨/٨.

(٦) نقد الشعر: ٥٣.

(٧) مرشد بن علي بن مقلد الكناني، الشيزري، أبو المظفر، له عدة تصانيف، منها: كتاب القضاء، وكتاب الشيب والشباب، توفي سنة أربع وثمانين وخمسمائة.

ينظر ترجمته في: إرشاد الأريب: ٥٧١/٢-٥٧٩، وسير أعلام النبلاء: ١٦٥/٢١.

الخطاب إلى الخبر"[١].

وقول ابن الزَّمَلْكاني[٢] (٦٥١هـ) في الالتفات: وهو أن تعدل من الغَيْبة إلى الخطاب، أو من الخطاب إلى الغَيْبة، أو من الغَيْبة إلى التكلم وهو من أساليب الافتنان في الكلام[٣].

وقول ابن أبي الإصبع المصري[٤] (٦٥٤هـ): جاء في الكتاب العزيز من الالتفات، وهو أن يُقدِّم المتكلم في كلامه مذكورين مرتين، ثم يُخبر عن الأول منهما، وينصرف عن الإخبار عنه إلى الإخبار عن الثاني، ثم يعود فينصرف عن الإخبار عن الثاني إلى الإخبار عن الأول[٥].

وقول القَزْوينيّ[٦] (٧٣٩هـ): "إنَّ الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها"[٧].

---

(١) البديع في نقد الشعر: ٢٠٠.

(٢) عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الأنصاري، الزَّمْلَكَانِيّ، أبو محمد، صاحب علم المعاني والبيان، من تصانيفه: التبيان في علم البيان، ونهاية التأميل في أسرار التنزيل في التفسير، توفي سنة إحدى وخمسين وستمائة.

ينظر ترجمته في: شذرات الذهب: ٤٣٨/٧، ومعجم المؤلفين: ٢٠٩/٦.

(٣) ينظر: التبيان في علم البيان: ١٧٣، ١٧٤، باختصار.

(٤) عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر، أديب، وشاعر، صنف كتاب: تحرير التحبير في البديع، والخواطر السوانح في أسرار الفواتح وغيرها، توفي توفي سنة أربع وخمسين وستمائة.

ينظر ترجمته في: شذرات الذهب: ٤٥/٧، ومعجم المؤلفين: ٢٦٥/٥.

(٥) ينظر: بديع القرآن: ٤٥، باختصار.

(٦) محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد، جلال الدين، أبو المعالي، فقيه، وأصولي، ومحدث، وأديب، وشاعر، عالم بالعربية والمعاني والبيان، ألَّف ألَّف تلخيص المفتاح في المعاني والبيان، وشرحه بشرح سمَّاه الإيضاح، كانت وفاته سنة تسع وثلاثين وسبعمائة.

ينظر ترجمته في: شذرات الذهب: ٢١٦/٨، ٢١٧، ومعجم المؤلفين: ١٤٥/١٠، ١٤٦ .

(٧) الإيضاح: ٨٦/٢.

يظهر للمتأمل تبايُن مصطلح الالتفات عند البلاغيين، وتعريفهم له بحدود متقاربة في الدلالة؛ إذ لم يخرجوا في تعريفاتهم عن أصل معناه اللغوي الذي يرتبط بالتنقُّل والتحوُّل بالكلام من صيغة إلى أخرى، والذي أراه أنَّ تعريف ابن الْمُعْتَزّ للالتفات هو الأقرب والأنسب، إذ يُعَدُّ تعريفه أول تعريف اصطلاحي ورد إلينا، كما أنه حدَّد المحاور الأساسية للالتفات (وهي المخاطب والمتكلم والغائب) دون أن يُقيِّده بتلك المحاور، وهذا من شأنه أن يعطي الباحثين والدارسين مجالًا في أن يُضَمِّنوا الالتفات صورًا وأنواعًا أخرى جديدة، وإلى مثل هذا أشار الدكتور جليل رشيد فالح في كتابه (فن الالتفات في مباحث البلاغيين)[١].

ولأصالة هذا الفن ووفرة دلائله المعنوية، والفنية، والجمالية تنازَع أهل البلاغة في تصنيفه؛ فعَدَّه بعضهم من علم البديع؛ كأبي هلال العسكري[٢]، وابن مُعْتَزّ[٣]، والباقِلّانيّ[٤]، وعَدَّه آخرون من علم البيان؛ كابن الأثير[٥]، والزَّمَخْشَريّ[٦]،

---

(١) ينظر: فن الالتفات في مباحث البلاغيين: ٦٨.

(٢) الصناعتين: ٣٩٢.

(٣) البديع في البديع: ١٥٢.

(٤) إعجاز القرآن: ٩٩، والباقِلّاني هو: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم البصري، أبو بكر، كان إمامًا، بارعًا، ثقة، صنَّف تصانيف تصانيف واسعة في الرد على الفرق الضالَّة، توفي سنة ثلاث وأربعمائة.

ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: ١٧/١٩٠-١٩٣، وشذرات الذهب: ٥/٢٠، ٢١.

(٥) المثل السائر: ٢/١٣٥، وابن الأثير هو: نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشَّيْباني الجزري، كان ذا لسان وفصاحة وبيان، من أشهر كتبه: المثل السائر، توفي سنة سبع وثلاثين وستمائة.

ينظر ترجمته في: بغية الوعاة: ٢/٣١٥، وشذرات الذهب: ٧/٣٢٨، ٣٢٩.

(٦) الكشاف: ١/١٣، والزمخشري هو: محمود بن عمر بن محمد، أبو القاسم، كان إمامًا في التفسير والنحو واللغة والأدب، واسع العلم، كبير الفضل، متفننًا في علوم شتى، له من التصانيف: الكشاف في تفسير القرآن، والفائق في غريب الحديث، ونكت الأعراب في غريب الإعراب، توفي سنة ثمانٍ وثلاثين وخمسمائة.

ينظر ترجمته في: إرشاد الأريب: ٦/٢٦٨٧-٢٦٩١، وسير أعلام النبلاء: ٢٠/١٥١، ١٥٢.

وأما السَّكّاكيّ[١] فتارة يجعله من علم البيان[٢]، وتارة يجعله من علم المعاني[٣]، وبَسْط هذه المسألة مستوفى شرحًا وتفصيلًا في كتاب (مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح)[٤]، وليس هذا التنازع إلا دليلًا على أهمية هذا الفن وعناية البلاغيين به.

وكذلك نال هذا الفن منزلةً لدى بعض المفسرين؛ فأوَّلوه عناية عندما عرَّفوا به وأبانوا بعضًا من صوَره في تفاسيرهم، ومنهم الإمام الطَّبَريّ[٥] (٣١٠هـ) الذي تكلم عن الالتفات في تفسيره، وإن كان لم ينص عليه باسمه، حيث قال: "وكان عَقَل[٦] عن العرب أنَّ مِن شأنها إذا حكت أو أمرت بحكاية خبر يتلو القول أن تخاطِب ثم تخبر عن غائب، وتخبر عن الغائب ثم تعود إلى الخطاب، لِما في الحكاية بالقول من معنى الغائب والمخاطب"[٧].

---

(١) يوسف بن أبي بكر بن محمد، أبو يعقوب، إمام كبير، عالِم، بارع، متبحِّر في النحو، والتصريف، وعلم المعاني، والبيان، والعروض، والشعر، من أشهر مصنفاته: مفتاح العلوم، توفي سنة ست وعشرين وستمائة.

ينظر ترجمته في: إرشاد الأريب: ٢٨٤٦/٦، وشذرات الذهب: ٢١٥/٧.

(٢) مفتاح العلوم: ٤٢٩/١.

(٣) المرجع السابق: ١٩٩/١.

(٤) ينظر: مواهب الفتاح: ٢٨٧.

(٥) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر، كان حافظًا لكتاب الله، عارفًا بالقراءات، بصيرًا بالمعاني، فقيهًا في أحكام القرآن، عالِمًا بالسنن وطرقها، صحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفًا بأقوال الصحابة والتابعين، عارفًا بأيام الناس وأخبارهم، توفي سنة عشر وثلاثمائة.

ينظر ترجمته في: معرفة القراء الكبار: ١٥٠، وطبقات المفسرين للداوودي: ١١٠/٢-١١٢.

(٦) الْعَقْلُ: نقيض الجهل، يقال: عَقَلَ يَعْقِلُ عَقْلًا، إذا عرف ما كان يجهله قبل، أو انزجر عما كان يفعله، وجمعه عقول، ورجل عاقل وقوم عقلاء، عقلاء، ينظر: مقاييس اللغة مادة "عَقَلَ": ٦٩/٤.

(٧) جامع البيان: ١٥٣/١.

ومن ذلك ما جاء من كلامه بعد قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَاراً وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْناً ءَاخَرِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٦].

حيث قال: "إنَّ المخاطَب بقوله: ﴿مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾، هو المخبَر عنهم بقوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾، ولكن في الخبر معنى القَول، ومعناه: قل يا محمد لهؤلاء القوم الذين كذَّبوا بالحق لمَّا جاءهم ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ والعرب إذا أخبرت خبرًا عن غائب وأَدخلت فيه قولًا فعلَت ذلك، فوجَّهت الخبر أحيانًا إلى الخبر عن الغائب، وأحيانًا إلى الخطاب"[(١)].

(١) المرجع السابق: ٢٦٤/١١.

وهذا الإمام الرَّازِيّ[١] (٦٠٦هـ) في مفاتيح الغيب يتحدث عنه ويقول: "والعدول من المغايبة إلى النفس فيه فصاحة وحكمة؛ أمّا الفصاحة فمذكورة في باب الالتفات من أنَّ السامع إذا سمع كلامًا طويلًا من نمط واحد ثم وردَ عليه نمط آخر يستطيبه"[٢].

وقد عَرَج إلى لطيفة من لطائفه عند قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾ [سورة النساء: ٦٤].

حيث قال: "إنما قال: ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ ولم يقل: واستغفرتَ لهم؛ إجلالًا للرسول عليه الصلاة والسلام، وأنهم إذا جاءوه فقد جاءوا مَن خَصَّهُ الله برسالته، وأكرمه بوحيه، وجعله سفيرًا بينه وبين خلقه، ومن كان كذلك فإن الله لا يَرُدُّ شفاعته، فكانت الفائدة في العدول عن لفظ الخطاب إلى لفظ المغايبة ما ذكرناه"[٣].

---

(١) محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، فخر الدين الرازي، القرشي، البكري، الإمام، المفسِّر، المتكلِّم، أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل، لُقِّب بشيخ الإسلام، وأتقن علومًا كثيرة وبرز فيها، واشتغل بالتدريس، من كتبه: مفاتيح الغيب، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، توفي سنة ست وستمائة.

ينظر ترجمته في: طبقات المفسرين للسيوطي: ١١٥، ومعجم المفسرين: ٥٩٦/٢.

(٢) مفاتيح الغيب: ١١٧/٢٥.

(٣) المرجع السابق: ١٢٦/١٠، ١٢٧.

وقد أبان أبو حَيَّان[١] (٧٤٥هـ) هذا الفن بقوله: "والانتقال من فنون البلاغة، وهو الانتقال من الغَيْبة للخطاب أو التكلم، ومن الخطاب للغَيْبة أو التكلم، ومن التكلم للغَيْبة أو الخطاب"[٢].

ونبَّه إليه كثيرًا، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٠].

حيث قال: "﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ هذا التفات من غَيْبة إلى خطاب؛ لأنَّ قبله ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾، فالواو ضمير للغائب، وحِكمة هذا الالتفات ما في الإقبال بالخطاب على المخاطَب؛ ليتهيأ لسماع ما يُلْقَى إليه، وقبوله، والتحرُّز فيه"[٣].

وممَّن ألَمَّ بالالتفات أبو السُّعود[٤] (٩٨٢هـ) في "إرشاد العقل السليم"، وأشار إلى ذلك في معرض تفسيره لكثير من الآيات، منها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم

---

(١) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيَّان، الإمام أثير الدين، الأندلسي الغرناطي، نَحويُّ عصره، ولُغَويُّه، ومُفسره، ومُحدِّثه، ومُقرئه، ومُؤرِّخه، وأديبه، من مصنفاته: البحر المحيط في التفسير، وإتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب، توفي سنة خمس وأربعين وسبعمائة.

ينظر ترجمته في: معرفة القراء الكبار: ٣٨٧، وطبقات المفسرين للداوودي: ٢/٢٨٧-٢٩١.

(٢) البحر المحيط: ١/٤٢.

(٣) المرجع السابق: ٢/٤١١.

(٤) محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، أبو السعود، الإمام العلّامة، مفسر، وأصولي، وشاعر، عارف باللغات العربية والتركية والفارسية، من آثاره: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، توفي سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة.

ينظر ترجمته في: شذرات الذهب: ١٠/٥٨٤-٥٨٦، معجم المفسرين: ٢/٦٢٥، ٦٢٦.

بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي ٱلتَّوْرَٰلةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [سورة التوبة: ١١١].

قال أبو السُّعود: "﴿فَاسْتَبْشِرُواْ﴾ التفات إلى الخطاب؛ تشريفًا لهم على تشريف، وزيادة لسرورهم على سرور"(١).

كما أشار إليه الآلوسيّ(٢) (١٢٧٠هـ) بعد تفسيره لقوله تعالى:﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم ۞ بِأَيَّامِ ٱللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سورة إبراهيم: ٦-٧].

حيث قال: "والالتفات من التكلم إلى الغَيْبة بإضافة الأيام إلى الاسم الجليل؛ للإيذان بفخامة شأنها"(٣).

---

(١) إرشاد العقل السليم: ١٠٦/٤.

(٢) محمود بن عبد الله بن محمود بن درويش الحسيني، شهاب الدين، أبو الثناء، الآلوسي شيخ علماء العراق في عصره، مفسِّر، ومحدِّث، وفقيه، وأديب، ولُغَوي، عكف على التأليف إلى أن توفي، من أشهر تصانيفه: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، وله أيضًا دقائق التفسير، توفي سنة سبعون ومائتين وألف.

ينظر ترجمته في: معجم المفسرين: ٦٦٥/٢.

(٣) روح المعاني: ١٧٨/٧.

وقد اهتم بإيراده الطاهر ابن عاشور، فكان الالتفات عنده أحد الفنون البلاغية التي عَنَى بها عنايةً كبيرة، وأخذت حيزًا كبيرًا من جهوده البلاغية، وسيأتي الحديث عنه لاحقًا إن شاء الله[1].

(١) ينظر: ٨٤، وما بعدها.

المطلب الثاني: أغراض الالتفات وفوائده

الالتفات من الفنون ذات الأثر الفعَّال، الْمُلَبِّية للطبيعة البشرية في حُبِّ التنقل، والتغيير، والتلوين، استجابةً لقريحة العرب في حبِّهم للتفنُّن بأساليب الكلام، وتَظهر قيمته بفوائد عامة، وأخرى خاصة تناسب مقتضى الحال، وقد أشار إليها الزَّمَخْشَريّ في كشّافِه عند كلامه عن الالتفات بعد قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة: ٥]، حيث قال: "وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرُّفهم فيه، ولأنَّ الكلام إذا نُقِل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطريةً لنشاط السامع، وإيقاظًا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد، وقد تختص مواقعه بفوائد"(١).

يشير كلام الزَّمَخْشَريّ إلى أنَّ الالتفات لا يَصدر إلا من حاذق ومتمكِّن من أساليب الكلام؛ هذا من جهة المتكلِّم، أما من جهة التأثير ففيه تطرية للكلام الذي من شأنه أن يجدِّد نشاط السامع، ويجذب انتباهه، دفعًا للملل والسآمة فيما لو كان الكلام على وتيرة واحدة، وهو بذلك ينصُّ على فائدته العامة، وأمّا عبارته: "تختص مواقعه بفوائد"، فقد بيَّن فيها أنَّ للالتفات فوائد ولطائف خاصّة تناسب المقام، أو الموضع، أو الآية، أو السّياق بعينه.

---

(١) الكشاف: ١/١٤.

وإلى مثل هذا أشار السَّكّاكيّ [١]، وحازم القَرْطاجَنِّي [٢]، والزَّرْكَشِي[٣]، والسُّيوطيّ[٤].

وقد نحا الطاهر ابن عاشور منحى الزَّمَخْشَريّ حين قال: ولأهل البلاغة عناية بالالتفات؛ لأنَّ فيه تجديد أسلوب التعبير عن المعنى بعينه، تحاشيًا من تكرُّر الأسلوب الواحد عدَّة مِرار، فيحصُل بتجديد الأسلوب تجديد نشاط السامع كي لا يَمل من إعادة أسلوب بعينه، فهذه فائدة مطَّردة في الالتفات، ثم إنَّ البُلغاء لا يقتصرون عليها غالبًا، بل يراعون للالتفات لطائف ومناسبات، ولم يَزَلْ أهل النقد والأدب يستخرجون ذلك من مغاصِّه[٥].

حيث ذكَر هنا الفائدة المطَّردة للالتفات، وبيَّن أنَّ هناك لطائف وأسرارًا لم يَزَل الكشف عنها من قِبَل أهل البلاغة والأدب، ولعل مَن فتح الله عليه بالتدبر والتأمل يتجلّى له ما لا يتجلّى لغيره، ولا سيَما في القرآن الكريم؛ فأسراره لا تنقضي، وعجائبه لا تنتهي، وهذا بلا شك من إعجاز القرآن الكريم.

---

(١) مفتاح العلوم: ١٩٩/١.

(٢) منهاج البلغاء: ٣٤٨، القَرْطَاجَنِّي هو: حازم بن محمد بن حسين بن حازم النّحوي الأنصاري ، أبو الحسن، شيخ البلاغة والأدب، صنَّف: سراج البلغاء في البلاغة، وقصيدة في النحو على حرف الميم وغيرها، توفي سنة أربع وثمانين وستمائة.

ينظر ترجمته في: بغية الوعاة: ٤٩١/١، ٤٩٢، وشذرات الذهب: ٦٧٦/٧.

(٣) البرهان: ٣١٤/٣، والزَّركشي هو: محمد بن بهادر بن عبد الله المصري الشافعي، أبو عبد الله، كان فقيهًا، وأصوليًّا ومفسِّرًا، وأديبًا، له تصانيف كثيرة، منها: البرهان في علوم القرآن، وشرح البخاري، توفي سنة أربع وتسعين وسبعمائة.

ينظر ترجمته في: طبقات المفسرين للداوودي: ١٦٢/٢، ١٦٣، وشذرات الذهب: ٥٧٢/٨، ٥٧٣.

(٤) الإتقان في علوم القرآن: ٢٨٩/٣، والسيوطي هو: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري، إمامًا، وحافظًا، ومؤرخًا، ومحدثًا، ومفسِّرًا، وأديبًا، كان أعلم أهل زمانه بعِلم الحديث وفنونه رجالًا، وغريبًا، ومتنًا، وسندًا، واستنباطًا للأحكام منه، من مؤلفاته: الإتقان في علوم القرآن، والدُّر المنثور في التفسير بالمأثور، توفي سنة إحدى عشرة وتسعمائة.

ينظر ترجمته في: شذرات الذهب: ٧٤/١٠-٧٨، ومعجم المفسرين: ٢٦٤/١.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ١٧٩/١، باختصار.

إضافة إلى ما سبق من الفوائد والفرائد فإن الالتفات -إلى جانب أساليب التفنُّن الأخرى في القرآن الكريم- يُعين على استماع السامعين، ويدفع سآمة الإطالة عنهم، فتُقْبِل النفوس على الإكثار من قراءته الذي هو غرض من أغراض القرآن، قال تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ [سورة المزمل: ٢٠][(١)].

قال ابن عاشور: "﴿مَا تَيَسَّرَ﴾ يقتضي الاستكثار بقدر التيسير، وفي تناسُب أقواله وتفنُّن أغراضه مَجْلَبَةٌ لذلك التيسير، وعَونٌ على التكثير"[(٢)].

ختامًا تجدر الإشارة إلى أنَّ نُكَت الالتفات وأسراره الخاصة كثيرة في القرآن الكريم، منها على سبيل المثال: التعظيم، والإعراض، والتشريف، والتحقير، والامتنان، والتكريم، والتوبيخ، والتقريع، والمبالغة، وتشديد الإنكار، والتبكيت، والإنذار، والتعريض، والتهديد، والتلذيذ بالخطاب، وتنشيط الهمم، وإيقاظ القلوب،

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١/١١٦، بتصرف.

(٢) التحرير والتنوير: ١/١١٦.

والحط من رتبة الخطاب، والحكاية لغير المخاطَبين، والتخصيص، والتأييس، والتشهير، والتنصيص بالحال الذميم، وتمحيض الخطاب للمؤمنين، والتعجيب، والمقت، والتبعيد، والطرد، وغيرها مما سيظهر في الدراسة التطبيقية من هذا البحث[1].

(١) ينظر: ٩٥-٢٠٩، وقد ذُكرت فوائد الالتفات في جملة من المراجع، ومنها ينظر: أسرار الالتفات في ضوء الذكر الحكيم: ٧٩-٩٢، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: ٢٦،٢٧، الطاهر ابن عاشور وجهوده البلاغية: ٢٣٣-٢٣٩، بلاغة الالتفات عن أبي السعود في تفسيره: ١٠١-١٠٣، وقد تطرق إلى ذكرها محجوب الحسن محمد، في مقال تحت عنوان (من فوائد الالتفات ومقاصده في القرآن الكريم)، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز، العدد٤، (١٤١١هـ-١٩٩١م)، ص١٨١-١٨٨.

المبحث الثاني

عناية ابن عاشور بالالتفات

وتحته مطلبين:

- المطلب الأول: مفهوم الالتفات عند ابن عاشور.
- المطلب الثاني: طرق التعبير عن الالتفات عند ابن عاشور.

المطلب الأول: مفهوم الالتفات عند ابن عاشور

عرض ابن عاشور مفهوم الالتفات عنده في مقدمته العاشرة من تفسيره التحرير والتنوير، وقد أدرجه ضمن وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، فقال: "نرى من أفانين الكلام الالتفات، وهو نقْل الكلام من أحد طرق التكلم، أو الخطاب، أو الغَيْبة، إلى طريق آخر منها، وهو بمجرَّده معدود من الفصاحة، وسمَّاه ابن جِنِّي[١] "شجاعة العربية"[٢]؛ لأنَّ ذلك التغيير يجدِّد نشاط السامع، فإذا انضم إليه اعتبار لطيف يناسب الانتقال إلى ما انتقل إليه صار من أفانين البلاغة، وكان معدودًا عند بُلغاء العرب من النَّفائس، وقد جاء منه في القرآن ما لا يُحصى كثرةً مع دِقة المناسبة في الانتقال"[٣].

إن المتأمل في كلام ابن عاشور هذا يتضح له عدة أمور:

١- أنه اعتبر الالتفات أحد فنون الكلام، وزاد في موضع آخر أنه من أعظم أساليب التفنُّن[٤]، وهذا يؤيد كلام سابقيه من أهل البلاغة[٥].

٢- أنه بمفهومه هذا ينظر إلى الالتفات بشيء من الخصوصية، وهو بذلك ينضم للذين تطرَّقوا إلى الالتفات بمفهومه الضَّيق، حيث حصروا الالتفات في الانتقال بين الضمائر فقط، أي بأحد الطُّرق

---

(١) عثمان بن جني النحوي، أبو الفتح، من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف، صنَّف في النحو والتصريف كتبًا أبدع فيها؛ كالخصائص، والمنصف، وصنَّف كتابًا في شرح القوافي إلى غير ذلك، توفي سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة.

ينظر ترجمته في: نزهة الألباء: ٢٤٦، وبغية الوعاة: ١٣٢/٢.

(٢) ينظر: الخصائص: ٣٦٢/٢.

(٣) التحرير والتنوير: ١٠٩/١.

(٤) المرجع السابق: ١١٦/١.

(٥) ينظر: المبحث السابق: ٧٢.

الثلاثة: "التكلم، والخطاب، والغَيْبة"؛ كابن الْمُعْتَزّ[١]، والزَّمَخْشَريّ[٢]، والسَّكّاكيّ[٣]، بخلاف مَن تطرَّق للالتفات بمفهومه الواسع الذي هو العدول من أسلوب إلى أسلوب، سواءً كان ذلك بين الأعداد، أو بين الضمائر، أو بين الأفعال، كابن الأثير[٤].

٣- أنَّ هذا الفن معدود عنده من الفصاحة؛ بل ومن النفائس عند بُلغاء العرب، وهو بلا شك فن أصيل تكلم عنه العرب قديمًا، وظهر في شعرهم ونثرهم، وقد تبين لنا في المبحث السابق اهتمام أهل البلاغة العربية به منذ القرن الثاني الهجري.

٤- ساق ابن عاشور تسمية ابن جِنِّي له "بشجاعة العربية"، وقد علَّل ابن عاشور تلك التسمية بذِكْر الفائدة العامة للالتفات، التي هي تجديد نشاط السامع، وفي الحقيقة أنَّ ما ذكره ابن عاشور لا يُعَدُّ تعليلًا مباشرًا لهذه التسمية، والأقرب من هذا أنه إنما سُمِّي "بشجاعة العربية" لأنه لمَّا كان في الالتفات قوة ينتقل بها بين التكلم، والخطاب، والغَيْبة، ومن الجمع إلى التثنية أو العكس، وغيرها من أنواع الالتفات، دون أن يخرج عن حدِّ الفصاحة والبلاغة، ودون أن يُخِلَّ في استيفاء المعاني؛ صار في نفسه شجاعًا بالنسبة للعربية، تشبيهًا له بالرجل الشجاع الذي تحمله شجاعته في الحرب على التقديم، والتأخير، والقرب، والبعد، والإقبال، والإدبار، فشجاعة الالتفات تحمِله على التجوُّل في جانب المعاني كيف شاء[٥].

---

(١) البديع في البديع: ١/١٥٢، ١٥٣.

(٢) الكشاف: ١/١٤،١٣.

(٣) عروس الأفراح: ١/٢٧٢، ٢٧٣.

(٤) المثل السائر: ٢/١٣٥-١٤٣.

(٥) ينظر: جوهر الكنز: ١١٨، ١١٩.

٥- ذكر ابن عاشور أنَّ الالتفات كثير في القرآن الكريم، ويظهر ذلك في تفسيره، فقد أوردَ - فيما ظهر عندي- ما يقرب من مئة وخمسة وثمانين موضعًا، ألحقتُها في الثبت الخاص بالمواضع في نهاية هذا البحث.

٦- وضع ابن عاشور هذا الفن من ضمن وجوه الإعجاز في القرآن الكريم؛ لأنَّ أسراره ولطائفه لا تنقضي، ولا يستطيع أحد حَصْرها، وهذا سِرٌّ من أسرار الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، كما أنَّ الالتفات الناتج من تعدُّد القراءات هو بحد ذاته من الإعجاز القرآني، حيث إنَّ تنوع ألفاظ القرآن في الآية الواحدة بحيث تصبح كل قراءة بمنزلة الآية وما يترتب عليه من معانٍ، ودقائق، وجماليات، فيه من الإعجاز ما لا يخفى، وقد أشار الرَّازِيّ إلى ذلك في تفسيره واصفًا هذا الإعجاز بقوله: "إنَّ القرآن كما أنه مُعْجِز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضًا مُعْجِز بحسب ترتيبه ونَظْم آياته، ولعل الذين قالوا: إنه مُعْجِز بحسب أسلوبه، أرادوا ذلك"[(١)].

٧- وفي قوله: "مع دقة المناسبة في الانتقال"، إشارة إلى أنَّ الانتقال الحاصل في الالتفات له مناسبات بين المنتقَل منه والمنتقَل إليه هي في منتهى الرقة والدقة، بحيث لا يشعر سامعه وقارئه بانتقاله إلا عند حصوله، وليس ذلك بغريب على نَظْم القرآن الكريم[(٢)].

وقد بيَّن ابن عاشور ضوابط الالتفات عند أئمة البلاغة، فقال: "وفي ضابط أسلوب الالتفات رأيان لأئمة علم البلاغة؛ أحدهما رأي مَن عدا السَّكّاكيّ من أئمة البلاغة، وهو أنَّ المتكلم بعد أن يعبِّر عن ذات بأحد الطرق الثلاثة؛ مِن تكلم، أو غَيْبة، أو خطاب، ينتقل في كلامه ذلك فيعبِّر عن تلك الذات بطريق آخر

(١) مفاتيح الغيب: ١٠٦/٧.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١١٦/١.

من تلك الثلاثة، وخالَفهم السَّكّاكيّ فجعل مسمَّى الالتفات أن يعبِّر عن ذات بطريق من طرق التكلم، أو الخطاب، أو الغَيْبة، عادلًا عن أحدهما الذي هو الحقيق بالتعبير في ذلك الكلام إلى طريق آخر منها"[(١)].

ومن عناية ابن عاشور بالالتفات ذِكْره لضابط أسلوب الالتفات عند أئمة البلاغة على رأيين:

الرأي الأول: وهو المشهور عند الجمهور، أنَّ الالتفات يتحقَّق بالتعبير عن المعنى بطريق من الطرق الثلاثة "الخطاب والتكلم والغَيْبة"، بعد التعبير عنه بطريق آخر منها.

أما الرأي الثاني: رأي السَّكّاكيّ الذي يتحقَّق عنده الالتفات بنفس الصورة التي عند الجمهور، وينفرد بصورة أخرى، وهي التعبير عن المعنى بأحد الطرق إلى طريق آخر منها مخالِفًا مقتضى ظاهر الكلام، فكل التفات عند الجمهور التفات عند السَّكّاكيّ وليس العكس[(٢)].

---

(١) التحرير والتنوير: ١/١٧٨.

(٢) ينظر: الإيضاح: ٢/٨٦، ٨٧.

المطلب الثاني: طرق التعبير عن الالتفات عند ابن عاشور

التزم ابن عاشور في إشارته لمواطن الالتفات عبارات متشابهة سار عليها في تفسيره، ومنها[١]:

١- أن يعبِّر عنه صراحة بالالتفات، وهو الأكثر عنده، ومنها ما قاله عند قوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَالنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَاۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة التغابن: ٨]، قال: "﴿ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَاۚ﴾ التفات من الغَيْبة في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [سورة التغابن: ٣]، إلى المتكلم ﴿أَنزَلْنَاۚ﴾؛ لزيادة الترغيب في الإيمان بالقرآن، تذكيرًا بأنه مُنَزَّل من الله؛ لأنَّ ضمير التكلم أشد دلالة على معاده من ضمير الغائب، ولتقوية داعي المأمور"[٢].

٢- وأحيانًا يشير إليه بقوله: "على طريقة الالتفات"، كما في قوله تعالى: ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ [سورة الغاشية: ٢٤-٢٥]، قال ابن عاشور: "ونقل الكلام من أسلوب الغَيْبة في قوله: ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ﴾ إلى أسلوب التكلم بقوله: ﴿إِلَيْنَا﴾ على طريقة الالتفات"[٣]، أو: "مِن قَبِيل الالتفات"، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [سورة النبأ: ٦-٨]، قال ابن عاشور: "والكلام موجَّه

(١) ترتيب هذه الفقرات بالنظر لكثرة ورودها عند ابن عاشور.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٧٣/٢٨.

(٣) المرجع السابق: ٣٠٨/٣٠.

إلى منكري البعث، وهم الموجَّه إليهم الاستفهام، فهو من قَبِيل الالتفات؛ لأنَّ توجيه الكلام في قوة ضمير الخطاب بدليل عطف ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَاجاً﴾ عليه"[(١)].

٣- وقد يعبِّر عنه بقوله: "قريبًا من الالتفات وليس عينه"، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾ [سورة طه: ٧٨]، قال ابن عاشور: "قرأ الجميع ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ﴾ فباعتبار قراءة حمزة، والكسائي، وخلف ﴿قد أنجيتكم- وواعدتكم﴾ بتاء المفرد، تكون قراءة ﴿وَنَزَّلْنَا﴾ - بنون العظمة - قريبًا من الالتفات وليس عَيْنَه؛ لأنَّ نون العظمة تساوي تاء المتكلم"[(٢)].

٤- وقد يوَضِّح الالتفات دون أن يسميه، ثم يقول: "وهو ضرْب من الالتفات"، كما في قوله تعالى: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ ٱللَّهَ فَأْوُۥاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفِقاً﴾ [سورة الكهف: ١٥-١٦]، قال ابن عاشور: "ثم إنْ كان الكلام من مبدئه خطابًا لقومهم أعلنوا

(١) التحرير والتنوير: ١٣/٣٠.

(٢) المرجع السابق: ٢٧٥/١٦.

به إيمانهم بينهم كانت الإشارة في قولهم: ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا﴾ على ظاهرها، وكان ارتقاء في التعريض لهم بالموعظة، وإن كان الكلام من مبدئه دائرًا بينهم في خاصَّتهم كانت الإشارة إلى حاضر في الذهن، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ يَّكْفُرْ بِهَا هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ [سورة الأنعام: ٨٩]، أي: مشركو مكة، يتعين أن يكون هذا من كلام بعضهم لبعض على سبيل النصح والمشورة الصائبة، وليس يلزم في حكاية أقوال القائلين أن تكون المحكيات كلها صادرة في وقت واحد، فيجوز أن يكونوا قال بعضهم لبعض ذلك بعد اليأس من ارْعِوَاء قومهم عن فتنتهم في مقام آخر، ويجوز أن يكون ذلك في نفس المقام الذي خاطبوا فيه قومهم بأن غَيَّرُوا الخطاب من مواجهة قومهم إلى مواجهة بعضهم بعضًا، وهو ضرْب من الالتفات"[(١)].

٥- وقد يأتي بعبارة "سكون الالتفات": كما في قوله تعالى: ﴿رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَنْ يُّؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً نُّدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقاً﴾ [سورة الطلاق: ١١]، قال ابن عاشور: "قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر ﴿نُّدْخِلْه﴾ بنون العظمة، وقرأه الباقون بالتحتية على أنه عائد إلى اسم الجلالة من قوله: ﴿وَمَنْ يُّؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾، وعلى قراءة نافع وابن عامر يكون فيه سكون الالتفات"[(٢)].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥/٢٧٥، ٢٧٦.

(٢) المرجع السابق: ٢٨/٣٣٨.

٦- وقد يعرِض وجه الالتفات المحتمَل في الآية ويقول: "وهو يحتمِل الالتفات"، كما في قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٥]، قال ابن عاشور: "وقوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ﴾ قرأه الجمهور بنون المتكلم المشارك، وهو يحتمل الالتفات بأن يكون من مقول قول محذوف دَلَّ عليه السياق وعُطِف ﴿وَقَالُوا۟﴾عليه، أو النون فيه للجلالة، أي: آمنوا في حال أننا أمرناهم بذلك لأننا لا نُفرق، فالجملة معترضة، وقيل: هو مقول لقول محذوف دَلَّ عليه ﴿ءَامَنَ﴾؛ لأنَّ الإيمان اعتقاد وقول"[(١)].

ومن عناية ابن عاشور بالالتفات ذِكره لبعض اللطائف عَقِب الالتفات، كما في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ۖ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [سورة النمل: ٦٠]، قال ابن عاشور: "نون الجمع في ﴿فَأَنۢبَتْنَا﴾ التفات من الغَيْبة إلى الحضور، ومن لطائفه هنا

(١) التحرير والتنوير: ١١٣/٣.

التنصيص على أنَّ المقصود إسناد الإنبات إليه لئلا ينصرف ضمير الغائب إلى الماء؛ لأنَّ التذكير بالمنبِت الحقيقي الذي خلق الأسباب أَلْيَق بمقام التوبيخ على عدم رعايتهم نِعَمه"[(١)].

وكثيرًا ما يعرض ابن عاشور نكتة الالتفات الخاصة بالموضع نفسه، مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾ [سورة التين: ٤– ٧]، حيث قال: "الخطاب للإنسان المذكور في قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، فإنه بعد أن اسْتُثْنِي منه الذين آمنوا بقي الإنسان المكذِّب، وضمير الخطاب التفات، ومقتضى الظاهر أن يقال: فما يكذِّبه، ونكتة الالتفات هنا أنه أَصْرَحُ في مواجهة الإنسان المكذِّب بالتوبيخ"[(٢)].

وقد يُحسِّن الالتفات في بعض المواضع ويذكر السبب، مثل ما جاء من كلامه بعد قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝٣ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٣-٤]، قال ابن عاشور: "ضمائر جمْع الغائبين مراد منها المشركون الذين هُم بعض مَن شملته ضمائر الخطاب في الآية التي

(١) التحرير والتنوير: ٢٠/١١.

(٢) المرجع السابق: ٣٠/٤٣٠.

قبلها، ففي العدول عن الخطاب إلى الغَيْبة بالنسبة إليهم التفات أوجبه تشهيرُهم بهذا الحال الذميم، تنصيصًا على ذلك، وإعراضًا عن خطابهم، وتمحيضًا للخطاب للمؤمنين، وهو من أحسن الالتفات؛ لأنَّ الالتفات يُحسِّنه أن يكون له مقتضٍ زائد على نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب المراد منه تجديد نشاط السامع"[(١)].

(١) التحرير والتنوير: ١٣٣/٧، ١٣٤.

القسم الثاني: الدراسة التطبيقية

وفيها مبحثان:

- المبحث الأول: شواهد قرآنية لأقسام الالتفات.
- المبحث الثاني: المواضع الأخرى التي عَدَّها ابن عاشور من الالتفات.

المبحث الأول

شواهد قرآنية لأقسام الالتفات

وتحته ستة مطالب:

- المطلب الأول: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.
- المطلب الثاني: الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.
- المطلب الثالث: الالتفات من الغيبة إلى التكلم.
- المطلب الرابع: الالتفات من التكلم إلى الغيبة.
- المطلب الخامس: الالتفات من الخطاب إلى التكلم.
- المطلب السادس: الالتفات من التكلم إلى الخطاب.

القسم الثاني: الدراسة التطبيقية

المبحث الأول: شواهد قرآنية لأقسام الالتفات

من خلال استقرائي لأنواع الالتفات عند ابن عاشور وجدتها تنحصر في صور التحوُّل بين أنواع الضمائر الثلاثة؛ من غَيْبة إلى خطاب، ومن خطاب إلى غَيْبَة، ومن غَيْبَة إلى تكلُّم، ومن تكلُّم إلى غَيْبَة، ومن خطاب إلى تكلُّم، ومن تكلُّم إلى خطاب.

المطلب الأول: الالتفات من الغَيْبَة إلى الخطاب

ومعناه: أن يكون أسلوب الكلام جاريًا على ضمائر الغَيْبة، ثم ينتقل إلى ضمائر الخطاب، وهذا النوع هو أكثر الأنواع ورودًا عند ابن عاشور، ومن أمثلته:

المثال الأول:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١-٢].

المعنى العام للآيات:

يخبر الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات أنه المستحق للحمد كله، وله كامل القدرة والإحاطة والعلم والإنعام، فهو سبحانه أهل للمحامد كلها، ولَما ورد هذا الإخبار تَبِعَهُ ذِكْر بعض أفعاله الموجِبة للحمد، وهي ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، و ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾، ومع هذا كله كفر به بعض عباده، وجعلوا له شريكًا وعِدْلًا، تعالى الله عز وجل عن ذلك علوًّا كبيرًا، ثم ذكَّرهم تعالى بأصل خَلْقِهم من

آدم، ثم ضرب الله لهم مدةً لإقامتهم في الدنيا، وضرب أجلًا آخر لبعثهم يوم القيامة، ثم بعد هذا يشُكُّون في قدرة الله على البعث[١].

موضع الالتفات:

في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم﴾ و﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ بأسلوب الخطاب بعد أن كان للغائب في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

نص كلام ابن عاشور المتعلق بالالتفات:

قال ابن عاشور: "الخطاب في قوله: ﴿خَلَقَكُم﴾ موجَّه إلى الذين كفروا، ففيه التفات من الغَيْبة إلى الخطاب؛ لقصد التوبيخ".

أوضح ابن عاشور نكتة الالتفات في الآيات الواردة، وهي توبيخ الذين كفروا، وقد ذكر في معرض تفسيره للآيات ما يُظْهِر هذه النكتة، فالمتأمل في سياق الآيات يلحظ أنَّ هذه النكتة جاءت ملائمة لِما ورد في سياقها، فبعد أن ذكَّرهم تعالى ببعض أفعاله الدالَّة على وحدانيته، وذكَّرهم بأظهر الدلائل على قدرته على البعث؛ وهي التذكير بأصل خَلْقِهِم من طين، تعجَّب من حالهم كيف جمعوا بين الاعتراف بأنَّ الله هو خالقهم الخلق الأول وبين إنكارهم في الخلق الثاني!

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ٢٦٥/٢، تفسير القرآن العظيم: ٢١٤/٣، تيسير الكريم الرحمن: ٢٥٠.

ومعلوم أنَّ الإعادة أيسر من مبدأ الخلق، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [سورة الروم: ٢٧]، وقوله: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سورة ق: ١٥]، وقد جاءت ﴿ثُم﴾ في قوله: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ للتراخي الرُّتْبِي[١] كغالب وقوعها في عطف الجمل للانتقال من خبر إلى أعجبَ منه[٢]، ويرى ابن عَطِيَّة أنَّ ﴿ثُم﴾ في هذا الموضع لازمة للتوبيخ على سوء فعل الذين كفروا بعد مهلة من إيضاح الحجج[٣]، وذكر الزَّمَخْشَرِيّ أنَّ معنى ﴿ثُم﴾ هنا استبعاد لأن يَمْتَرُوا فيه بعدما ثبت أنه مُحْييهم، ومُميتهم، وباعثهم[٤]، وقد نقل السَّمين الحَلَبِيّ[٥] هذين القولين وتعقَّبهما بقوله: "ما قالاه من أنها للتوبيخ والاستبعاد ليس بصحيح؛ لأنها لم تُوضَع لذلك، والاستبعاد والتوبيخ مستفاد من السياق لا من ﴿ثُم﴾"[٦]، فقد نفى أن تكون ﴿ثُم﴾ هنا للتوبيخ أو للاستبعاد، ورأى أنَّ السياق هنا هو الموجِب للتوبيخ.

---

(١) التراخي هو أحد الغرضين اللذين تأتي لهما ثمَّ العاطفة، حيث يقال فيها إن العطف بها يقتضي الترتيب والتراخي، ويقصد بالتراخي المهلة والانفصال الزمني، ينظر: معجم المصطلحات النحوية والصرفية: ٩٢.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٢٩/٧-١٣١.

(٣) المحرر الوجيز: ٢٦٧/٢.

(٤) الكشاف: ٤/٢.

(٥) أحمد بن يوسف بن محمد، وقيل: عبد الدائم، شهاب الدين، أبو العباس، صاحب الإعراب المشهور، قرأ النحو على أبي حيان، والقراءات على ابن الصايغ، له تفسير القرآن الكريم وإعرابه وشرح التسهيل وشرح الشاطبية وغيرها، توفي سنة ست وخمسين وسبعمائة.

ينظر ترجمته في: طبقات المفسرين للأدنه وي: ٢٨٧، شذرات الذهب: ٣٠٧/٨.

(٦) الدر المصون: ٥٢٥/٤.

ومما يؤيد هذه النكتة أيضًا مجيء المسند إليه ﴿أَنتُم﴾ في قوله: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ ضميرًا بارزًا للتوبيخ[١].

وسبق أبو السُّعود والآلوسيّ ما أورده ابن عاشور في نكتة الالتفات، وأضافَا أنَّ فيها زيادة تشنيع وتوبيخ؛ لبيان بطلان كفرهم بالبعث مع مشاهدتهم لِمَا يوجِب الإيمان[٢].

فيما يرى أبو حَيَّان أنَّ الالتفات هنا نكتته تنبيه الكافر على أصل خَلْقه، وبيان قدرة الله تعالى في قضاء الآجال، حيث قال: التفاتٌ من الغائب قُصِد به الكافر تنبيهًا له على أصل خَلْقِه، وقضاء الله تعالى عليه وقدرته[٣].

وقد نظر القاسِميّ[٤] إلى نكتة الالتفات نظرًا مباينًا، وهو أنَّ الالتفات بالخطاب هنا يعطي للإنسان فرصة للنظر، والتفكُّر والتأمل في أصل خَلْقه، وهي الأقرب إليه من النظر إلى الدلائل الكونية كخلق السموات والأرض المذكورة قبل هذا الالتفات[٥].

وفيما يظهر أنَّ ما أورده ابن عاشور هو الأصل، وما عداه فَرْعٌ عنه.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٢٩/٧-١٣١.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم: ١٠٦/٣، روح المعاني: ٨٣/٤.

(٣) ينظر: البحر المحيط: ٤٣٣/٤، باختصار.

(٤) جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي، إمام الشام في علم الدين وفنون الأدب، خلَّف آثارًا قيِّمة، منها: كتاب محاسن التأويل في تفسير القرآن الكريم، توفي سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة وألف. ينظر ترجمته في: معجم المفسرين: ١٢٧/١.

(٥) محاسن التأويل: ٣١٣/٤.

المثال الثاني:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَاراً وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٦].

المعنى العام للآيات:

جاءت هذه الآية في سياق وعظ المشركين المكذِّبين، وتحذيرهم من أن يصيبهم ما حَلَّ بالأمم المكذِّبة قبلهم الذين مكَّنهم[(١)] الله في الأرض ما لم يمكِّن لهؤلاء المشركين، وأنعم عليهم بإنزال الأمطار، وجريان الأنهار من تحت مساكنهم، لكنهم كفروا به وكَذَّبوا الرسل، فأهلكهم الله بذنوبهم، وأنشأ من بعدهم قرنًا آخَرين[(٢)].

موضع الالتفات:

في قوله تعالى: ﴿لَّكُمْ﴾ لخطاب المشركين[(٣)]، بعد أن كان للغَيْبة في قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ﴾.

---

(١) لسان العرب: مادة (مكن) ٤١٢/١٣، يقال: مَكَّنْتُه ومكَّنت له فتمكَّن (المفردات: ٧٧٣)، مكَّن له في الأرض: جعل له مكانًا فيها، والمعنى: والمعنى: لم نعطِ أهل مكة نحو ما أعطينا عادًا وثمودَ وغيرهم من البسطة في الأجسام، والسَّعة في الأموال، والاستظهار بأسباب الدنيا. (الكشاف: ٦/٢).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢١٥/٣، تيسير الكريم الرحمن: ٢٥٠.

(٣) وهذا قول الطبري، ينظر: جامع البيان: ٢٦٤/١١، وقيل: الخطاب للمؤمنين ولجميع المعاصرين لهم من سائر الناس، ينظر: المحرر الوجيز: ٢٦٩/٢.

نص كلام ابن عاشور المتعلق بالالتفات:

قال ابن عاشور: "والخطاب في قوله: ﴿لَّكُمْ﴾ التفات موجَّه إلى الذين كفروا؛ لأنهم الممكَّنون في الأرض وقت نزول الآية، وليس للمسلمين يومئذ تمكين"[١].

علَّل ابن عاشور نكتة الالتفات إلى خطاب المشركين؛ وهي كون المشركين هم الممكَّنون في الأرض وقت نزول الآية، وبالنظر لنوع سورة الأنعام نجد أنها سورة مكية، نزلت في مكة جملة واحدة[٢]، والسور المكية على أشهر الأقوال[٣] ما نزلت قبل هجرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة، والتمكين آنذاك كان للمشركين.

ونبَّه أبو السُّعود إلى نكتة أخرى لهذا الالتفات، حيث قال: "والالتفات لِما في مواجهتهم بضَعف الحال مزيدُ بيان لشأن الفريقين، ولِدفع الاشتباه من أول الأمر عن مرجعَي الضميرين"[٤].

فهو يشير بنكتته إلى أنَّ في مواجهتهم بضَعف حالهم كونهم أقل تمكينًا من القرون الْمُهْلَكة قبلهم فيه زيادةُ بيان لشأن الفريقين، ويُقْصَد بهم القرون الْمُهْلَكة والمشركون المخاطَبون؛ وليتضح مرجعَا الضميرين في ﴿مَّكَّنَّٰهُمْ﴾ و ﴿نُمَكِّن لَّكُمْ﴾، فلا يَحصُل بينهما لَبْس.

---

(١) التحرير والتنوير: ١٣٨/٧.

(٢) عدا ثلاث آيات منها نزلت في المدينة: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ.....﴿١٥١﴾﴾، إلى تمام الآيات الثلاث (الإتقان في علوم القرآن: ٣٩/١).

(٣) البرهان في علوم القرآن: ١٨٧/١.

(٤) إرشاد العقل السليم: ١١١/٣.

وتَبِعَ الآلوسيّ أبا السُّعود في هذه النكتة، وأشار إلى أنَّ أهل المعاني لم يتعرَّضوا لها، وأضاف عليها نكتة أخرى في أنَّ الالتفات إليهم بالخطاب فيه تبكيت لهم[١]، حيث قال: "والالتفات لِما في مواجهتهم بضَعف حالهم من التبكيت ما لا يخفى، وقيل: ليتضح مرجع الضميرين ولا يَشتبه من أول الأمر، وهي نكتة في الالتفات لم يُعرِّج عليها أهل المعاني"[٢].

وقد سَبَق البِقاعيّ[٣] أبا السُّعود والآلوسيّ إلى فائدة الالتفات هذه، حيث قال: "والالتفات من الغَيْبة إلى الخطاب لِئلا يَلتبس الحال؛ لأنَّ ضمير الغائب يَصلُح لكل من المفضول والفاضل"[٤].

ويذكُر أبو حَيَّان أنَّ الالتفات هنا فيه إشارة لِنقص أحوال هؤلاء المشركين المخاطَبين، وقلة تمكينهم عن من سبقهم من القرون المتقدمة الذين حصَل لهم الهلاك، وهو يستلزم هلاك المشركين من باب أَولى، فيُفْهَم منه معنى النذارة، حيث قال: "و﴿لَّكُمْ﴾ خطاب لهم، فهو التفات، والمعنى أنَّ القرون الْمُهْلَكة أُعْطُوا من البسطة في الدنيا والسَّعة في الأموال ما لم يُعْطَ هؤلاء الذين حُضُّوا على الاعتبار بالأمم السالفة وما جرى لهم، وفي هذا الالتفات تعريض بقِلة تمكين هؤلاء ونَقْصهم عن أحوال من سَبق، ومع تمكين أولئك في الأرض فقد حلَّ بهم الهلاك، فكيف لا يَحلُّ بكم على قِلَّتكم وضيق خطتكم؟ فالهلاك إليكم أسرع من الهلاك إليهم"[٥].

---

(١) والتبكيت: هو التقريع والتوبيخ، ينظر: لسان العرب: ١١/٢، مادة (بكت).

(٢) روح المعاني: ٩٠/٤.

(٣) إبراهيم بن عمر بن حسن الرِّبَاط الشافعي، برهان الدين، المحدِّث المفسِّر، الإمام العلَّامة المؤرِّخ، من الأئمة المتقنين المتبحرين في جميع المعارف، كثير النظم، جيد النثر في تراجمه ومراسلاته ومصنفاته، صنَّف تصانيف عديدة، من أجلِّها: المناسبات القرآنية، وعنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران، توفي سنة خمس وثمانين وثمانمائة.

ينظر ترجمته في: شذرات الذهب: ٥٠٩/٩، ٥١٠، والبدر الطالع: ١٩/١-٢١.

(٤) نظم الدرر: ٢٢/٧، ٢٣.

(٥) البحر المحيط: ٤٣٨/٤.

وجاءت فائدة الالتفات عند السَّمين الحَلَبيّ موافقة لما أورده أبو حَيَّان[١].

والمتأمل في نكت هذا الموضع يلحظ أنَّ أهل اللغة والتفسير تناولوها من ناحيتين؛ من ناحية اللفظ في إيضاح عَوْد الضمائر والكشف عن المعاني، ومن ناحية التعريض بالمشركين في قلة تمكُّنهم، ونقص أحوالهم، وتبكيتهم وإنذارهم أن يحلَّ بهم الهلاك كما حلَّ بالأمم السابقة، وهكذا تتعاضد هذه النكت في وَعْظ المشركين، وتحذيرهم من أن يصيبهم العذاب كما حلَّ بأشباههم ونظرائهم من القرون السابقة.

المثال الثالث:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [سورة التوبة: ١– ٢].

المعنى العام للآيات:

في الآيات براءة من الله ومن رسوله إلى المشركين المعاهَدين[٢] بأنَّ لهم أربعة أشهر يسيحون في الأرض على اختيارهم، آمنين من المؤمنين، وفيها إنذار للمعاهَدين في مدة عهدهم أنهم وإن كانوا آمنين فإنهم لن يُعْجِزُوا الله، وأول هذه السورة الكريمة نزَل على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لَما رجع من غزوة تبوك وهَمَّ بالحج، وكان المشركون يحضرون عامهم هذا الموسم على عادتهم في ذلك، ويطوفون بالبيت عراة، فَكَرِهَ مخالطتهم، وبعث أبا بكر الصديق –رضي الله عنه– أميرًا على الحج تلك السنة؛ ليقيم للناس مناسكهم،

(١) ينظر: الدر المصون: ٥٣٨/٤.

(٢) الذين ظاهروا على رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، ونقضوا عهدهم قبل انقضاء مدته، وهو ما رجَّحه الطبري في تفسيره، ينظر: جامع البيان: ١٠٢/١٤.

ويُعْلِم المشركين أن لا يحجوا بعد عامهم هذا، وأن ينادِي في الناس براءة من الله ورسوله، فلما قفل أَتْبَعَهُ بعلي بن أبي طالب –رضي الله عنه– ليكون مُبلِّغًا عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–[(١)]، كما ورد في السنة عن أبي إسحاق[(٢)]، عن زيد بن يُثَيْع[(٣)]، قال: سألت عليًّا: ((بأي شيء بُعِثْتَ؟ قال: "بأربع: لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يجتمع المسلمون والمشركون بعد عامهم هذا، ومَن كان بينه وبين النبي –صلى الله عليه وسلم– عهد فعهده إلى مُدَّتِه، ومن لا مدة له فأربعة أشهر))[(٤)].

موضع الالتفات:

في قوله تعالى: ﴿فَسِيحُواْ﴾ للمخاطَبين من أهل العهد المشركين، بعد أن كان الإخبار عنهم بالغَيْبة في قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

نص كلام ابن عاشور المتعلق بالالتفات:

قال ابن عاشور: "﴿فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾، الفاء للتفريع على معنى البراءة؛ لأنها لَما أمر الله بالأذان بها كانت إعلامًا للمشركين الذين هم المقصود من نَقْض العهد الذي كان بينهم وبين

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٨٩/٤، ٩٠، تيسير الكريم الرحمن: ٣٢٨.

(٢) هو عمرو بن عبد الله السَّبيعي الكوفي، شيخ الكوفة، وعالمها، ومحدِّثها، رأى عليًّا، وغزَا الروم زمن معاوية، توفي سنة سبع وعشرين ومائة. ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: ٣٩٢/٥، وشذرات الذهب: ١١٩/٢.

(٣) الهمداني الكوفي، ثقة مخضرم من الثانية، روى عن علي وحذيفة بن اليمان، وكان قليل الحديث. ينظر ترجمته في: تقريب التهذيب: ٢٢٥، والطبقات الكبرى: ٢٤٥/٦.

(٤) رواه الترمذي في كتاب الحج، باب ما جاء في كراهية الطواف عريانًا، برقم: ٨٧١، (٢١٣/٣)، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

المسلمين، فضمير الخطاب في فعل الأمر معلوم منه أنهم الموجَّه إليهم الكلام، وذلك التفات، فالتقدير: فليسيحوا في الأرض، ونكتة هذا الالتفات إبلاغ الإنذار إليهم مباشرة"[(١)].

ذكر ابن عاشور نكتة الالتفات إلى خطاب المشركين المعاهَدين؛ وهي إبلاغ الإنذار إليهم مباشرة، ولا شك أنَّ مجيء الإنذار بأسلوب الخطاب أبلَغ، وأقوى، وأكثر تأثيرًا.

وقد أشار أبو حَيَّان إلى فائدة الخطاب هنا؛ وهي التهديد لأولئك المعاهَدين، حيث قال: "﴿فَسِيحُواْ﴾ أمْر إباحة، وفي ضمنه تهديد، وهو التفات من غيبة إلى خطاب، أي: قل لهم سِيحُوا"[(٢)].

وقد علَّل البِقاعيّ الالتفات بالخطاب بقوله: "ولعل الالتفات إلى الخطاب إشارة إلى أنَّ مَن تَرَكَ أمر الله حدبًا على قريب أو عشير فهو منهم، وقد برِئت منه الذمة، فليَنْجُ بنفسه، ولا نَجَاءَ له، أو يكون لاستعطاف الكفار تلذيذ الخطاب، وترهيبهم بزواجر العقاب"[(٣)]، فكأنه في تعليله الأول يرى أنَّ في الخطاب تحذيرًا لمن ترك أمر الله لأدنى سبب، حيث لا مَفَرَّ ولا منجى من الله إلا إليه، وفي تعليله الثاني يرى أنَّ في الخطاب ترهيبًا للكفار.

وقد نبَّه أبو السُّعود إلى نكتة الالتفات هنا؛ وهي المبالغة في إعلامهم، وإعطاؤهم مُهلة حتى لا يكون للمشركين المعاهَدين أي عذر أو حُجَّة، وذكَر أنَّ مجيء الفعل بصيغة الأمر﴿فَسِيحُواْ﴾ إظهار لقوة المسلمين وغلبتهم، حيث قال: "وتلوين الخطاب بصَرْفه عن المسلمين وتوجيهه إليهم مع حصول المقصود بصيغة أمر

---

(١) التحرير والتنوير: ١٠/١٠٥.

(٢) البحر المحيط: ٥/٣٦٧.

(٣) نظم الدرر: ٨/٣٧٢.

الغائب أيضًا للمبالغة في الإعلام بالإمهال، حسمًا لمادة تعلُّلهم بالغفلة، وقطعًا لشأفة اعتذارهم بعدم الاستعداد، وإيثار صيغة الأمر مع تَسَنِّي إفادة ذلك المعنى بطريق الإخبار أيضًا كأن يقال مثلًا: فلكم أن تسيحوا، أو نحو ذلك؛ لإظهار كمال القوّة والغلبة، وعدم الاكتراث لهم ولاستعدادهم، فكأنَّ ذلك أمر مطلوب منهم"(١).

وكأنَّ الآلوسيّ يُشعر بفائدة الالتفات؛ وهي الإعلام للمشركين المعاهَدين بحصول الأمان لهم مدة محدَّدة، ففيه ترغيب لدخولهم الإسلام، كما فيه إظهار لغلبة المسلمين، وقوتهم، وعدم اكتراثهم باستعداد المشركين، حيث قال: "الالتفات من الغَيْبة إلى الخطاب، والمقصود الإباحة والإعلام بحصول الأمان من القتل والقتال في المدة المضروبة، وذلك ليتفكَّروا ويحتاطوا، ويستعدُّوا بما شاؤوا، ويَعلموا أنْ ليس لهم بعدُ إلا الإسلام أو السيف، ولعل ذلك يحمِلهم على الإسلام، ولأنَّ المسلمين لو قاتلوهم عقيب إظهار النقض فربما نُسِبُوا إلى الخيانة، فأُمْهِلُوا سدًّا لباب الظن، وإظهارًا لقوة شوكتهم وعدم اكتراثهم بهم وباستعدادهم، وللمبالغة في ذلك اختيرت صيغة الأمر دون: فلكم أن تسيحوا"(٢).

المثال الرابع:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ

(١) إرشاد العقل السليم: ٥/٤٠، ٤١.

(٢) روح المعاني: ٥/٢٣٩.

فِيهَاۚ هِيَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [سورة التوبة: ٦٧-٦٩].

المعنى العام للآيات:

في هذه الآيات يذكُر الله عز وجل بعض صفات أهل النفاق، وما أعدَّه لهم من العذاب الأليم، وهذا مشابِه لِما كان عليه حال المكذِّبين من الأمم السابقة، الذين كانوا على جانب من القوة والمال والأولاد أكثر منهم، لكنهم اتبعوا الشهوات ورَضُوا بها عِوَضًا عن الآخرة، فبطلت أعمالهم وكانوا هم الخاسرون[1].

موضع الالتفات:

في قوله تعالى: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ لخطاب المنافقين، بعد أن كان للغائب ابتداءً من قوله تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُون وَالْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾.

(١) ينظر: معالم التنزيل: ٣٦٧/٢، ٣٦٨، تفسير القرآن العظيم: ١٥٢/٤، تيسير الكريم الرحمن: ٣٤٣.

نص كلام ابن عاشور المتعلق بالالتفات:

قال ابن عاشور: "قيل: هذا الخطاب التفات عن ضمائر الغَيْبة الراجعة إلى المنافقين، إلى خطابهم؛ لقصد التفريع، والتهديد بالموعظة، والتذكير عن الغرور بما هم فيه من نعمة الإمهال بأنَّ آخر ذلك حَبْط الأعمال في الدنيا والآخرة، وأن يَحق عليهم الخسران"(١).

ذكر ابن عاشور نكتة الالتفات إلى خطاب المنافقين في هذا الموضع؛ وهي تهديدهم مع تذكيرهم، وبيان مآلهم إن استمروا على ما هُم عليه.

وعلَّل البِقاعيّ مناسبة الخطاب في هذا الموضع حيث قال: "ولمَّا كان حالهم في الإقبال على العاجلة لكونها حاصلة، والإعراض عن العاقبة لأنها غائبة، متشابهًا لحال مَن كان قبلهم من الأمم الخالية والقرون الماضية، بَيَّنَ لهم ذلك، وختم ببيان سوء أحوالهم، وقُبْح مآلهم بتلاشِي أعمالهم؛ فقال ملتفتًا إلى أسلوب الخطاب؛ لأنه أوقع في باب العتاب، وأقعد في استجلاب المصالح للمَتاب"(٢).

فالنكتة عنده مفادها أنَّ مخاطبتهم أشد في معاتبتهم، لا سيما إذا كان العتاب متعلِّق ببيان سوء حالهم، وتشبيه حالهم بحال مَن كان قبلهم في أمرهم بالمنكر، ونهيِهم عن المعروف المؤدِّي لسوء عاقبتهم، كما أنَّ خطابهم في هذا المقام أجدر لمناصحتهم حتى يتوبوا.

وقد ذكَر أبو السُّعود، والآلوسيّ، والقاسِميّ، أنَّ مجيء الالتفات هنا للخطاب بعد الغَيْبة؛ لمواجهة المنافقين والتشديد عليهم جرَّاء سوء أعمالهم(٣).

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٥٦/١٠.

(٢) نظم الدرر: ٥٢٢/٨.

(٣) إرشاد العقل السليم: ٨١/٤، روح المعاني: ٣٢٣/٥، محاسن التأويل: ٤٥١/٥.

وكل ما ذُكِرَ من نكت في هذا الموضع متحقِّق في حق المنافقين، ومناسِب لِقُبح أفعالهم.

المثال الخامس:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَداً ۝٨٨ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً﴾ [سورة مريم: ٨٨– ٨٩].

المعنى العام للآيات:

لمَّا قرَّر تعالى في هذه السورة الشريفة عبودية عيسى – عليه السلام – وذكَر خَلْقه من مريم بلا أبٍ، شرع في مقام الإنكار على مَن زعم أنَّ له ولدًا –تعالى وتقدَّس وتنزَّه عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا– فقال: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَداً﴾ يعني اليهود والنصارى، ومَن زعم أنَّ الملائكة بنات الله، ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ﴾ أي: في قولكم هذا، ﴿شَيْئاً إِدّاً﴾ أي: عظيمًا وخيمًا[1].

موضع الالتفات:

في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ﴾ للخطاب، بعد أن كان للغائب في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ﴾.

(١) ينظر: معالم التنزيل: ٢٥٢/٣، تفسير القرآن العظيم: ٢٣٥/٥، تيسير الكريم الرحمن: ٥٠١.

نص كلام ابن عاشور المتعلق بالالتفات:

قال ابن عاشور: "والخطاب في ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ﴾ للذين قالوا: ﴿إِتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَداً﴾ ، فهو التفات لِقصد إبلاغهم التوبيخ على وجه شديد الصراحة، لا يلتبس فيه المراد"(١).

بيَّن ابن عاشور نكتة الالتفات إلى الخطاب في هذا الموضع وهي التوبيخ، وهذا المعنى قد سبقه إليه الزَّرْكَشِيّ، وأضاف عليه معنًى آخر، وهو كون الخطاب هنا أبلغ في الإهانة، حيث قال: "عدل عن الغَيْبة إلى الخطاب؛ للدلالة على أنَّ قائل مثل قولهم ينبغي أن يكون موبَّخًا ومنكَرًا عليه، ولَما أراد توبيخهم على هذا أخبَر عنه بالحضور، فقال: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ﴾؛ لأنَّ توبيخ الحاضر أبلَغ في الإهانة له"(٢).

فيما ذكر المفسرون لهذا الموضع نُكَتًا أخرى للالتفات متقاربة في المعنى، وكلها في نظري محتمَلة، فهذا البَيْضاوِيّ(٣) يرى أنَّ الانتقال هنا للخطاب من باب المبالغة في ذمِّهم، وتسجيل الجراءة عليهم، حيث قال: "﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً﴾ على الالتفات للمبالغة في الذمِّ والتسجيل عليهم بالجراءة على الله تعالى"(٤).

---

(١) التحرير والتنوير: ١٦/١٧٠.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٣/٣٣٠.

(٣) عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، البيضاوي أبو الخير القاضي، ناصر الدين، كان إمامًا صالحًا، متعبدًا زاهدًا، من مصنفاته: المصباح في أصول الدين، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل وغيرها، توفي سنة خمس وثمانين وستمائة، وقيل: سنة إحدى وتسعين وستمائة.

ينظر ترجمته في: طبقات المفسرين للأدنه وي: ٢٥٤، ٢٥٥، وشذرات الذهب: ٧/٦٨٥، ٦٨٦.

(٤) أنوار التنزيل: ٤/٢٠.

وزاد النَّيسابوريّ[١] في أنَّ خطابهم هنا فيه إيماء إلى تعرُّضهم لسخط الله، حيث قال: "وفي قوله: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ﴾التفات من الغَيْبة إلى المخاطبة تسجيلًا عليهم بالجراءة والتعرُّض لسخطه"[٢].

وقد سبق إلى ذلك أبو حَيَّان، وذكر أمرًا آخر في أنَّ الالتفات هنا فيه تنبيه على عظيم ما قالوا، حين قال: "خرج من الغَيْبة إلى الخطاب زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله، والتعرُّض لسخطه، وتنبيه على عظيم ما قالوا"[٣].

أما أبو السُّعود والآلوسيّ فقد اتفقا بذِكر أنَّ الخطاب هنا يُنبِئ عن كمال السخط وشدة الغضب، فجاء الالتفات ليُفصح عن قباحة قولهم وشناعته، وليسجل عليهم غاية الوقاحة، والجهل والجراءة[٤]، بل واعتبر البِقاعيّ الخطاب هنا من باب تشديد الإنكار عليهم إيماءً إلى تناهي الغضب[٥].

والأقوال الواردة في نُكَت الالتفات في مُجملها متقاربة ومحتمَلة، وقول الزَّرْكَشِيّ في نظري هو الأنسب؛ لأنَّ توبيخ الحاضر أبلَغ في الإهانة، فالمخاطبة في هذا المقام أجدر، وفيه دلالة على أنَّ كل من قال مثل قولهم ناله التوبيخ والإهانة باستشعاره بأنَّ الخطاب موجَّه له، فهو ليس خاصًّا بالمشركين فحسب، وإنما لكل من قال بقولهم، وهذا ما استحقوه جرَّاء قولهم الشنيع، الذي وصفه الله تعالى بـ﴿إِدًّا﴾ ، والإدُّ في اللغة هو الأمر

---

(١) الحسن بن محمد بن محمد بن حسن الصفوري البوريني، بدر الدين، مؤرخ، عالم بالتفسير، والحديث، والفقه، والأدب، اشتغل بالتدريس في بعض مدارس دمشق، وتوفي بها، من كتبه: حاشية على أنوار التنزيل في التفسير للبيضاوي.

ينظر ترجمته في: معجم المفسرين: ١٤٦/١.

(٢) غرائب القرآن: ٥١٠/٤.

(٣) البحر المحيط: ٣٠٠/٧.

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٢٨٢/٥، روح المعاني: ٤٥٤/٨.

(٥) نظم الدرر: ٢٤٨/١٢.

الفظيع، والدّاهية، والمنكَر[١]، ومن هول قولهم هذا تكاد السماوات على عظمتها وصلابتها تتفطَّر منه، وتنشق الأرض، وتخِرُّ الجبال هدًّا، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا، فجاء التعبير بالالتفات هنا ملائمًا ليرُدَّ باطلًا وينقِضه، ثم تأتي الحقيقة لتؤكد ذلك في قوله: ﴿وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً﴾ [سورة مريم: ٩٢].

المثال السادس:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ۝٣٣ لِيَكْفُرُواْ بِمَا ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الروم: ٣٣-٣٤].

المعنى العام للآيات:

في هذه الآيات يشير الله تعالى إلى عادة الناس التي جُبِلوا عليها؛ أنهم إذا مسَّهم الضُّر دعوا ربهم تعالى منيبين إليه، فإذا رحمهم وكشف عنهم ضُرَّهم إذا فريق منهم يعودون إلى الشرك مرة أخرى، فيعبدوا مع الله غيره ليكفروا بما آتاهم الله ومنَّ به عليهم، فسوف يعلمون عاقبة ذلك[٢].

موضع الالتفات:

في قوله تعالى: ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ للخطاب، بعد أن كان للغائب في قوله تعالى: ﴿دَعَوْاْ رَبَّهُم﴾.

---

(١) القاموس المحيط: مادة (الإدُّ) ١/٢٦٥.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٦/٢٨٥، تيسير الكريم الرحمن: ٦٤١.

نص كلام ابن عاشور المتعلق بالالتفات:

قال ابن عاشور: التفت عن الغَيْبة إلى الخطاب بقوله: ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ توبيخًا لهم وإنذارًا، وجيء بفاء التفريع[(١)] في قوله: ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾؛ لأنَّ الإنذار والتوبيخ مفرَّعان عن الكلام السابق، والأمر في (تمتعوا) مستعمَل في التهديد والتوبيخ، والفاء في ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تفريع للإنذار على التوبيخ، وهو رشيق[(٢)].

أوضح ابن عاشور نكتة الالتفات في هذا الموضع، وهي التوبيخ والإنذار مع التهديد، والمتأمِّل في الآيات يجد أنَّ مجيء الفعل (تمتعوا) بصيغة الأمر، وتعقيبه بقوله: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ فيه تأكيد على هذا المعنى، ووصَفه بأنه رشيق، ولعل ذلك استحسان منه لهذه النكتة في هذا الموضع.

كما أنَّ نكتة الالتفات جاءت مناسبة لهذا المقام، حيث أشارت الآيات إلى شيء من طبيعة النفس البشرية، حينما بيَّنت أنَّ الناس إذا أصابهم الضُّر التجؤوا إلى الله راجين كَشْف ضُرِّه ومتضرِّعين، ثم إذا استجاب الله لهم سارع فريق منهم إلى الشرك، فكانت عاقبة أمرهم الكفر بأنعُم الله، فناسب إنذارهم من شر تلك العاقبة بهذا الأسلوب البليغ.

ومن رحمة الله أنَّ الشِّرك في هذه الآية تعلَّق بفريق من الناس ولم يشملهم كلهم، وقد علَّق الرَّازِيّ على ذلك، وعلَّل مجيء الخطاب هنا وعدم مجيئه في الآية المشابهة لها من سورة العنكبوت في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا

---

(١) مقتضى فاء التفريع أن الكلام الواقع بعدها ناشئ عما قبله على حسب ترتيبه، ينظر: التحرير والتنوير: ٣٤٢/٢٧، وقيل: الفرع ما كان جزءًا من الأصل، أي أنه متفرع منه، ينظر: معجم المصطلحات النحوية والصرفية: ١٧٠.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٩٨/٢١، باختصار.

رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [سورة العنكبوت: ٦٥] مشيرًا إلى أنَّ الضُّر المذكور في هذا الموضع من سورة الروم هو الضُّر مطلقًا، فيتناول ضُرَّ البَرِّ، والبحر، والأمراض وغيرها، والمتخلِّص من أنواع الضُّر خَلْق كثير، بل جميع الناس يكونون قد وقعوا في ضُر ما وتَخلَّصوا منه، فلما كان الناجي من الضُّر من المؤمنين جمعًا كثيرًا جُعِلَ الباقي فريقًا، وصح أن يخاطَب الحاضر؛ لأنه منهم، فخوطب، بينما جاء الشرك في سورة العنكبوت عامًّا دون تعيين في قوله تعالى: ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾؛ لأنَّ الضُّر المذكور هناك ضُرٌّ مُعيَّن، وهو ما يكون من هَول البحر، والمتخلِّص منه بالنسبة إلى الخَلْق قليل، والذي لا يشْرِك به بعد الخلاص فرقة منهم في غاية القلة، فلم يجعل المشركين فريقًا؛ لِقلَّة مَن خرج من المشركين، فجاء التعبير شاملهم كلهم، وجاء التعبير بـ﴿وَلْيَتَمَتَّعُوا﴾ [سورة العنكبوت: ٦٦] بدون خطاب؛ لأنه لمَّا كان الضر المذكور هناك ضرًّا واحدًا جاز أن لا يكون في ذلك الموضع من المخلَصين من ذلك الضر أحد فلم يخاطَب[(١)].

وقد جاء تصوير هذه الجِبلَّة للإنسان في القرآن بعدة صور، منها ما جاء في قوله تعالى:﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَانَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِۦٓ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَآئِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة يونس: ١٢].

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٥/١٠٠.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَاداً لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [سورة الزمر: ٨].

ويظهر مما سبق أنَّ نكتة الالتفات التي أوردها ابن عاشور جاءت مناسبة لهذا الموضع من عدة جهات: من جهة المعنى العام للسياق، ومجي الفعل بصيغة الأمر، وتعقيبه بـ ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، وتكرُّر ذِكر هذه الجِبلَّة من الإنسان في القرآن، كما أنها متفقة مع ما ذكره المفسرون من نُكَت، علمًا بأنَّ النُّكَت كلها تدور حول الوعيد، والتهديد، والإنذار.

ومن تلك النُّكَت ما أورده البيضاوي؛ الذي يرى أن النكتة هنا هي المبالغة في التهديد، حيث قال: "﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَـٰهُمْ﴾ اللام فيه للعاقبة، وقيل للأمر بمعنى التهديد لقوله: ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾، غير أنه التفت فيه مبالغة"(١).

وتبِعه أبو السُّعود بذكر تلك النكتة، حيث قال: "﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَـٰهُمْ﴾ اللام فيه للعاقبة، وقيل للأمر التهديدي كقوله تعالى: ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ غير أنه التفت فيه للمبالغة"(٢).

وكان رأي الآلوسي موافقًا لهما في أنها للتهديد، حيث قال: ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ فإنه أمر تهديدي، وفيه

(١) أنوار التنزيل: ٢٠٧/٤.

(٢) إرشاد العقل السليم: ٦١/٧.

التفات من الغَيْبة إلى الخطاب[١]، وعبَّر الواحِدي[٢]، وابن عَطِيَّة[٣]، والنَّسَفي[٤] عن المراد من الأمر في قوله: ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ للوعيد.

ويظهر أنَّ الشَّوْكاني[٥] يرى في المخاطبة هنا معنى الوعيد، دون أن يصرِّح به حيث قال: "خاطب سبحانه هؤلاء الذين وقع منهم ما وقع فقال: ﴿فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ما يتعقَّب هذا التمتُّع الزائل من العذاب الأليم"[٦].

والمتتبِّع للنُّكَت الواردة يجد أنها متقاربة في المعنى ومحتمَلة، وما أورده ابن عاشور جامع لمعظم هذه النُّكَت.

---

(١) ينظر: روح المعاني: ٤٢/١١، باختصار.

(٢) ينظر: التفسير البسيط: ٦١/١٨، والواحدي هو: علي بن أحمد بن محمد بن علي، أبو الحسن، النيسابوري، الشافعي، الإمام العلّامة، مصنف و مفسر ونحوي، أتقن الأصول على الأئمة، وطاف على أعلام الأمة وأحسن في البحث والتنقير، من مصنفاته: التفاسير الثلاثة: "البسيط، الوسيط، الوجيز"، وشرح ديوان المتنبي، وله كتاب أسباب النزول، وكتاب الدعوات، توفي سنة ثمان وستين وأربعمائة.

ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: ٣٣٩/١٨-٣٤٢، وإرشاد الأريب: ١٦٥٩/٤، ١٦٦٠.

(٣) المحرر الوجيز: ٣٣٧/٤، وابن عطية هو: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، الغرناطي، أبو محمد، مفسِّر، قاضٍ، عارف بالأحكام والحديث، من فقهاء المالكية، كان فقيهًا جليلًا عارفًا بالأحكام، والحديث، والتفسير، من كتبه: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، توفي سنة اثنتين وأربعون وخمسمائة.

ينظر ترجمته في: معجم المفسرين: ٢٥٧/١.

(٤) مدارك التنزيل: ٧٠١/٢، والنَّسَفي هو: عبد الله بن أحمد بن محمود النسفيّ، حافظ الدين أبو البركات، مفسِّر، متكلِّم، أصوليّ، من فقهاء الحنفية، كان إمامًا في جميع العلوم، ومصنفاته في الفقه والأصول، وبارعًا في الحديث ومعانيه، من تصانيفه: مدارك التنزيل وحقائق التأويل في التفسير، توفي في سنة عشر وسبعمائة .

ينظر ترجمته في: طبقات المفسرين للأدنه وي: ٢٦٣، ومعجم المفسرين: ٣٠٤/١.

(٥) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الحسن، أبو عبد الله، فقيه، مفسِّر، أصولي، من أشهر كتبه: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ومطلع البدرين ومجمع البحرين، توفي سنة مئتان وخمسون وألف.

ينظر ترجمته في: معجم المفسرين: ٥٩٣/٢.

(٦) فتح القدير: ٢٦٠/٤.

المثال السابع:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [سورة السجدة: ٧ – ٩].

المعنى العام للآيات:

جاءت هذه الآيات المكية من ضمن الآيات التي تحمل في طياتها البراهين الدالة على وحدانية الله تعالى، بِدءًا بمسألة الخلق، ومرورًا بأطوار خَلْق الإنسان، وما امتنَّ الله به عليه من السمع، والبصر، والإدراك، التي هي مناط للتأمل والتفكر، المؤدي لشكر الله تعالى[1].

موضع الالتفات:

هو في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾ للخطاب، بعد أن كان للغائب في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ﴾، ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ﴾.

(١) ينظر: جامع البيان: ١٧٣/٢٠، تفسير القرآن العظيم: ٣٢١/٦، تيسير الكريم الرحمن: ٦٥٤.

نص كلام ابن عاشور المتعلق بالالتفات:

قال ابن عاشور: "والانتقال من الغَيْبة إلى الخطاب في قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾ التفات؛ لأنَّ المخاطَبين من أفراد الناس، وجعل السمع والأبصار والأفئدة للناس كلهم غير خاصٍّ بالمخاطَبين، فلما انتهض الاستدلال على عظيم القدرة وإتقان المراد من المصنوعات المتحدَّث عنهم بطريق الغَيْبة الشامل للمخاطَبين وغيرهم؛ ناسب أن يلتفت إلى الحاضرين بنقل الكلام إلى الخطاب؛ لأنه آثَرُ بالامتنان، وأسعد بما يَرِد بعده من التعريض بالتوبيخ في قوله: ﴿قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾، والامتنان بقوى الحواس وقوى العقل أقوى من الامتنان بالخلق وتسويته؛ لأنَّ الانتفاع بالحواس والإدراك متكرِّر متجدِّد، فهو محسوس، بخلاف التكوين والتقويم فهو محتاج إلى النظر في آثاره"(١).

ذكر ابن عاشور علَّة الانتقال للخطاب في قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾ حيث خاطب الله تعالى الناس كافَّة بعد أن كان الكلام في سياق فئة منهم؛ للدلالة على عظيم قدرته بما وهبه الله لهم من قوى الحواس، وقوى الإدراك، كما أنَّ مجيء تلك النعم بأسلوب الخطاب كفيلة بإسعاد المخاطَب واستشعاره لهذه المنة، لا سيما إذا كانت هذه المنَّة متكررة ومتجددة كالانتفاع بالسمع، أو بالبصر، أو بالإدراك، بخلاف تكوين الإنسان وتقويمه، لذا كان نَظْم القرآن في الانتقال من الغَيْبة إلى الخطاب هنا أنسب لمقام الامتنان.

وقد أشار بعض المفسرين في معرض وقوفهم عند هذه الآية لنُكَت أخرى لهذا الالتفات، فهذا الرَّازِيّ يذكُر أنَّ الخطاب إنما جاء لأنَّ الكلام هنا مع الحي بخلاف حاله قبل النفخ، فقال: "﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾

(١) التحرير والتنوير: ٢١٧/٢١.

مخاطِبًا ولم يخاطِب من قبل، وذلك لأنَّ الخطاب يكون مع الحي، فلما قال: ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ خاطَبه من بعده وقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾"[١].

أما أبو السُّعود فقد اعتبر الخطاب بعد الغَيْبة هنا دليل على استعداد الإنسان للفَهْم وصلاحيته له، فقال: "وفي حكاية أحوال الإنسان من مبدأ فطرته إلى نَفْخ الروح فيه بطريق الغَيْبة وحكاية أحواله بعد ذلك بطريق الخطاب المنبئ عن استعداده للفهم وصلاحيته له من الجزالة ما لا غاية وراءه"[٢].

وقريبًا من ذلك أشار الآلوسيّ في تفسيره حيث قال: "﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَارَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ التفات إلى الخطاب لا يخفى موقع ذِكْره بعد نَفْخ الروح، وتشريفه بخلعة الخطاب حين صَلُح للخطاب"[٣].

ونبَّه البِقاعيّ إلى نُكْتة الالتفات، والتي هي نفسها الفائدة العامة لكل التفات في لَفْت انتباه السامعين حتى ينتفعوا، حيث قال: ولَما ألقى السامعون لهذا الحديث أسماعهم، فكانوا جديرين بأن يزيد المحدِّث لهم إقبالهم وانتفاعهم، لفت إليهم الخطاب قائلًا: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَارَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾[٤].

---

(١) مفاتيح الغيب: ١٤١/٢٥.

(٢) إرشاد العقل السليم: ٨٢/٧.

(٣) روح المعاني: ١٢٢/١١.

(٤) ينظر: نظم الدرر: ٢٤٥/١٥، باختصار.

وأشار السَّمَرْقَنْدِيّ[١]، وأبو حَيَّان، والسَّمينُ الحَلَبيّ إلى هذا الالتفات دون التعرُّض لنُكَته المتعلقة به[٢].

والذي يبدو -والله أعلم- أنَّ ما ذُكِر من نُكَت الالتفات في هذه الآية محتمَل وهو يزيد من تأمل الإنسان وتفكُّره، حتى يؤدي حق الله في هذه النعم بشكره عليها، كما أنَّ تخصيصه لها بالذِّكر دلالة على عظمتها، وحاجة الإنسان لها، ولا شك أنَّ عظمة المخلوق من عظمة الخالق سبحانه.

المثال الثامن:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿لاَّ جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي ءَابَآئِهِنَّ وَلاَ أَبْنَآئِهِنَّ وَلاَ إِخْوَانِهِنَّ وَلاَ أَبْنَآءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلاَ أَبْنَآءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلاَ نِسَآئِهِنَّ وَلاَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً﴾ [سورة الأحزاب: ٥٥].

---

(١) نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الليث ، الإمام، الفقيه، المحدِّث، الزاهد، من مصنفاته: تفسير القرآن المسمى ببحر العلوم، وكتاب النوازل في الفقه، وتنبيه الغافلين، توفي سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة، وقيل: سنة خمس وسبعين وثلاثمائة.

ينظر ترجمته في: طبقات المفسرين للأدنه وي: ٩١، ٩٢، سير أعلام النبلاء: ٣٢٢/١٦، ٣٢٣.

(٢) بحر العلوم: ٢٩/٣، البحر المحيط: ٤٣٣/٨، الدر المصون: ٣٨/٩.

المعنى العام للآيات:

جاءت هذه الآية في رفع الإثم عن نساء المؤمنات من أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- وغيرهن من نساء المؤمنين في أن يُظهِرْنَ وجوههنَّ لمحارمهن، وأمَرَهنَّ تعالى بلزوم تقواه في جميع الأحوال، فهو سبحانه شهيد على أعمال عباده[١].

موضع الالتفات:

في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقِينَ﴾ للخطاب، بعد أن كان الكلام للغَيْبَة في قوله: ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ و﴿ءَابَآئِهِنَّ﴾.

نص كلام ابن عاشور المتعلق بالالتفات:

قال ابن عاشور: "والتفت من الغَيْبة إلى خطابهن في قوله: ﴿وَاتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾ لتشريف نساء النبيء -صلى الله عليه وسلم- بتوجيه الخطاب الإلهي إليهن"[٢].

جاءت نكتة الالتفات هنا ظاهرة بتشريفهنَّ بهذا الخطاب بعد أن كان الكلام موجَّه إلى نساء المؤمنين عمومًا بأسلوب الغَيْبة.

ويرى الزَّمَخْشَريّ أنَّ في خطابهن هنا زيادة تشديد بطَلَب التقوى فيما أُمِرْن به من الاستتار والاحتجاب، حيث قال: "نقل الكلام من الغَيْبة إلى الخطاب، وفي هذا النقل ما يَدلُّ على فضْل تشديد،

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٦/٤٠٤، تيسير الكريم الرحمن: ٦٧١.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٢/٩٦.

فقيل: ﴿وَاتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾ فيما أُمِرْتُنَّ به من الاحتجاب وأُنْزِل فيه الوحي من الاستتار"[١]، وقد تبِع أبو حَيَّان[٢] والآلوسيّ[٣] الزَّمَخْشَريَّ في نُكتته هذه.

وذكَر النَّيسابوريّ هذه النكتة، وأتبعها بذِكْر نكتة أخرى؛ وهي أنَّ في خطابهن هنا دافعًا لهنَّ ليلتزمْن أكثر فيما أُمِرْنَ به، ويكون حالهنَّ أفضل مما كُنَّ عليه سابقًا، حيث جاء في تفسيره: "في نقل الكلام من الغَيْبة إلى الخطاب في قوله: ﴿وَاتَّقِينَ﴾ فضْل تشديد، وبعْث على سلوك طريقة التقوى فيما أُمِرْن به من الاحتجاب، كأنه قيل: وليكن عملكنَّ في الْحُجْب أحسن مما كان"[٤].

ونبَّه البِقاعيّ إلى باعث الالتفات وهو أنه لَما كانت المرأة غالبًا من دواعي فتنة الرجل التفَت إلى خطابها وأمَرها بالتقوى؛ ليكون ذلك أَدخَل إلى نفسها، وعَدَّ عدم ظهورها على غير محارمها من الوَرَع[٥]، حيث قال: "ولَما كانت الرِّيبة ليست مقطوعًا بنفيها، وكانت من جهة النساء أكثر؛ لأنه لا يكاد رجل يتعرَّض إلا لِمن ظنَّ بها الإجابة؛ لِما يَرى من مَخايلها أو مَخايل أشكالها، أَقبل عليهنَّ بالخطاب؛ لأنه أوقع في النفس، فقال آمِرًا: ﴿وَاتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾، وأَبرز الأمر بها وجعله في أسلوب الخطاب؛ إيذانًا بأنَّ الوَرَع ترْك الظهور على أحد غير مَن يملك التمتُّع"[٦].

---

(١) الكشاف: ٥٥٧/٣.

(٢) البحر المحيط: ٥٠٢/٨.

(٣) روح المعاني: ٢٥١/١١.

(٤) ينظر: غرائب القرآن: ٤٧٤/٥.

(٥) وهذا يتفق مع ما ذكره ابن القيم –رحمه الله– عندما جعل من الورع ترك المحرمات المعلوم تحريمها، خوفًا من الله تعالى وتعظيمًا له، ينظر: مدارج السالكين: ٢٥/٢.

(٦) نظم الدرر: ٤٠٣/١٥، ٤٠٤.

وفيما يظهر أنَّ ما تقدم من نُكت وارد لهذا الالتفات، وأرى أنَّ في الخطاب أيضًا تحذيرًا لهن من أنْ يتعدَّيْنَ ما حدَّ الله لهن فيُظهِرن زينتهن لغير محارمهن؛ لذا جاء الخطاب بالأمر بالتقوى، والله تعالى أعلم.

المثال التاسع:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۖ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [سورة ص: ٤٩-٥٣].

المعنى العام للآيات:

يخبر الله تعالى في هذه الآيات إلى ما وعد به المتقين في الآخرة من أنواع النعيم في الجنات، يتنعمون فيها بكل ما تشتهيه نفوسهم، وتلذُّه أعينهم[(١)].

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٦٧/٧، ٦٨، وتيسير الكريم الرحمن: ٧١٥.

القراءات:

في قوله تعالى: ﴿هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ قرأ ابن كثير[١] وأبو عمرو[٢] هنا بياء الغيب، وقرأ الباقون بتاء الخطاب[٣]، وشاهد الالتفات من الغَيْبة إلى الخطاب في قراءة من قرأ بالتاء في ﴿تُوعَدُونَ﴾.

موضع الالتفات:

في قوله تعالى: ﴿هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ للخطاب، بعد أن كان للغَيْبة ابتداءً من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ احتمالان؛ الأول: أن يكون كلامًا قيل للمتقين وقت نزول الآية، وهذا ما اختاره الطَّبَريّ في تفسيره[٤]، والثاني: أن يكون كلامًا يقال للمتقين في

---

(١) عبد الله بن كثير بن المطلب، يكنى أبا عباد، وقيل: أبا بكر، إمام المكيين في القراءة، وأحد القراء السبعة، قرأ على عبد الله بن السائب المخزومي، وعلى مجاهد، وحدَّث عن ابن الزُّبير وغيره، كان فصيحًا بليغًا مفوَّهًا واعظًا، ثقة، توفي سنة اثنتين وعشرين ومائة.

ينظر ترجمته في: معرفة القراء الكبار: ٤٩، ٥٠، وسير أعلام النبلاء: ٣١٨/٥، ٣١٩، وشذرات الذهب: ٨٩/٢، ٩٠.

(٢) أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي البصري، كان أعلم الناس بالقراءات والعربية وأيام العرب، والشعر وأيام الناس، قرأ القرآن على سعيد بن جبير، ومجاهد، وطائفة، كانت وفاته في سنة أربع وخمسين ومائة.

ينظر ترجمته في: معرفة القراء الكبار: ٦٠، سير أعلام النبلاء: ٤٠٧/٦- ٤١٠.

(٣) ينظر التيسير: ١٨٨، والنشر: ٣٦١/٢.

(٤) جامع البيان: ٢٢٣/٢١.

الجنة، فتكون الجملة من مقول قول محذوف، والتقدير: (مقولًا لهم: هذا ما توعدون)، وهذا القول إما أن يكون من جانب الله تعالى، أو يكون من الملائكة[١].

نص كلام ابن عاشور المتعلق بالالتفات:

قال ابن عاشور: "قرأ الجمهور: ﴿تُوعَدُونَ﴾ بتاء الخطاب، فهو على الاحتمال الأول التفات من الغَيْبة إلى الخطاب؛ لتشريف المتقين بعزِّ الحضور لخطاب الله تعالى، وعلى الاحتمال الثاني الخطاب لهم على ظاهره"[٢].

فصَّل ابن عاشور نكتة الالتفات في هذا الموضع على المعنَيين المحتمَلَين في هذه الآية؛ فباعتبار من قال: إنَّ هذا القول للمؤمنين وقت نزول الآية؛ تجيء النكتة هنا لتشريف المتقين، وإشعارهم بعزِّ الحضور لخطاب الله تعالى لهم، وأي عزٍّ هذا العز! وأي شرف هذا الشرف!

وباعتبار من قال: إنَّ الخطاب للمؤمنين في الجنة؛ فالنكتة هنا على ظاهرها، أي أنَّ مدلولاتها واضحة وجليَّة، حيث إنَّ الإشارة إلى ما هو مشاهَد عندهم من النعيم، في هذا الوقت الذي يتنعَّمون فيه بأنواع النِّعم؛ هو بالفعل نعيم على نعيم، نسأل الله تعالى من فضله.

قال أبو السُّعود معلِّقًا على الالتفات عَقِب تفسيره للآيات: "والالتفات أليَق بمقام الامتنان والتكريم"[٣]، ويظهر أنَّ أبا السُّعود يشير إلى نكتة الالتفات باعتبار الاحتمال الثاني، فالنكتة عنده أنَّ خطاب

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٣/٢٨٤.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٣/٢٨٣، ٢٨٤.

(٣) إرشاد العقل السليم: ٧/٢٣٢.

أهل الجنة في مقام الامتنان والتكريم أنسب من الغَيبة.

ويرى السَّمينُ الحَلَبيّ أنَّ في خطابهم التفاتًا وإقبالًا عليهم[١]، حيث قال: "ووجْه الخطاب الالتفات إليهم، والإقبال عليهم"[٢]، وهذا قد يُحمَل باعتبار الاحتمال الأول أنَّ المخاطَبين هم المتقون وقت نزول الآية.

وعبَّر البِقاعيّ عن نكتة لطيفة، شملت الاحتمالين الواردين في هذا الموضع، حيث قال: "ومَن خاطَب لفَت الكلام؛ للتلذيذ بالخطاب، تنشيطًا لهمَمِهم، وإيقاظًا لقلوبهم"[٣].

فباعِث الالتفات عنده فيما يظهر هو تلذيذ أهل الجنة المنعَّمين بهذا الخطاب، باعتبار الاحتمال الثاني، أو هو من قَبِيل تنشيط الهمم وإيقاظ القلوب للمتقين المخاطَبين، حتى يسارعوا في الطاعات لينالوا ما أعد الله لهم من النعيم في الجنة باعتبار الاحتمال الأول.

وذكر صاحب كتاب "حجة القراءات"[٤] حجة قراءة من قرأ بالياء؛ في أنَّ الكلام أتى عقيب الخبر عن المتقين فأتبع ذلك فقال: ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَابُ﴾ ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ فجرى الكلام بعد ذلك بالخبر عنهم إذ كان في سياقه ليأتلف الكلام على نظام واحد، أما عن حجة قراءة من قرأ بالتاء بيَّن أن الخبر عنهم قد تناهى عند قوله ﴿أَتْرَابٌ﴾ ثم ابتدئ الكلام بعد ذلك بالخبر عن حكاية ما خوطبوا به[٥].

---

(١) وينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٤٣٩/١٦.

(٢) الدر المصون: ٣٨٦/٩، ٣٨٧.

(٣) نظم الدرر: ٤٠٣/١٦.

(٤) عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة، المتوفى (٤٠٣هـ).

(٥) ينظر: حجة القراءات: ٦١٤.

برز من خلال موضع الالتفات هذا نُكَت التشريف، والإقبال، والتلذيذ بالخطاب، وتنشيط الهمم، وإيقاظ القلوب وغيرها، ولعلَّنا نستطيع القول: إنَّ من النُّكت المستنبَطة من هذا الموضع تشويق المتقين وتبشيرهم، والنُّكت في هذا المقام على كثرتها لا تتعارض، بل تتشارك؛ لتُبرز إعجاز النَّظْم القرآني في ثراء دلالاته، ولا يفوتنا ملاحظة أنَّ هناك دلالات في سياق الآية تتآزَر مع ما ذكرنا من النُّكت، ومن أبرز ما جاء هنا وحسُن الالتفات إليه:

* اللام في ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ لام الاختصاص، أي لهم حُسن مآب يوم الجزاء[١].

* عنصر التشويق ظاهر في ذِكْر مآل المتقين دون الإفصاح عنه في أول الأمر عند قوله: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۖ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾، كما يبرز بوصف ذلك المآب بالحُسن.

* إضافة معنى الخلود إلى جنات في قوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ فهم خالدون فيها مخلَّدون.

* تصوير مشهد المتنعِّمين في الجنة وكأنه واضح للعيان فيه من التشويق ما لا يخفى.

* تفتيح الأبواب كناية عن التمكين من الانتفاع بنعيم الجنة، وهو يستلزم التخلية بين الداخل وبين الانتفاع بما وراء الأبواب[٢].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٣/٢٨١.

(٢) ينظر: المرجع السابق: ٢٣/٢٨٢.

* مجيء اسم الإشارة ﴿هَٰذَا﴾ للقريب تنزيلًا للمشار إليه منزلة الحاضر؛ إيماءً إلى أنَّه محقَّق وقوعه، وتبشيرًا للمتقين، هذا باعتبار الاحتمال الأول، والإشارة إلى ما هو مشاهَد عندهم من النعيم باعتبار الاحتمال الثاني[(١)].

* البناء للمفعول في قوله: ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ تحقيقًا لوقوع هذا الوعد وتَحَتُّمه[(٢)].

* وفي تعقيب الالتفات بـ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ زيادة امتنان بدوام النعيم وعدم انقطاعه، وهذه الدلالات وغيرها تؤكِّد على جماليَّات النص القرآني وروعته، فكل جزئية من جزئياته لها دلالاتها في التعبير عن المعاني لتنصبَّ في مَعين واحد، وكل ذلك بسلاسة أسلوب، وبراعة ألفاظ.

المثال العاشر:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾ [سورة التين: ٤-٧].

المعنى العام للآيات:

جاءت هذه الآيات جوابًا للقَسَم الظاهر في أول سورة التين، وقد تضمَّن هذا الجواب أظهر الدلائل على قدرة الله على البعث، فالذي خلق الإنسان في أحسن صورة بشكل منتصب القامة، مستوي الأعضاء،

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٨٣/٢٣، ٢٨٤.

(٢) ينظر: نظم الدرر: ٤٠٣/١٦.

ثم ردَّه إلى أرذل العمر قادر على الرجعة من باب أولى، فأي شيء أيها الإنسان يحمِلك على التكذيب بالمعاد وقد عرفتَ هذا؟[١]

موضع الالتفات:

في قوله تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ قولان: قيل: إنه النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ وهذا لا التفات فيه، وقيل: إنه الإنسان؛ وهذا الذي يَرِد عليه موضع الالتفات، فضمير الخطاب في قوله: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ التفات من الغَيْبة في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: (فما يكذِّبه)؛ على الغَيْبة[٢].

نص كلام ابن عاشور المتعلق بالالتفات:

قال ابن عاشور: ضمير الخطاب التفات، ونكتة الالتفات هنا أنه أصْرح في مواجهة الإنسان المكذِّب بالتوبيخ[٣].

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٨/ ٤٢٠، تيسير الكريم الرحمن: ٩٢٩.

(٢) وهذا ما اختاره الطبري حيث قال: "وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معنى "ما" معنى "مَن"، ووجه تأويل الكلام إلى: فمن يكذِّبك يا محمد بعد الذي جاءك من هذا البيان من الله بالدين؟! يعني: بطاعة الله، ومُجازاته العباد على أعمالهم"، جامع البيان: ٥١٥/٢٤.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٣٠/٣٠، باختصار.

بيَّن ابن عاشور نكتة الالتفات في هذا الموضع، وهي كون الخطاب في مواجهة الإنسان المكذِّب أصرح وأقوى في توبيخه، كأنه قيل له: كيف لك أن تكذِّب بالبعث والنشور بعد هذه الحجج الواضحة والبراهين القاطعة، مِن خَلْق الإنسان من نطفة، وتقويمه بشرًا سويًّا، وتحويله من حال إلى حال!

إنَّ باعث الالتفات الذي ذكره ابن عاشور جاء متوافقًا لقضية من أعظم القضايا التي كانت بين النبي -صلى الله عليه وسلم- وكفار قريش، وهي قضية التكذيب بالبعث والنشور، والتي تناولها القرآن الكريم في أكثر من موضع، كما في قوله تعالى:﴿وَقَالُواْ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٢٩]، وفي قوله تعالى:﴿وَأَقْسَمُواْ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَنْ يَّمُوتُ بَلَىٰ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة النحل: ٣٨].

وقد ورد في السنة ما يبيِّن ذلك أيضًا، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: إنَّ العاص بن وائل أخذ عظمًا من البطحاء، فَفَتَّه بيده، ثم قال لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أَيُحْيي الله هذا بعدما أَرَمَّ؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((نعم، يُميتك الله، ثم يُحييك، ثم يُدخلك جهنَّم))[(١)]، فأنزل الله قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَنْ يُحْيِ ٱلْعِظَامَ وَهْيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيۤ أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهْوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يس: ٧٧- ٧٩].

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين: ٤٦٦/٢).

وقريبًا من نكتة الالتفات التي ذكرها ابن عاشور أشار صاحب "إعراب القرآن وبيانه"[١] إلى سر الالتفات هنا، وهو كون المشافهة بالخطاب فيها تشديد الإنكار على الإنسان المكذِّب، فقال عند كلامه عن الوجه البلاغي في هذه الآية: التفات من الغَيْبة إلى الخطاب، والسِّر فيه تشديد الإنكار على الإنسان بمشافهته بالخطاب، كأنه قيل له: فأيُّ شيء يضطرك إلى أن تكون كاذبًا بعد هذه الدلائل بسبب تكذيب الجزاء![٢].

وقد تناوَل هذا الموضع كثير من المفسرين، وأشاروا إليه بنُكت متقاربة ومحتمَلة؛ فهذا أبو السُّعود ينبِّه على نكتة الالتفات هنا، وهي تشديد التوبيخ والتبكيت على الإنسان المكذِّب، فيقول: "الخطاب للإنسان على طريق الالتفات؛ لتشديد التوبيخ والتبكيت، أي: فما يجعلك كاذبًا بسبب الدين وإنكاره بعد هذه الدلائل؟!"[٣].

ونصَّ الآلوسيّ[٤] والقاسِميّ[٥] إلى نفس هذه النكتة عند كلامهما عن هذا الالتفات.

أما الرَّازِيّ فقد أضاف نكتة فريدة دون أنْ يصرِّح بها، وهي التعجيب من حال المكذِّب، فخلْق الإنسان من نطفة، وتقويمه بشرًا سويًّا، وتدريجه في مراتب الزيادة إلى أن يكمُل ويستوي، ثم تنكيسه إلى أن يبلُغ أرذل العمر، دليل واضح على قدرة الخالق على الحشر والنشر، فمَن شاهَد هذه الحالة ثم بقي مُصِرًّا على إنكار الحشر فلا شيء أعجب منه[٦].

---

(١) هو محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، (المتوفى: ١٤٠٣هـ).

(٢) ينظر: إعراب القرآن وبيانه: ٥٢٦/١٠، باختصار.

(٣) إرشاد العقل السليم: ١٧٦/٩.

(٤) روح المعاني: ٣٩٧/١٥.

(٥) محاسن التأويل: ٥٠٤/٩.

(٦) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢١٣/٣٢.

ويشير صاحب اللُّبَاب[١] إلى أنَّ الخطاب هنا فيه إلزام الحجة على الإنسان[٢].

وما أورده العلماء المتقدِّمون أشار إليه عدد من العلماء المتأخرين، مثل صاحب التفسير الْمُنِير[٣] الذي يرى أنَّ النكتة هنا تكمن في زيادة التوبيخ والعتاب[٤]، وقد جزم صاحب حدائق الروح والريحان[٥] بأنَّ الاستفهام هنا للتقريع، والتوبيخ، وإلزام الحجة إن كان الخطاب للإنسان[٦].

وحقيقة فإنَّ النُّكت المذكورة هنا يوضِّح بعضها بعضًا، ويُكمِّل بعضها بعضًا، وهي بمجملها محتمَلة، والملاحَظ أنَّ الالتفات هنا برز فيه بلاغة النظم القرآني، حيث اجتمع فيه الإنكار مع التقريع والتوبيخ للمكذِّب، والتعجيب من حاله، واستُخدم في ذلك أسلوب أقرب للمصارحة والمشافهة؛ ليكون أقوى تأثيرًا في قضية عظيمة تكرَّرت في القرآن الكريم، وكل ذلك بأسلوب محكَم، حاكى الله تعالى فيه العقل قبل المنطق، ليُلزِم الحجة على هذا المكذِّب، ثم بعد ذلك كله أليس الله بأحكم الحاكمين؟! بلى، ونحن على ذلكم من الشاهدين.

من خلال ما سبق يَظهر للقارئ الكريم بلاغة النَّظْم القرآني، واتساعه في استيفاء المعاني، وإعجازه في التصرُّف بالأساليب، وخاصة في التنقُّل من الغَيبة إلى الخطاب الذي يُعَدُّ من أكثر الأساليب ورُودًا في القرآن الكريم، ومن خلال استعراض ما سبق من الأمثلة يظهر بجلاء تنوُّع النكت الناشئة في هذا النوع من الالتفات،

---

(١) هو أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الدمشقي، (المتوفى: ٧٧٥هـ).

(٢) اللباب في علوم الكتاب: ٤١٠/٢٠.

(٣) هو العلَّامة الدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، (المتوفى: ١٤٣٦هـ).

(٤) التفسير المنير: ٣٠٣/٣٠.

(٥) هو الشيخ العلَّامة محمد الأمين بن عبد الله الشافعي.

(٦) حدائق الروح والريحان: ١٣٥/٣٢.

والتي منها: الامتنان، والتكريم، والتوبيخ، والتقريع، والمبالغة في الذَّم، وتشديد الإنكار، والتبكيت، والإنذار، والتعريض، والتهديد، والتشريف، والتلذيذ بالخطاب، وتنشيط الهمم، وإيقاظ القلوب، وغيرها، ومن المناسب التنبيه على أنَّ هذه النُّكت ليست محصورة بهذا النوع بعينه، فقد يتكرر ذكرها في الأنواع الأخرى من الالتفات، كما أنه لا يمكن تخصيص نُكَت لكل نوع من هذه الأنواع[١]، وممَّا قاله ابن الأثير في هذا الصدد: والذي عندي في ذلك أنَّ الانتقال من الخطاب إلى الغَيْبة، أو من الغَيْبة إلى الخطاب، لا يكون إلا لفائدة اقتضتها، وتلك الفائدة أمرٌ وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب، غير أنها لا تُحَدُّ بحدٍّ، ولا تُضبط بضابط، لكن يشار إلى مواضع منها ليقاس عليها غيرها، إنَّ الغرض الموجِب لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجري على وتيرة واحدة، وإنما هو مقصور على العناية بالمعنى المقصود، وذلك المعنى يتشعَّب شُعَبًا كثيرة لا تنحصر، وإنما يُؤتَى بها على حسب الموضع الذي تَرِد فيه[٢].

وقد يستنبط الباحث من هذه المواضع نُكتًا أخرى تظهر له بعد توفيق الله، وفي هذا قال النَّسَفِيّ في معرض كلامه عن الالتفات: "وقد تختص مواقعه بفوائد ولطائف قلَّما تتضح إلا للحُذَّاق المهرة، والعلماء النحارير[٣]، وقليلٌ ما هُم"[٤].

---

(١) وهذا ما اتضح لي من خلال استقراء المواضع، وقد عَرَّج على ذلك الدكتور: سلام حسين علوان في كتابه: (الالتفات في القرآن الكريم: ص ٣١).

(٢) ينظر: المثل السائر: ١٣٦/٢، ١٣٧، بتصرف.

(٣) النِّحْر والنِّحْرير: الحاذق الماهر العاقل المجرِّب، وقيل: النِّحريرُ الرجل الطَّبِنُ الفَطِن المتقن البصير في كل شيء، وجمْعه النَّحارِير، ينظر: لسان العرب: ١٩٧/٥، مادة (نحر).

(٤) مدارك التنزيل: ٣١/١.

كما أنَّ جهود المفسرين والبلاغيين ظاهرة في الوقوف على هذا النوع من الالتفات، وإبراز نُكَته، واستنباط المعاني الناشئة منه، وفي مقدِّمتهم الإمام ابن عاشور -رحمه الله-، فجزاهم الله عنا خيرًا، وأجزل لهم المثوبة والجزاء.

المطلب الثاني: الالتفات من الخطاب إلى الغَيْبة

ومعناه: أن يكون أسلوب الكلام جاريًا على ضمائر الخطاب، ثم ينتقل إلى ضمائر الغَيْبة، ومن أمثلته:

المثال الأول:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِالرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ٨٧– ٨٩].

المعنى العام للآيات:

جاءت هذه الآيات في بيان ما امتنَّ الله به على بني إسرائيل بأن أرسل لهم موسى عليه السلام، وآتاه التوراة، ثم تابَع مِن بعده بالرسل، وأيَّدهم بالكتب والمعجزات، ومع ذلك استكبروا، فقتلوا الأنبياء وكذَّبوهم؛ فوبَّخهم الله تعالى على ذلك، وأبطل دعواهم في تعذُّرهم عن الإيمان، وبيَّن أنَّ عدم إيمانهم سببه لعنته عليهم بما

تقدَّم مِن كُفرهم، وحين جاءهم القرآن على يد النبي -صلى الله عليه وسلم- وقد كانوا من قبل مجيئه يستنصرون به على أعدائهم من المشركين إذا قاتلوهم، فلما جاءهم كفروا به، فلعنهم الله تعالى[١].

موضع الالتفات:

في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا﴾ بأسلوب الغائب، بعد أن كان للخطاب في قوله: ﴿جَآءَكُمْ﴾ و﴿أَنفُسُكُمُ﴾ و﴿ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ و﴿كَذَّبْتُمْ﴾.

نص كلام ابن عاشور المتعلق بالالتفات:

قال ابن عاشور: "فيه التفات من الخطاب إلى الغَيْبة، وإبعاد لهم عن مقام الحضور، فهو من الالتفات الذي نُكتته أنَّ ما أُجْري على المخاطب من صفات النقص والفظاعة قد أوجب إبعاده عن البال وإعراض البال عنه، فيشار إلى هذا الإبعاد بخطابه بخطاب البعد، فهو كناية، وقد حسَّن الالتفات أنه مُؤْذِن بانتقال الكلام إلى سوء مقابلتهم للدعوة المحمدية، وهو غرض جديد، فإنهم لَما تحدَّث عنهم بما هو من شؤونهم مع أنبيائهم وجَّه الخطاب إليهم، ولَما أريدَ الحديث عنهم في إعراضهم عن النبي -صلى الله عليه وسلم- صار الخطاب جاريًا مع المؤمنين، وأَجرى على اليهود ضمير الغَيْبة، على أنه يُحتمَل أنَّ قولهم: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ لم يصرِّحوا به علنًا"[٢].

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢١٢/١-٢١٦، تيسير الكريم الرحمن: ٥٩.

(٢) التحرير والتنوير: ٥٩٩/١.

أشار ابن عاشور إلى باعث انتقال الكلام من الخطاب إلى الغَيْبة فيما جرى مع اليهود، فبعْد أن صَدر منهم استعلاء على أنبيائهم، وقتْلهم لفريق منهم، وتكذيب آخرين، أوجب ذلك إبعادهم عن الخطاب، والإعراض عنهم، وهذا فيه كناية عن التحقير والحطِّ عن رُتْبة الخطاب.

واستحسن ابن عاشور هذا الموضع من الالتفات؛ لكونه أضاف غرضًا جديدًا وهو أنه لَما كان الكلام متعلقًا بموقفهم مع الأنبياء ناسَب الإتيان بأسلوب الخطاب توبيخًا لهم وتقريعًا، فلما أُريدَ الحكاية عنهم للمؤمنين بذِكر إعراضهم عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ناسب أن يكون الحديث عنهم بأسلوب الغَيْبة، ثم عقَّب ابن عاشور بذكر تعليل آخر للانتقال من الخطاب للغَيْبة؛ وهو احتمال أنَّ قولهم: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ لم يكن صادرًا منهم علنًا؛ لذا جاء بأسلوب الغَيْبة، والله تعالى أعلم بمراده.

واستشهد ابن عاشور على هذا الأسلوب بقول الشاعر[(١)] الذي يذُم مَن بخِل في قضاء مُهِمّ:

أَبَى لَكَ (كَسْبَ الْحَمْدِ) رَأْيٌ مُقَصِّرٌ وَنَفْسٌ أَضَاقَ اللهُ بِالْخَيْرِ بَاعَهَا
إِذَا هِيَ حَثَّتْهُ عَلَى الْخَيْرِ مَرَّةً عَصَاهَا وَإِنْ هَمَّتْ بِشَرٍّ أَطَاعَهَا

فشاهِد الالتفات في هذا البيت قوله: "إذا هيَ حثَّته"، حيث خاطبه ابتداءً، ثم ذكَر قصور رأيه وعدم انطباع نفسه على الخير، فالتفت من خطابه إلى التعبير عنه بضمير الغَيْبة، فكأنه تخيَّله قد تضاءل حتى غاب عنه[(٢)].

---

(١) البيتان اختُلِف في قائلهما، فنسبهما ابن قتيبة في عيون الأخبار: ١٩٣/٣ لعبد الرحمن بن حسان، ونسبهما الجاحظ في البيان والتبيين: ١٢٩/٣ لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان لابنه، ولفظه فيه: (أبى لك فعل الخير)، ينظر: ١٢٩/٣، ونسبهما الطاهر ابن عاشور في تفسيره: ١٧٩/١ لمحمد بن بشير الخارجي.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٧٩/١.

إنَّ النُّكتة التي أوردها ابن عاشور جاءت موافقة لِما ذكره أبو السُّعود مجمَلًا، حين قال: " ﴿وَقَالُوا﴾ بيانٌ لفن آخر من قبائحهم على طريق الالتفات إلى الغَيْبة، إشعارًا بإبعادهم عن رُتبة الخطاب، لِما فُصِّل من مخازيهم الموجِبة للإعراض عنهم، وحكاية نظائرها لكل مَن يفهم بطلانها وقباحتها من أهل الحق"[(١)]، وأشار الآلوسيّ في تفسيره إلى معنًى قريب من هذا[(٢)].

ويظهر للمتأمل أنَّ النُّكَت التي أوردها المفسرون يعضدها ما ورد في السياق من سوء فعل اليهود، فبعد أن بان في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ تبجُّحهم بالعلم واستغناؤهم به، تلاها جحودهم لكتاب الله وكفرانهم به وبالنبي -صلى الله عليه وسلم-، مع أنهم كانوا يستنصرون به على مشركي العرب، فلما جاءهم هذا الكتاب والنبي الذي عرفوا، كفروا به بَغْيًا وحسدًا، فلعنهم الله، وغضب عليهم؛ لكثرة كفرهم وتوالي شكِّهم وشركهم[(٣)]، علمًا بأنَّ لعنته عليهم قد وردت في القرآن في أكثر من آية، منها قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النساء: ٤٦].

---

(١) إرشاد العقل السليم: ١٢٧/١.

(٢) روح المعاني: ٣١٨/١.

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: ٥٨.

وقوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة المائدة: ١٣].

وقوله: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّاغُوتَ أُوْلَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [سورة المائدة: ٦٠].

ووردت أيضًا على لسان رسوله -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي رواه البُخاريّ قوله: ((لعنة الله على اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))[(١)]، وغير ذلك من الأحاديث والآيات، فيظهر أنَّ اليهود أُمَّة ملعونة، ومكرهم قديم ومتجدِّد، وقد ناسب ذلك الالتفات عنهم في هذا المقام.

المثال الثاني:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ۝٢ وَهْوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝٣ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُواْ

(١) أخرجه البخاري، باب الصلاة في البيعة، كتاب الصلاة، برقم: ٤٣٥، (١/ ٩٥).

عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٤ فَقَدْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[سورة الأنعام: ٢– ٥].

المعنى العام للآيات:

بعد أن بيَّن الله سبحانه وتعالى بعض الدلائل الدالَّة على وحدانيته وقدرته على البعث، وبَّخ المشركين في إعراضهم عما يأتيهم من الدلائل والمعجزات والحجج، فهم لا ينظرون إليها ولا يبالون بها، وجحدوا بالحق الذي جاء به محمد –صلى الله عليه وسلم– وسوف يريهم الله ما استهزءوا به أنه الحق والصدق، ويبيِّن للمكذِّبين كذبهم وافتراءهم(١).

موضع الالتفات:

في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم﴾ بأسلوب الغائب، بعد أن كان للخطاب في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم﴾.

نص كلام ابن عاشور المتعلق بالالتفات:

قال ابن عاشور: "وضمائر جمع الغائبين مرادٌ منها المشركون الذين هم بعض من شَمِلَته ضمائر الخطاب في الآية التي قبلها، ففي العدول عن الخطاب إلى الغَيْبة بالنسبة إليهم التفات أوجبه تشهيرهم بهذا الحال الذميم، تنصيصًا على ذلك، وإعراضًا عن خطابهم، وتمحيضًا للخطاب للمؤمنين، وهو من أحسن

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣/٢١٤، ٢١٥، تيسير الكريم الرحمن: ٢٥٠.

الالتفات؛ لأنَّ الالتفات يُحسِّنه أن يكون له مُقْتَضٍ زائدٌ على نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوبٍ، المراد منه تجديد نشاط السامع"[١].

بيَّن ابن عاشور نكتة الانتقال من الخطاب إلى الغَيْبة في هذا الموضع، فبعْد أن كان الخطاب عامًّا للناس التفت إلى الغَيْبة في الحديث عن المشركين؛ لنُكت ناسبها هذا المقام، وهي التنصيص على إعراضهم عن آيات الله، والتشهير بذلك الحال، وفيه أيضًا الإعراض عن خطابهم إشعارًا بعدم استحقاقهم للخطاب؛ وفي هذا زَجْرٌ لهم بعدما شمِلهم الخطاب في أول الأمر، ويقتضي من ذلك تخليص الخطاب للمؤمنين، وقد عدَّ ابن عاشور الالتفات هنا من أحسن الالتفات؛ لكونه متضمِّنًا نُكتًا جديدة بالإضافة إلى فائدته العامة المتمثِّلة في تجديد نشاط السامعين وإيقاظهم.

ويرى أبو السُّعود أنَّ شناعة فِعلهم استدعت ترْك خطابهم، وفي حكاية ذلك لغيرهم ذمٌّ لهم، وتقبيح لفعلهم، حيث قال: "والالتفات للإشعار بأنَّ ذِكر قبائحهم قد اقتضى أن يَضرب عنهم الخطاب صفحًا، وتعدُّد جناياتهم لغيرهم ذمًا لهم وتقبيحًا لحالهم"[٢].

وقريبًا من ذلك أشار الآلوسيّ إلى أنَّ إعراضهم عن آيات الله قد وصَل غايته التي أوجبت الإعراض عن مخاطبتهم، وحكاية ذلك لغيرهم، حيث قال: "والإعراض عن خطابهم للإيذان بأنَّ إعراضهم السابق قد بلَغ مبلغًا اقتضى أن لا يواجَهوا بكلام، بل يُضْرَب عنهم صفحًا، وتعدُّد جناياتهم لغيرهم ذمًا لهم وتقبيحًا لحالهم"[٣].

---

(١) التحرير والتنوير: ٧/١٣٣، ١٣٤.

(٢) إرشاد العقل السليم: ٣/١٠٩.

(٣) روح المعاني: ٤/٨٧.

والمتأمل في سياق الآيات يستظهر مجموعة من الدلالات التي أضافت على هذا الالتفات مزيدًا من البلاغة والبيان، منها: أنَّ فِعْلَهم هذا قد بلَغ غايته في الشناعة والقباحة، خاصة بعد ثبوت الحجج وإيضاح الدلائل، فناسب الإعراض عنهم بالغَيْبة دلالةً على استحقاقهم شدة الغضب، وقد تَنبَّه إلى هذا البِقاعيّ قائلًا: "فلما تظاهرت الأدلة، وتظافرت الحجج وهُم عنها ناكبون، وصَل بذلك في جملة حالية قولَه معرضًا عنهم؛ إيذانًا باستحقاقهم شديد الغضب: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم﴾"[(١)].

ثم إنّ إضافة الآيات إلى اسم الربِّ المضاف إلى ضميرهم للتفخيم من شأنها، المستتبع لتهويل ما اجترءوا عليه في حقِّها[(٢)]، كما أنَّ ختام هذا الالتفات بقوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٥]، فيه دلالة على شدة عنادهم وكفرهم الذي استحقوا من ورائه هذا الوعيد، ومن يتأمل يظهر له مزيد من بلاغة هذا الالتفات.

المثال الثالث:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٢٦].

---

(١) نظم الدرر: ٢٠/٧.

(٢) إرشاد العقل السليم: ١٠٩/٣.

المعنى العام للآيات:

جاءت هذه الآيات في سياق ذِكر بعض ما امتنَّ الله به على بني آدم، حيث أَنزل عليهم لباسًا يواري به سوءاتهم، ولباسًا يتجمَّلون به، ثم أخبر تعالى أنَّ لباس التقوى خيرٌ لصاحبه من لباس الثياب، وهذه بعض دلائل قدرته الموجِبة للإيمان به رجاءَ أن يتذكَّروا(١).

موضع الالتفات:

في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ بأسلوب الغائب، بعد أن كان للخطاب في قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ و﴿سَوْءَاتِكُم﴾.

نص كلام ابن عاشور المتعلق بالالتفات:

قال ابن عاشور: "وضمير الغَيْبة في ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ التفات، أي جعل الله ذلك آية لعلكم تتذكرون عظيم قدرة الله تعالى، وانفراده بالخلق والتقدير، واللطف، وفي هذا الالتفات تعريض بمن لم يتذكَّر من بني آدم، فكأنه غائب عن حَضْرة الخطاب، على أنَّ ضمائر الغَيْبة في مِثل هذا المقام في القرآن كثيرًا ما يُقصَد بها مشركو العرب"(٢).

بيَّن ابن عاشور نُكتة الالتفات في هذا الموضع، وهي التعريض بمن لم يتذكَّر من بني آدم، فهو كالغائب عن عِزِّ الحضور في الخطاب، وبيَّن أنَّ ضمائر الغَيْبة في مِثل هذا في القرآن كثيرًا ما يراد بها المشركون؛

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣/٣٥٩، وتيسير الكريم الرحمن: ١٨٥، ١٨٦.

(٢) التحرير والتنوير: ٨-ب/٧٦.

لكون ذلك معلوم من المقام كما هي عادة القرآن في غير موضع، ومثال ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ﴾ [سورة فصلت: ٤][(١)].

وأشار البِقاعيّ إلى أنَّ الالتفات هنا يُفْضي إلى إثبات أنَّ التذكر في هذه الآية عامٌّ للمخاطَبين والغائبين، والمشركين والمسلمين، فلا يقول قائل أنه خاصٌّ بالمسلمين دون غيرهم، فالمشركون أيضًا داخلون في هذا التذكُّر، حيث قال: ولعل الالتفات من الخطاب إلى الغَيْبة لئلا يقول الْمُتعنِّت: إنَّ الحث على التذكُّر خاصٌّ بالمخاطَب، ويدَّعي أنه المسلمون فقط، أي أنزلنا ذلك ليكون حالهم حال من يتذكَّر فيعرف أنه يُستقبَح منه ما يُستقبَح من غيره[(٢)].

ولا ريب أنَّ مجيء الغَيْبة في قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ أدعى للتذكُّر، وأكثر استجابة للإنابة وتَرْك الباطل مما لو جاءت بأسلوب الخطاب المباشر، لا سيما وأنها جاءت بعد ذِكر الخيرية بلباس التقوى في قوله: ﴿وَلِبَاسَ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ والذي يحث فيه تعالى على استشعار النفوس لتقوى الله في الانتهاء عما نهى عنه، والعمل بما أمر به من طاعته من الإيمان، والعمل الصالح، والحياء، وخشية الله، والسَّمت الحسن وغيرها[(٣)].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٣٢/٢٤.

(٢) ينظر: نظم الدرر: ٣٨٠/٧، باختصار.

(٣) وهذا ما رجَّحه الطبري في تفسيره عند تأويل قوله: ﴿وَلِبَاسَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾، ينظر: جامع البيان: ٣٧١/١٢.

المثال الرابع:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة يونس: ٢٢– ٢٣].

المعنى العام للآيات:

ذكَر الله في هذه الآيات بعض ما امتنَّ به على عباده أنْ سيَّرهم في البَرِّ على الدواب وغيرها، وفي البحر على السفن، ثم بيَّن حالهم أنهم إذا مسَّهم الضُّر دعوا ربهم تعالى مخلصين له الدين، فلما نجَّاهم إذا فريق منهم نسوا تلك الشدة وذلك الدعاء، فأشركوا بالله، وبغَوا في الأرض بغير الحق[1].

(١) ينظر: معالم التنزيل: ٤١٥/٢، ٤١٦، تيسير الكريم الرحمن: ٣٦١.

موضع الالتفات:

في قوله تعالى: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ بلفظ الغَيْبة، بعد أن كان للخطاب في قوله: ﴿يُسَيِّرُكُمْ﴾ و﴿كُنتُمْ﴾.

نص كلام ابن عاشور المتعلق بالالتفات:

قال ابن عاشور: ومن بديع الأسلوب في الآية أنها لَما كانت بصدد ذِكْر النعمة جاءت بضمائر الخطاب الصالحة لجميع السامعين، فلما تهيَّأت للانتقال إلى ذِكر الضرَّاء وقع الانتقال من ضمائر الخطاب إلى ضمير الغَيْبة؛ لتلوين الأسلوب بما يُخلصه إلى الإفضاء إلى ما يخص المشركين، فقال: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ على طريقة الالتفات، أي: وجرين بكم، وهكذا أُجريت الضمائر جامعةً للفريقين، إلى أن قال: ﴿فَلَمَّا أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ فإن هذا ليس من شِيَم المؤمنين، فتمحَّض ضمير الغَيْبة هذا للمشركين، فقد أُخرج من الخبر مَن عدا الذين يبغون في الأرض بغير الحق، تعويلًا على القرينة؛ لأنَّ الذين يبغون في الأرض بغير الحق لا يشمل المسلمين، وهذا ضرْب من الالتفات لم ينبِّه عليه أهل المعاني، وهو كالتخصيص بطريق الرمز، وابتُدئ الإتيان بضمير الغَيْبة من آخر ذِكر النِّعمة عند قوله:

﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ للتصريح بأنَّ النِّعمة شَمِلتهم، وللإشارة إلى أنَّ مجيء العاصفة فجأة في حال الفرح مراد منه ابتلاؤهم وتخويفهم، فهو تمهيد لقوله: ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾[(١)].

أظهر وصف ابن عاشور للالتفات في هذا الموضع فصاحة ودقة الأسلوب القرآني، فقد بيَّن في بادئ الأمر أنه لَما شَرَع تعالى بذِكر بعض ما امتنَّ به على عباده ناسب الإتيان بأسلوب الخطاب، فلما بدأ بذِكْر الضراء ناسب الإتيان بأسلوب الغَيْبة، فقال: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾، حيث تغيَّر فيه الأسلوب من الخطاب إلى الغَيْبة، وجاءت الضمائر في هذه الآية وما بعدها شاملة للمسلمين والمشركين، إلى أن يأتي الكلام على ما يخص المشركين في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ فهي دالَّة على المشركين؛ لأنَّ هذا الفعل لا يصدر من المسلمين، ويُفهَم من ذلك أنه يفيد التخصيص للمشركين[(٢)].

وأشار ابن عاشور إلى مَلْمح دقيق في الالتفات في قوله: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ أنه يقتضي إفادة التصريح والتنصيص بشمول المشركين في هذه النعمة، ويقتضي أيضًا أنَّ الريح العاصفة هنا قد باغتتهم فجأة، وهذا فيه من التخويف والابتلاء ما لا يخفى.

ويرى الزَّمَخْشَريّ أنَّ الالتفات هنا إنما جاء للمبالغة، كأنه يذكُر لغيرهم حالهم ليُعجبهم منها، ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح[(٣)].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٣٥/١١، ١٣٦، باختصار.

(٢) ونبَّه إلى أن هذه الفائدة لم يُعرِّج عليها أهل المعاني على حد قوله، وقد سبق إلى ذِكْرها الزركشي في البرهان، ينظر: ٣١٨/٣.

(٣) ينظر: الكشاف: ٣٣٨/٢.

وتَبِعه بذِكْر هذه الفائدة ابن الأثير[١]، والبَيْضاوِيّ[٢]، والنَّسَفِي[٣]، والزَّرْكَشِيّ[٤]، والنَّيسابوريّ[٥]، وأبو السُّعود[٦]، والآلوسيّ[٧].

وقد فصَّل الرَّازِيّ فوائد الالتفات عند هذا الموضع ببيان الفائدة في صرف الكلام من الخطاب إلى الغَيْبة، فذكر عدة أوجه؛ الأول: المبالغة، كأنه تعالى يذكُر حالهم لغيرهم لتعجيبهم منها، ويستدعي منهم مزيد الإنكار والتقبيح[٨].

الثاني: إنَّ مخاطبته تعالى لعباده هي على لسان الرسول عليه الصلاة والسلام، فهي بمنزلة الخبر عن الغائب، وكل من أقام الغائب مَقام المخاطَب حَسُن منه أنْ يرُدَّه مرة أخرى إلى الغائب[٩].

الثالث: وهي الأقرب في نظره في هذا الالتفات؛ أنَّ الانتقال في الكلام من لفظ الحضور إلى لفظ الغَيْبة يدل على المقت، والتبعيد، والطرد، بعكس الانتقال من الغَيْبة إلى الحضور، الذي يدل على مزيد التقرب

(١) المثل السائر: ١٤٣/٢.

(٢) أنوار التنزيل: ١٠٩/٣.

(٣) مدارك التنزيل: ١٤/٢.

(٤) المرجع السابق: ١٤/٢.

(٥) غرائب القرآن: ٥٧٢/٣.

(٦) إرشاد العقل السليم: ١٣٤/٤.

(٧) روح المعاني: ٩١/٦.

(٨) وهذا نقلًا عن الزمخشري.

(٩) وهذا نقلًا عن أبي علي الجبائي.

والإكرام، وعَلَّل كونها هي اللائقة بحال هؤلاء؛ لأنَّ مَن كان صفته أنه يقابل إحسان الله تعالى إليه بالكفران كان اللائق به المقت، والتبعيد، والطرد[١].

ولعلَّ الرَّازِيّ لم يذكر تلك الفوائد على سبيل الحصر في هذا النوع من الالتفات، وإلا فالفوائد فيه متنوعة، فمنها: التحقير، والتوبيخ، والتعجيب، والحكاية لغير المخاطبين، والحَطُّ عن رتبة الخطاب، وغيرها، وقد يَظهر للمتأمل ما لا يظهر لغيره، كما أنَّ تعداد الرَّازِيّ لهذه الفوائد هنا لا يَلزم منه إتيانها مجتمعة في الموضع الواحد.

وقد أشاد الزَّرْكَشِيّ في "البرهان" بفائدة جديدة لهذا الالتفات، وهي أنهم في حال رُكوبهم حَضَروا لأنهم خافوا الهلاك وتقلُّب الرياح؛ فناداهم نداء الحاضرين، ثم إنَّ الرياح لَما جَرَت بما تشتهي النفوس، وأَمِنوا الهلاك لم يَبْقَ حضورهم كما كان، على ما هي عادة الإنسان أنه إذا أَمِن غاب، فلما غابوا عند جريه بريح طيبة ذَكَرهم الله بصيغة الغَيْبة، فقال: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾[٢].

ونبَّه أبو السُّعود إلى أنَّ سوء حالهم أوجب الإعراض عنهم بالالتفات، حيث قال: "فالالتفات إلى الغَيْبة؛ للإيذان بما لهم من سوء الحال الموجِب للإعراض عنهم"[٣].

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٣٤/١٧.

(٢) ينظر: البرهان: ٣١٨/٣.

(٣) إرشاد العقل السليم: ١٣٤/٤.

المثال الخامس:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [سورة النحل: ١٥– ١٦].

المعنى العام للآيات:

جاءت هذه الآيات في سياق ذِكر بعض مظاهر قدرة الله الموجبة لتوحيده، حيث ذكَرت تثبيته سبحانه للجبال في الأرض، وتجريته للأنهار، وشقَّه للطرق، وما وضع للناس من علامات يهتدون بها، ثم خصَّ بالذِّكر الهداية بالنجم(١).

موضع الالتفات:

في قوله تعالى:﴿هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ بأسلوب الغَيْبة، بعد أن كان للخطاب في قوله تعالى: ﴿تَمِيد بِكُمْ﴾ و﴿لَّعَلَّكُمْ﴾.

نص كلام ابن عاشور المتعلق بالالتفات:

قال ابن عاشور: "وعَدَلَ عن الخطاب إلى الغَيْبة التفاتًا يومئ إلى فريق خاص؛ وهم السيَّارة والملَّاحون، فإن هدايتهم بهذه النجوم لا غير"(٢).

---

(١) ينظر: معالم التنزيل: ٣/ ٧٤، ٧٥، تفسير القرآن العظيم: ٤/٤٨٣، ٤٨٤، ينظر: تيسير الكريم الرحمن: ٤٣٧.

(٢) التحرير والتنوير: ١٤/١٢١.

يشير ابن عاشور إلى نُكتة الالتفات في هذا الموضع وهي التخصيص، حيث جاء الالتفات في معرِض الحديث عن ما امتنَّ الله به على عبادة من الاهتداء بالنجوم، وجاء التخصيص عنده لجماعة ذكَرَهم، وهم السائرون ليلًا؛ لأنهم هم المنتفعون من مواقع النجوم، فهي بمثابة علامات لهم يهتدون بها إلى الجهات، وكذلك البحَّارة؛ لأنهم لا يستطيعون الإرساء في كل ليلة، فهُم مضطرون إلى السير ليلًا، فالنجوم هداية عظيمة لهم وقت ارتباك الطرق عليهم(١)، لذا انتقل الأسلوب القرآني من الخطاب إلى الغَيْبة لِيخص هؤلاء المنتفعون بهذه النعمة.

وقد كان رأي ابن عاشور موافقًا لِما أورده المفسرون قبله، وإن تعدَّدت آراؤهم في هذه الفئة المخصَّصة، فقال بعضهم: إنَّ المراد بالتخصيص أهل البحر؛ لتقدُّم ذِكر البحر ومنافعه، وقيل: أراد أعمَّ من ذلك، فأهل البَرِّ أيضًا قد يحصُل لهم الاهتداء بالنجوم في الطرق والمسالك، وفي معرفة القِبلة، وجيء بالضمير الغائب؛ لِعَوْده إلى السائرين الدالِّ عليهم قوله: ﴿وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(٢).

أما الزَّمَخْشَريّ فيرى أنَّ التخصيص الذي أفضى به الالتفات يخصُّ قريشًا؛ لأنَّ لهم عِلمًا بالنجوم لم يكن لغيرهم مثله، حيث قال: "﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ مُخْرِج عن سَنَن الخطاب، مُقدَّم فيه بالنجم، مُقْحَم فيه ﴿هُمْ﴾، كأنه قيل: وبالنجم خصوصًا هؤلاء خصوصًا يهتدون، فمن المراد بـ﴿هُمْ﴾؟ قلت: كأنه

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٤/١٢٢.

(٢) ينظر: غرائب القرآن: ٤/٢٥١.

أراد قريشًا، كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم، وكان لهم بذلك عِلم لم يكن مثله لغيرهم، فكان الشكر أوجب عليهم، والاعتبار ألزم لهم، فخُصِّصوا"[١].

وتبِعه في ذِكر ذلك الرَّازِيّ [٢]، والبَيْضاوِيّ [٣]، وأبي حَيَّان[٤]، وأبي السُّعود[٥].

بخلاف القاسِميّ الذي يرى أنَّ الالتفات هنا دالٌّ على العموم؛ لأنَّ الخطاب في الآيات السابقة عامٌّ، فكذا يكون في لاحقها[٦].

وقد رأى الآلوسيّ أنَّ ضمير الغَيْبة ﴿هُم﴾ يُحتمل أن يكون عامًّا لكل سالك في البر والبحر من المخاطبين فيما تقدَّم، ويُحتمل أن يكون الضمير لقريش؛ لأنهم كانوا كثيري الأسفار للتجارة، ومشهورين للاهتداء في مسايرهم بالنجم[٧].

وأشار البِقاعيّ إلى أنَّ الالتفات جاء هنا للتنبيه على عِظم الاستدلال بالنجم؛ كونَه أنفع الدلالات، وأعمَّها، وأوضحها، ولا يرى هنا إفادة التخصيص، حيث قال: "ولمَّا كانت الدلالة بالنجم أنفع الدلالات، وأعمَّها، وأوضحها برًّا وبحرًا، ليلًا ونهارًا، نبَّه على عِظمها بالالتفات إلى مقام الغَيْبة؛ لإفهام العموم، لئلا يظن

(١) الكشاف: ٥٩٩/٢ وينظر: مدارك التنزيل: ٢٠٧/٢، والدر المصون: ٢٠٣/٧.

(٢) مفاتيح الغيب: ١٩١/٢٠.

(٣) أنوار التنزيل: ٣/ ٢٢٣،٢٢٢.

(٤) البحر المحيط: ٥١٦،٥١٥.

(٥) إرشاد العقل السليم: ١٠٤/٥.

(٦) ينظر: محاسن التأويل: ٣٦٠/٦.

(٧) ينظر: روح المعاني: ٣٥٩/٧.

أنَّ المخاطب مخصوص، وأنَّ الأمر لا يتعداه، فقال تعالى: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ﴾ أي أهل الأرض كلهم، وأولى الناس بذلك أول المخاطَبين وهم قريش، ثم العرب كلها؛ لِفرط معرفتهم بالنجوم"[(١)].

إنَّ الانتقال من الخطاب إلى الغَيْبة، سواء أريد به التخصيص أو أريد به العموم، مُفْضٍ إلى لفْت انتباه السامعين؛ لإشعارهم بعظيم تلك المنَّة، وهي الاهتداء بالنجوم، كما ذكر البِقاعيّ.

والمتأمل لهذه الآية يجد أنه قد اجتمع بها إعجاز بلاغي متمثِّل في هذا الالتفات، وآخر علمي سبق بذكره القرآن أولًا، ثم اهتدى إليه الخَلْق ولجؤوا إليه بمختلف وسائلهم.

المثال السادس:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [سورة يس: ٦٣-٦٥].

المعنى العام للآيات:

تحكي هذه الآيات عن ما يقال للكفرة يوم القيامة وقد بُرِّزت الجحيم لهم تقريعًا وتوبيخًا، ثم بيَّن الله حالهم حيث ختم على أفواههم، واستنطق جوارحهم بما عملت[(٢)].

موضع الالتفات:

---

(١) نظم الدرر: ١٢٨/١١.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٥٢٠/٦، ٥٢١، تيسير الكريم الرحمن: ٦٩٨.

في قوله تعالى: ﴿أَفْوَاهِهِمْ﴾و﴿أَيْدِيهِمْ﴾و﴿أَرْجُلُهُم﴾و﴿يَكْسِبُون﴾ بأسلوب الغَيْبة، بعد أن كان للخطاب في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ و﴿كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

نص كلام ابن عاشور المتعلق بالالتفات:

قال ابن عاشور: وضمائر الغَيْبة في ﴿أَفْوَاهِهِمْ﴾و﴿أَيْدِيهِمْ﴾و﴿أَرْجُلُهُم﴾و﴿يَكْسِبُونَ﴾ عائدة على الذين خوطبوا بقوله: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ على طريقة الالتفات، وأصل النظم: اليوم نختم على أفواهكم، وتكلِّمنا أيديكم، وتشهد أرجلكم بما كنتم تكسبون، ومواجهتهم بهذا الإعلام تأييس لهم بأنهم لا ينفعهم إنكارُ ما اطَّلعوا عليه من صحائف أعمالهم، كما قال تعالى: ﴿إِقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾ [سورة الإسراء: ١٤][(١)].

بيَّن ابن عاشور الالتفات إلى الغَيْبة في هذا الموضع، وذَكَر أنَّ باعثه هو تأييس المشركين في هذا الموقف العظيم، فلا ينفع منهم إنكار؛ لأنه قد خُتِم على أفواههم، وشهِدت عليهم أيديهم وأرجلهم، فلا مفرَّ لهم، ولا مرجع، ولا ناصر بعد أن رأوا صحائف أعمالهم، فمصيرهم قد تحتَّم، وأَمْر الله نافذ فيهم لا محالة.

وقد جاء في السنة ما يحكي عن هذا الموقف فيما رواه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك –رضي الله عنه– قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال: ((تدرون مِمَّ أضحك؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: من مجادلة العبد ربَّه يوم القيامة، يقول: يا رب، ألم تُجِرْنِي من الظلم؟

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٣/٥٠، بتصرف يسير.

فيقول: بلى، فيقول: لا أجيز عليَّ شاهدًا إلا من نفسي، فيقال: كفى بنفسك اليوم وبالكرام عليك شهيدًا، فيُختَم على فيه، ويقال لأركانه: انطقي، فتنطق بعمله، ثم يخلَّى بينه وبين الكلام، فيقول: بُعْدًا لكنَّ وسُحقًا، فعنكن كنتُ أناضل))[(١)].

وحول هذا الالتفات ذَكَر أبو السُّعود أنَّ قُبْح أحوالهم اقتضى الإعراض عنهم وحكاية ذلك لغيرهم، وأنه لمَّا خُتِم على أفواههم أصبحوا عاجزين عن الكلام، فليس من المناسب مخاطبتهم، حيث قال: "الالتفات إلى الغَيْبة للإيذان بأنَّ ذِكْر أحوالهم القبيحة استدعى أن يُعرَض عنهم ويحكي أحوالهم الفظيعة لغيرهم، مع ما فيه من الإيماء إلى أنَّ ذلك من مقتضيات الختم؛ لأنَّ الخطاب لتلقي الجواب، وقد انقطع بالكلية"[(٢)].

ويرى البِقاعيّ أنّ الالتفات دليل على الإعراض عنهم كناية عن غضب الله عليهم، حيث قال: "ولفت القول إلى الغَيْبة إيذانًا بالإعراض لتناهي الغضب، فقال: ﴿عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾"[(٣)].

ولعل مما أضافه هذا الالتفات أنَّ الانتقال فيه إلى الغَيْبة في هذا المقام أبلَغ في الوعيد والتخويف مما لو كان على غيره، كما أنه متناسب مع شدَّة هذا الموقف، وليس ذلك إلا من بلاغة نَظْم كلام الله.

المثال السابع:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٤ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، برقم: ٢٩٦٩، (٤/ ٢٢٨٠).

(٢) إرشاد العقل السليم: ١٧٦/٧.

(٣) نظم الدرر: ١٥٦/١٦.

هُزُوٗا وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾ [سورة الجاثية: ٣٤– ٣٥].

المعنى العام للآيات:

جاءت هذه الآيات في سياق بيان مآل المكذِّبين، الذين استهزءوا بآيات الله وغرَّتهم الحياة الدنيا، فكانت النار مأواهم ودار إقامتهم، فما لهم حينئذ من ناصر ينصرهم من عذاب الله، ويدفع عنهم عقابه، ولا يُمْهَلون أو يُرَدُّون إلى الدنيا ليعملوا صالحًا[(١)].

موضع الالتفات:

في قوله تعالى: ﴿يُخۡرَجُونَ﴾ و﴿يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾ بأسلوب الغَيْبة، بعد أن كان للخطاب ابتداءً من قوله: ﴿نَنسَىٰكُمۡ﴾.

نص كلام ابن عاشور المتعلق بالالتفات:

قال ابن عاشور: "واتفق القراء على قراءة ﴿لَا يُخۡرَجُونَ﴾ بياء الغَيْبة، وكان مقتضى الظاهر أن يقال: لا تُخرَجون؛ بأسلوب الخطاب مِثل سابقه، ولكن عدَل عن طريقة الخطاب إلى الغَيْبة على وجه

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٧/ ٢٥٠، ٢٥١، تيسير الكريم الرحمن: ٧٧٨.

الالتفات، ويحسِّنه هنا أنه تخييل للإعراض عنهم بعد توبيخهم، وتأييسهم، وصرْف بقية الإخبار عنهم إلى مخاطَب آخر ينبِئ ببقية أمرهم تحقيرًا لهم"[١].

استحسن ابن عاشور الالتفات في هذا الموضع[٢]، وبيَّن أنَّ باعثه هو الإعراض عنهم بعد أن وبَّخهم الله وأيَّسهم في قوله: ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ وفي الإعراض تحقير وإهانة لهم.

ويظهر للناظر في سياق الآيات مناسبة هذا الغرض لِما صدر من هؤلاء المشركين من استهزاء بآيات الله، واغترار بالحياة الدنيا، كما أنَّ جزاءهم كان من جنس عملهم.

وقد صُوِّر مشهد المكذِّبين في السُّنة في الحديث الذي رواه مسلم، أنَّ الله تعالى يقول لبعض العبيد يوم القيامة: ((ألم أزوِّجك؟ ألم أكرمك؟ ألم أسخِّر لك الخيل والإبل وأذَرْك تَرْأس وتَرْبَع؟ فيقول: بلى يا رب، فيقول: أفظننت أنك مُلاقيّ؟ فيقول: لا، فيقول الله تعالى: فاليوم أنساك كما نسيتني))[٣].

وحول هذا الالتفات بيَّن أبو السُّعود فائدة الانتقال إلى الغَيْبة؛ وهي إسقاطهم عن رتبة الخطاب، فهم ليسوا أهلًا له، حيث قال: "والالتفات إلى الغَيْبة للإيذان بإسقاطهم عن رتبة الخطاب استهانةً بهم، أو بنقلهم من مقام الخطاب إلى غيابة النار"[٤]، وتبِعه بذكر ذلك الآلوسيّ في تفسيره[٥].

---

(١) التحرير والتنوير: ٣٧٦/٢٥.

(٢) وعادةً ما يستحسن ابن عاشور الالتفات إذا كان له مقتضى زائد عن فائدته العامة المتمثلة في تجديد نشاط السامعين، وإيقاظهم، ينظر: التحرير والتنوير: ١٣٤/٧.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، برقم: ٢٩٦٨، (٤/ ٢٢٧٩).

(٤) إرشاد العقل السليم: ٧٦/٨.

(٥) روح المعاني: ١٦٠/١٣.

ويرى البِقاعيّ أنَّ العلة في مجيء الالتفات هنا هي شدة عنادهم التي أفضت إلى الإعراض عنهم، وغضب الله تعالى عليهم، حيث قال: "ولَما وصلوا إلى حد عظيم من العناد التفت إلى أسلوب الغَيْبة إعراضًا عنهم إيذانًا بشديد الغضب"(١).

إنَّ الالتفات في هذه الآيات زاد المعنى قوة وفصاحة، فقد جاء التعبير مطابقًا للمقصود بكلمات مؤتلفة، وأسلوب بديع دالٍّ على إعجاز القرآن.

وعلى ما مضى يتجلَّى بوضوح أهمية الالتفات عمومًا، والالتفات من الخطاب إلى الغَيْبة على وجه الخصوص، من حيث البلاغة القرآنية، وأوجُه الفوائد التي أفضى بها الالتفات في الآيات القرآنية، كما يلحظ تنوع النُّكت التي ذكرها المفسرون في هذا النوع من الالتفات، والتي منها: الإعراض، والحطُّ من رتبة الخطاب، والتحقير، والحكاية لغير المخاطبين، والتخصيص، والتأييس، والتعريض، والتشهير والتنصيص بالحال الذميم، وتمحيض الخطاب للمؤمنين، والمبالغة، والتعجيب، والمقت، والتبعيد، والطرد، إضافة إلى ما في الانتقال من الخطاب إلى الغَيْبة من دلالة على غضب الله تعالى، ومناسبته لِذِكر الضرَّاء، وإلى ما يخصُّ المشركين، وغير ذلك.

فلا غرابة إذًا من اهتمام بعض المفسرين بالبلاغة في الكشف عن أسرار القرآن، وأوجُه فصاحته وبلاغته، بل وعُدَّ علم البلاغة من أجلِّ العلوم المرتبطة بالقرآن، وأحقها بالتعلم، وفي ذلك قال أبو هلال العَسْكَرِيّ: إنَّ أحق العلوم بالتعلُّم، وأولاها بالتحفُّظ- بعد المعرفة بالله جل ثناؤه- عِلم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذى به يُعْرَف إعجاز كتاب الله تعالى، الناطق بالحق، الهادي إلى سبيل الرشد، المدلول به على

(١) نظم الدرر: ١١١/١٨.

صِدق الرسالة وصحة النبوة، التي رفعت أعلام الحق، وأقامت منار الدين، وأزالت شُبَه الكفر ببراهينها، وهتكت حُجُب الشك بيقينها[١].

(١) ينظر: الصناعتين: ١، بتصرف يسير.

المطلب الثالث: الالتفات من الغَيْبة إلى التكلم

ومعناه: أن يكون أسلوب الكلام جاريًا على ضمائر الغَيْبة، أو ما يدل عليها، ثم ينتقل إلى ضمائر التكلم، ومن أمثلته:

المثال الأول:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [سورة النحل: ٥١].

المعنى العام للآيات:

يخبر تعالى أنه لا إله إلا هو، وأنه لا ينبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له، فكما أنه الواحد في ذاته وأسمائه ونعوته وأفعاله، فلْتوحِّدوه في عبادته، ولهذا قال: ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾ أي: خافوني وامْتَثِلوا أمري، واجتنبوا نهيي من غير أن تُشْرِكوا بي شيئًا[(١)].

موضع الالتفات:

في قوله تعالى: ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾ بأسلوب التكلم، بعد أن كان للغائب في قوله: ﴿إِنَّمَا هُوَ﴾.

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٤/٤٩٤، تيسير الكريم الرحمن: ٤٤٢.

نص كلام ابن عاشور المتعلق بالالتفات:

قال ابن عاشور: "ووقع في ضمير ﴿فَإِيَّاىَ﴾ التفات من الغَيْبة إلى التكلم؛ لمناسبة انتقال الكلام من تقرير دليل وحدانية الله على وجهٍ كلي إلى تعيين هذا الواحد أنه الله منزِّل القرآن تحقيقًا لتقرير العقيدة الأصلية، وفي هذا الالتفات اهتمام بالرَّهبة؛ لِما في الالتفات من هزِّ فَهْم المخاطَبين"(١).

بيَّن ابن عاشور الغرض من الالتفات في هذا الموضع، وهو تعيين وحدانية الله، في قوله: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ بعد أن تم تقريرها وإثباتها على وجه العموم في قوله: ﴿لاَ تَتَّخِذُواْ إِلَـٰهَيْنِ إِثْنَيْنِ﴾، وقد جاء الالتفات هنا مرتبطًا بالرهبة لِلفت انتباه المخاطَبين.

ونكتة الالتفات التي ذكرها ابن عاشور قد سبقه إليها البَيْضاوِيّ في تفسيره، حيث قال: "﴿فَإِيَّاىَ فَارْهَبُونِ﴾ نقل من الغَيْبة إلى التكلم؛ مبالغةً في الترهيب وتصريحًا بالمقصود، فكأنه قال: فأنا ذلك الإله الواحد فإياي فارهبون لا غير"(٢).

فقد نبَّه أنَّ الالتفات هنا باعِثه التصريح بمن هو حقيق بالوحدانية سبحانه(٣)، إضافة إلى ما أشار إليه أغلب المفسِّرين من كون الالتفات في هذا الموضع يراد مِنه المبالغة في الترهيب، كما أنَّ الترهيب بأسلوب التكلم أبلَغ من الترهيب بأسلوب الغَيْبة، والبَيْضاوِيّ في هذا قد تَبِع الزَّمَخْشَريّ عندما قال: ﴿فَإِيَّاىَ

(١) التحرير والتنوير: ١٤/١٧٤.

(٢) أنوار التنزيل: ٣/٢٢٩.

(٣) وذكر هذه النكتة أيضًا صاحب نظم الدرر: ١١/ ١٧٧.

﴿فَارْهَبُونِ﴾ نقل للكلام عن الغَيْبة إلى التكلم، وهو أبلغ في الترهيب من قوله: وإياه فارهبوه، ومِن أن يجيء ما قبله على لفظ المتكلم[(١)].

وقد أشار أبو السُّعود إلى قريب من هذا في تفسيره، حيث قال: "﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ التفات من الغَيْبة إلى التكلم؛ لتربية المهابة وإلقاء الرهبة في القلوب، ولذلك قُدِّم وكُرِّر الفعل، أي: إن كنتم راهبين شيئًا فإياي ارهبوا، فارهبوا لا غير؛ فإني ذلك الواحد الذي يسجد له ما في السماوات والأرض"[(٢)].

وكذلك الآلوسيّ في تفسيره، حيث قال: ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ ففيه التفات من الغَيْبة إلى التكلم، والنُّكتة فيه بعد النكتة العامة أعني الإيقاظ وتطرية الإصغاء المبالغةُ في التخويف والترهيب؛ فإن تخويف الحاضر مواجهةً أبلَغ من تخويف الغائب، لا سيما بعد وصفه بالوحدة والألوهية المقتضية للعَظمة والقدرة التامة على الانتقام[(٣)].

أما الرَّازِيّ فقد استحسن الالتفات في هذا المقام، وأشار إلى نُكتتين مغايرتين؛ أولاهما: أنَّ التكلم هنا أليق لمقام إثبات وتقرير وحدانية الله تعالى، والأخرى: أنه أفاد الحصر، فالْخَلق لا يرهبون إلا منه، ولا يرغبون إلا إلى عطائه وإحسانه، حيث قال: ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾، وهذا رجوع من الغَيْبة إلى الحضور، والتقدير: أنه لمَّا ثبت أنَّ الإله واحد، وثبت أنَّ المتكلم بهذا الكلام إله، فحينئذ ثبت أنه لا إله للعالَم إلا المتكلم بهذا

(١) ينظر: الكشاف: ٦١٠/٢، باختصار، ومدارك التنزيل: ٢١٦/٢، والبحر المحيط: ٥٤٤/٦.

(٢) إرشاد العقل السليم: ١١٩/٥.

(٣) ينظر: روح المعاني: ٤٠٣/٧، باختصار، ومحاسن التأويل: ٣٧٨/٦.

الكلام، فحينئذ يحسُن منه أن يعدل من الغَيْبة إلى الحضور، ويقول: ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾، وفيه دقيقة أخرى وهو أنَّ قوله: ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ يفيد الحصر، وهو أن لا يرهب الْخَلق إلا منه، وأن لا يرغبوا إلا في فضله وإحسانه، فلا رغبة إلا إليه، ولا رهبة إلا منه، فبفضله تندفع الحاجات، وبتكوينه وبتخليقه تنقطع الضرورات[١].

المثال الثاني:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً ۝٤٥ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً﴾ [سورة الفرقان: ٤٥– ٤٦].

المعنى العام للآيات:

جاء في هذه الآيات دليل من الأدلة الدالَّة على قدرة الله وعظمته، حيث مدَّ سبحانه الظِّلَّ، ولو شاء لجعله ثابتًا مستقرًّا لا تزيله الشمس، ثم جعل الشمس علامة يُستدَلُّ بها على أحواله، ثم تقلَّص الظِّل شيئًا فشيئًا، فكلما ازداد ارتفاع الشمس ازداد نقصانه[٢].

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٢٠/٢٠، باختصار.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ١٠٣/٦، تيسير الكريم الرحمن: ٥٨٤.

موضع الالتفات:

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا﴾ بأسلوب التكلم، بعد أن كان للغائب في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾.

نص كلام ابن عاشور المتعلق بالالتفات:

قال ابن عاشور: "والالتفات من الغَيْبة إلى التكلم في قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا﴾؛ لأنَّ ضمير المتكلم أَدْخَل في الامتنان من ضمير الغائب، فهو مُشْعِرٌ بأنَّ هذا الجَعْل نِعمة، وهي نِعمة النور الذي به تمييز أحوال المرئيات، وعليه فقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً﴾ ارتقاء في الْمِنَّة"(١).

ذكر ابن عاشور علة الالتفات من الغَيْبة إلى التكلم في هذا الموضع، فبعد أن بيَّن سبحانه نِعمة من نعَمِه وهي مَدُّه للظل أعقبه بذِكْر مِنَّة أخرى وهي نِعمة النور، ارتقاءً منه في المِنَّة، حيث جيء بأسلوب التكلم؛ لأنه الأنسب والأقرب لمقام الامتنان، وفي خَلْقه تعالى لهذا الكوكب العظيم حِكَم وفوائد، فمنها تمييز أحوال ما يشاهَد، وهي في إشعاعها، ودفئها، وانتظام سيرها في الفلَك، يترتب عليها انتظام مصالح العباد في معرفة الأيام والأوقات والآجال، وما يحصُل منه مِن تعاقُب الليل والنهار، وتعاقُب الفصول الأربعة، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَداً إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَداً

(١) التحرير والتنوير: ١٩/٤١، ٤٢.

إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة القصص: ٧١-٧٣].

وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلاَّ بِٱلْحَقِّ ۚ نُفَصِّلُ ءَايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة يونس: ٥] إلى غير ذلك من المنافع والمصالح، فتبارك الله أحسن الخالقين.

وأشار أبو السُّعود إلى أنَّ الالتفات هنا يُنبئ عن عظيم قدرة الله، ودِقة حكمته فيما ينشَأ بين الشمس والظِّل من علاقة مطَّردة بحسب سير الشمس، فكلما ازداد ارتفاع الشمس ازداد نقصان الظِّل، وقد عبَّر عن ذلك بقوله: "والالتفات إلى نون العظمة؛ لِما في الجَعْل المذكور العاري عن التأثير مع ما يشاهَد بين الشمس والظل من الدوران المطَّرد الْمُنبئ عن السببية من مزيد دلالة على عِظَم القدرة، ودِقة الحكمة، وهو السر في إيراد كلمة التراخي"(١).

وقد نصَّ الآلوسيّ على مثل ذلك في تفسيره منبِّهًا إلى ما يستتبع هذا الجَعْل من مصالح لا تُحصى للعباد(٢).

---

(١) إرشاد العقل السليم: ٦/٢٢٢.

(٢) ينظر: روح المعاني: ١٠/٢٨.

ويرى البِقاعيّ أنَّ الإشارة بنون العظمة مع مجيء أداة ﴿ثُم﴾ هنا؛ لاستشعار عِظم هذه القدرة، خاصة بعد ما أَلِفها الناس، وربما هانت على بعضهم، حيث قال: "ولمَّا كان إيجاد النهار بعد إعدامه، وتبيين الظل به غَبَّ[1] إبهامه أمرًا عظيمًا، وإن كان قد هان بكثرة الإلف، أشار بأداة التراخي ومقام العظمة فقال: ﴿ثُم جَعَلْنَا﴾ أي بعظمتنا ﴿ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً﴾ أي: يدور معها حيثما دارت، فلولا هي ما ظهر أنَّ لشيء ظلًّا، ولولا النور ما عُرف الظلام، والأشياء تُعرف بأضدادها"[2].

ويظهر للمتأمل أنَّ الالتفات هنا قد لفَت الأنظار إلى آية من آيات الله، فيها دلالة على عِظَم الخالق سبحانه، واستحقاقه للعبودية دون سواه، وهي موطن للتفكُّر والتذكُّر، وصدق البارئ حين قال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [سورة فصلت: ٥٣].

المثال الثالث:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [سورة النمل: ٦٠].

---

(١) غَبَّ: الغين والباء أصل صحيح يدل على زمان وفترة فيه، وغَبَّ بمعنى بَعُد، ينظر: مقاييس اللغة: ٤/ ٣٧٩، لسان العرب: ٦٣٥/١، مادة (غب).

(٢) نظم الدرر: ٣٩٧/١٣، ٣٩٨.

المعنى العام للآيات:

جاءت هذه الآية من جُمَل الآيات في توبيخ المشركين، وتقريرهم بأنه تعالى المتفرد بالخَلق، والرزق، والتدبير دون غيره، فهو مَن يستحق أن يُفْرَد بالعبادة، ولهذا قال تعالى: ﴿أَإِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ فعل هذه الأفعال حتى يُعْبَد معه ويُشْرَك به؟ ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ به غيره، ويُسَوُّون به سواه[١].

موضع الالتفات:

في قوله تعالى: ﴿فَأَنبَتْنَا﴾ بأسلوب التكلم، بعد أن كان للغَيْبَة في قوله: ﴿خَلَقَ﴾و﴿وَأَنزَلَ﴾.

نص كلام ابن عاشور المتعلق بالالتفات:

قال ابن عاشور: "ونون الجمع في ﴿فَأَنبَتْنَا﴾ التفات من الغَيْبة إلى الحضور، ومن لطائفه هنا التنصيص على أنَّ المقصود إسناد الإنبات إليه لئلا ينصرف ضمير الغائب إلى الماء؛ لأنَّ التذكير بالمنبِت الحقيقي الذي خلق الأسباب أَلْيَق بمقام التوبيخ على عدم رعايتهم نِعَمه"[٢].

بيَّن ابن عاشور سِرًّا من أسرار الالتفات إلى التكلم هنا، وهو التنصيص على المنبِت الحقيقي الذي هو الله تعالى، ومعلوم أنَّ الماء ما هو إلا سبب من أسباب الإنبات، وإلا فالله تعالى هو خالق الأسباب ومُسببها، ولولا إنزاله للماء وقدرته الإلهية لَما نبت الشجر ولا أثمر الثمر، وبما أنَّ الآية وردت في مقام توبيخ المشركين

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ١٨٢/٦، تيسير الكريم الرحمن: ٦٠٧.

(٢) التحرير والتنوير: ١١/٢٠.

الجاحدين لنِعَمه فالإتيان بأسلوب التكلم هنا أنسب من أسلوب الغَيْبة وأكثر وقعًا؛ لا سيما وأنَّ هذه الآية والآيات الأربع التالية لها، جاءت متميزةً ببنية لغوية مستقلة تتكوّن من (﴿أَمَّنْ﴾، وفعل من أفعال الخلق، وجملة اسمية مبتدؤها مسبوق بهمزة استفهام، وجملة دعائية أو تقريرية)، وبالنظر في هذه الآية وما بعدها، نجد أنَّ الآيات لا تحمل الإجابة عن التساؤلات المطروحة، ولكنَّ الجواب بالنفي حاضر من خلال بنية الخطاب، وإذا نظرنا للأفعال السابقة لفعل الإنبات وجدناها أفعالًا ماضية مسندة إلى ضمير غيبة مفرد مستتر ﴿خَلَقَ﴾ و﴿وَأَنزَلَ﴾، ثم يأتي الإسناد إلى ذات الله تعالى باستخدام ضمير الجمع للعظمة (نا)، ويتلو ذلك استفهامٌ جديد دون إجابة؛ لأن الإجابة تكون قد قُدِّمت بالفعل وبطريق غير مباشر عن طريق الالتفات، وهكذا يظهر لنا أن الالتفات جاء هنا مؤكِّدًا لِما دلت عليه الآياتُ من وحدانية الله عز وجل[1]، وما الإنبات إلا صورة واحدة من صور خَلْق الله الدالَّة على وحدانيته، فسبحان مَن خَلَقَ فأبدع.

وقد فصَّل الزَّمَخْشَريّ في بيان الالتفات لهذا الموضع، حيث قال: أي نُكتة في نقل الإخبار عن الغَيْبة إلى التكلم عن ذاته في قوله: ﴿فَأَنبَتْنَا﴾؟ قلت: تأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته، والإيذان بأنَّ إنبات الحدائق المختلفة الأصناف، والألوان، والطعوم، والروائح، والأشكال مع حسنها وبهجتها بماء واحد لا يقدر

(١) ينظر: تحليل الخطاب البلاغي: ١٤١، ١٤٢.

عليه إلا هو وحده، ألا ترى كيف رشح معنى الاختصاص بقوله: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُواْ شَجَرَهَا﴾؟ أراد أنَّ تأَتِّي ذلك مُحال من غيره[١].

فالنكتة عنده هي تأكيد اختصاص فِعل الإنبات لله تعالى وحده، والمتأمل للنبات يجد أنه يُسْقَى بماء واحد لكن يَنبت منه مختلف الثمار والحبوب على اختلاف أشكالها، وألوانها، وأصنافها، وطعومها، وروائحها، وهذا مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، فهو المنبِت لمختلف الحدائق والزروع، ومحال أن يأتي هذا الإنبات من غيره، وقد أكَّد هذا المعنى تعقيبه تعالى بقوله: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُواْ شَجَرَهَا﴾.

وتَبِعه بذِكر هذه النكتة عدد ليس بقليل من المفسرين كالبَيْضاوِيّ[٢]، والنَّسَفِيّ[٣]، وأبي حَيَّان[٤]، والنَّيسابوريّ[٥]، وأبي السُّعود[٦]، والسَّمين الحَلَبيّ[٧].

ويرى الرَّازِيّ أنَّ الالتفات هنا مُستحسَن؛ لأنه بمثابة ردٍّ على شبهة مَن قال: إنَّ المنبِت هو الإنسان، حيث قال: "يقال: ما حكمة الالتفات في قوله: ﴿فَأَنبَتْنَا﴾؟ جوابه: أنه لا شبهة للعاقل في أنَّ خالق السماوات والأرض، ومنزِّل الماء من السماء ليس إلا الله تعالى، وربما عَرَضت الشبهة في أنَّ منبِت الشجرة هو

(١) ينظر: الكشاف: ٣/٣٧٦، باختصار.

(٢) أنوار التنزيل: ٤/١٦٤.

(٣) مدارك التنزيل: ٢/٦١٥.

(٤) البحر المحيط: ٨/٢٥٧.

(٥) ينظر: غرائب القرآن: ٥/٣١٣.

(٦) إرشاد العقل السليم: ٦/٢٩٣-٢٩٤.

(٧) الدر المصون: ٨/٦٣٠-٦٣١.

الإنسان، فإن الإنسان يقول: أنا الذي أُلْقِي البِذر في الأرض الحرة، وأسقيها الماء، وأسعى في تشميسها، وفاعل السبب فاعل للمسبَّب، فإذن أنا المنبِت للشجرة، فلما كان هذا الاحتمال قائمًا لا جرم أزال هذا الاحتمال، فرجع من لفظ الغَيْبة إلى قوله: ﴿فَأَنبَتْنَا﴾، وقال: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُواْ شَجَرَهَا﴾؛ لأنَّ الإنسان قد يأتي بالبذر، والسقي، والكَرَب[١]، والتشميس، ثم لا يأتي على وِفق مراده، والذي يقع على وِفق مراده فإنه يكون جاهلًا بطبعه، ومقداره، وكيفيته، فكيف يكون فاعلًا لها؟! فلهذه النكتة حَسُنَ الالتفات هاهنا"[٢].

ونبَّه البِقاعيّ إلى أنَّ الانتقال إلى التكلم جاء هنا على وجه عظمة الله[٣]، وحقيقةً أنَّ ما ذكره المفسرون من تأكيد اختصاص الإنبات لله ليس إلا دليلًا على عظمة الله، فناسب تأتِّي الالتفات هنا؛ لاستشعار عظمة الله وبديع صنعه في إنبات النبات، وقد جاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم تدلُّ على اختصاصه تعالى بالإنبات، منها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّـٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ٱنظُرُواْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ ءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأنعام:

(١) كَرَبَ الأرض يَكْرُبها كَرْبًا وكِرَابًا: قلبها للحرث، وأثَارَها للزرع، ينظر: لسان العرب: ١/ ٧١٤-٧١٥، مادة (كرب).

(٢) مفاتيح الغيب: ٥٦٣/٢٤، وينظر: البحر المحيط: ٢٥٧/٨.

(٣) نظم الدرر: ١٨٧/١٤.

٩٩]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [سورة الشعراء: ٧]، وقوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَـٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ﴾ [سورة يس: ٣٣-٣٤].

ومَن يطلق العنان في عملية الإنبات يجد أنها من العمليات الحيوية المعقدة التي تحتاج لدرجات حرارة معينة، وتوفُّر عوامل وظروف مناسبين لهذا الإنبات، ورغم توفُّر كل شروط الإنبات عند بعض البذور إلا أنها لا تَنبُت، ولا يزال العلماء حتى وقتنا الحاضر يكشفون عن خصائص النبات، وتراكيبه، وآلياته، وبيئاته التي هي محلٌّ لإعمال العقل وإطلاق النظر، وصدق رب العزة حين قال: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ إِنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [سورة عبس: ٢٤-٣١].

المثال الرابع:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾

فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاًۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [سورة فصلت: ٩– ١٢].

المعنى العام للآيات:

جاءت هذه الآيات في سياق الإنكار والتعجب على كُفر الكافرين بالله تعالى، الذين جعلوا معه أندادًا يُشركونهم معه في العبادة، وهو الذي أتمَّ خلق السماوات والأرض في ستة أيام، ورتب مقرِّرًا في كل سماء ما تحتاج إليه من الملائكة، وما فيها من الأشياء التي لا يعلمها إلا هو، وزيَّن السماء الدنيا بالكواكب المنيرة، وذلك بتقدير منه سبحانه(١).

موضع الالتفات:

في قوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ بأسلوب التكلم، بعد أن كان للغائب ابتداءً من قوله: ﴿بِالَّذِي خَلَقَ ٱلْأَرْضَ﴾.

نص كلام ابن عاشور المتعلق بالالتفات:

قال ابن عاشور: "ووقع الالتفات من طريق الغَيْبة إلى طريق التكلم في قوله: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ تجديدًا لنشاط السامعين؛ لطول استعمال طريق الغَيْبة ابتداءً من قوله: ﴿بِالَّذِي

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ١٥١/٧-١٥٣، تيسير الكريم الرحمن: ٧٤٥.

خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ مع إظهار العناية بتخصيص هذا الصنع الذي ينفع الناس دينًا ودنيا، وهو خَلْق النجوم الدقيقة والشُّهُب بتخصيصه بالذِّكر من بين عموم ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾، فما السماء الدنيا إلا من جملة السماوات، وما النجوم والشُّهب إلا من جملة أَمْرِها"[(١)].

بيَّن ابن عاشور نُكتة الالتفات إلى التكلم في هذا الموضع، مشيرًا إلى الفائدة العامة المتمثِّلة في كل التفات؛ وهي تجديد نشاط السامعين، وإن تأكَّدت هنا أكثر نظرًا لطول استعمال أسلوب الغَيْبة بدءًا من قوله تعالى:﴿بِالَّذِي خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾.

أما فائدة الالتفات الخاصة في نظره فهي التخصيص، فقد خصَّ الله تعالى ذِكر النجوم دون غيرها من مخلوقاته، وذلك لِنفعها للعباد في تحديد بعض الأمور الدينية؛ كالاستدلال بها في معرفة القبلة، وتحقيق بعض المصالح الدنيوية؛ كالاستدلال بها في معرفة الاتجاهات، وكونها زينةً للسماء، ورجومًا للشياطين، إلى غير ذلك.

ونقل صاحب "البرهان" قولين يعلِّلان الانتقال إلى التكلم في هذا الموضع؛ أوَّلهما: أنه جاء للاهتمام بهذه النجوم، والإخبار عن نفسه تعالى بأنه جعلها زينةً للسماء الدنيا وحفظًا؛ تكذيبًا لمن أنكر ذلك.

والثاني: أنه لَما كانت الأفعال المذكورة في هذه الآية نوعين؛ أحدهما: جاء الإخبار عنه بوقوعه في الأيام المذكورة، وهو خَلْقُه تعالى للأرض في يومين، وجَعْله الرواسي من فوقها، وتقدير الأقوات في تمام أربعة أيام، ثم الإخبار بأنه استوى إلى السماء، وأنه أَتَمَّها وأكملها سبعًا في يومين، فجاء بضمير الغائب عطفًا على قوله في أول الكلام:﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ

(١) التحرير والتنوير: ٢٤/٢٥١.

لَهُۥٓ أَندَاداًۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾، إلى قوله: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ الآية، والثاني: قصد به الإخبار مطلقًا من غير قصد مدة خَلْقه، وهو تزيين السماء الدنيا بمصابيح، وجَعْلها حفظًا، فلم يقصد الإخبار عن مدة خَلْق النجوم، بخلاف ما قبله، التفت من الغَيْبة إلى التكلم فقال: ﴿وَزَيَّنَّا﴾[١].

وقد أشار أبو السُّعود والآلوسيّ في تفسيرَيهما إلى أولى هذين النُّكتتين، في أنَّ الالتفات هنا جاء لإبراز مزيد العناية والاهتمام بهذا الأمر[٢].

أما تعليل هذا الالتفات من جهة البلاغيين فقد ذكر ابن الأثير تفسيرًا مغايرًا، وهو أنَّ طائفة من الناس غير المتشرِّعين[٣] يعتقدون أنَّ النجوم ليست في السماء الدنيا، وأنها ليست حفظًا ولا رجومًا، فلما صار الكلام إلى هاهنا عدل به عن خطاب الغائب إلى خطاب النفس؛ لأنه مهم من مهمات الاعتقاد، وفيه تكذيب للفِرقة المكذِّبة المعتقدة بطلانه[٤].

ولعلنا نلحظ أنَّ الالتفات في قوله: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاًۚ﴾ جاء لِلفت أنظار المشركين إلى ما هو مُعايَن لهم ويشاهدونه كل حين، فيكون ذلك محفِّزًا لهم لإعمال عقولهم،

---

(١) ينظر: البرهان: ٣/٣٢١، ٣٢٢.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٨/٧، روح المعاني: ١٢/٣٥٦.

(٣) يعني مَن لاشريعة لهم.

(٤) المثل السائر: ٢/١٣٩.

والتأمُّل في بديع خلق الله، فيرجعون عن كفرهم وعنادهم، ويؤمنون بالله تعالى، بخلاف الأفعال السابقة في قوله تعالى: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ و﴿فَقَالَ﴾ و﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾ و﴿وَأَوْحَىٰ﴾ فهي أفعال غيبية وغير مشاهَدة.

المثال الخامس:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَاۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة التغابن: ٨].

المعنى العام للآيات:

جاءت هذه الآية في دعوة المشركين للإيمان بالله، وبرسوله، والقرآن المنزَّل عليه، والله تعالى خبير بهم، ولا يخفى عليه شيء من أعمالهم(١).

موضع الالتفات:

في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَاۚ﴾ بأسلوب التكلم، بعد أن كان للغَيْبة في قوله: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِاللَّهِ﴾.

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٨/١٦٠، تيسير الكريم الرحمن: ٨٦٦.

نص كلام ابن عاشور المتعلق بالالتفات:

قال ابن عاشور: "وفي قوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَاۖ﴾ التفات من الغَيْبة إلى التكلم؛ لزيادة الترغيب في الإيمان بالقرآن، تذكيرًا بأنه منزَّل من الله؛ لأنَّ ضمير التكلم أشد دلالة على معاده من ضمير الغائب، ولِتقوية داعي المأمور"(١).

صرَّح ابن عاشور بسرِّ الالتفات إلى التكلم في قوله: ﴿أَنزَلْنَاۖ﴾ وهو زيادة الترغيب في الإيمان بالقرآن؛ لأنَّ في إضافته لضمير المتكلم -وهو الله- تنبيهًا على أنَّه منزَّل من عند الله، فالإيمان به أوجب وألزم، ويؤيد ذلك ما وُصِف به القرآن، فهو نور يُهتدى به في ظلمات الجهل والضلال، ويُعرَف به الحلال والحرام، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [سورة النساء: ١٧٤] ففي وصْفه بالنور أدعى للاستجابة وأرغب للامتثال، كما أنَّ مجيئه بضمير التكلم أقوى دلالة مما لو كان بضمير الغائب.

(١) التحرير والتنوير: ٢٧٣/٢٨.

ويرى أبو السُّعود أنَّ سِرَّ الالتفات هنا يكمن في كمال عنايته تعالى بأمر الإنزال، حيث قال: "والالتفات إلى نون العظمة لإبراز كمال العناية بأمر الإنزال"(١).

فمن عنايته تعالى بأمر إنزالِه إنزالُه جملةً واحدة ثم مفرَّقًا، وما يترتب على ذلك من حِكَم أرادها سبحانه، قال تعالى: ﴿وَقُرْءَاناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾ [سورة الإسراء: ١٠٦].

كما تكفَّل تعالى بحفظ هذا الكتاب المنزَّل، بخلاف الكتب السماوية الأخرى، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[سورة الحجر: ٩] إلى غير ذلك من عنايته تعالى.

وقد تبع الآلوسيّ أبا السُّعود في هذه النكتة، وأضاف عليها أنَّ في هذا الالتفات تعظيمًا لشأن هذا القرآن(٢).

ومن هنا يظهر للقارئ دقة الالتفات إلى التكلم في هذا الموضع، واستيفاؤه لمعانٍ عدة؛ من زيادة ترغيب في الإيمان بهذا القرآن، وتعظيمه، والعناية بأمر إنزاله، جعلنا الله وإياكم من أهله، ورزقنا حُسن تدبُّره والعمل به.

---

(١) إرشاد العقل السليم: ٢٥٧/٨، وينظر: محاسن التأويل: ٢٤٥/٩.

(٢) ينظر: روح المعاني: ٣١٨/١٤.

المثال السادس:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [سورة التغابن: ١٢].

المعنى العام للآيات:

في هذه الآية أَمَرَ تعالى بطاعته وطاعة رسوله -صلى الله عليه وسلم- وبيَّن أنَّ مَن تولَّى عن ذلك فإنما على الرسول البلاغ، وليس بيده من الهداية والحساب شيء[(١)].

موضع الالتفات:

في قوله تعالى: ﴿رَسُولِنَا﴾ بأسلوب التكلم، بعد أن كان للغائب في قوله:﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾.

نص كلام ابن عاشور المتعلق بالالتفات:

قال ابن عاشور: "وهذا الضمير التفات من الغَيْبة إلى التكلم يفيد تشريف الرسول[(٢)] بعزِّ الإضافة إلى المتكلم"[(٣)].

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ١٦٢/٨، تيسير الكريم الرحمن: ٨٦٧.

(٢) صلى الله عليه وسلم.

(٣) التحرير والتنوير: ٢٨١/٢٨.

نصَّ ابن عاشور على نُكتة الالتفات في هذا الموضع، وهي تشريف الرسول -صلى الله عليه وسلم-؛ لأنَّ إضافة الرسول إلى الضمير الخاص بالمتكلم هنا -وهو الله تعالى- فيه عزٌّ له، وكرامة، وتشريف، وأيَّما تشريف!

وسبق أبو السُّعود والآلوسيّ ما أورده ابن عاشور في نكتة الالتفات هذه، وأشارَا إلى أنَّ الإضافة هنا إشعار بمدار وظيفته -صلى الله عليه وسلم- المتمثِّلة في البلاغ، كما أنَّ الالتفات هنا فيه تشنيع في التولِّي عنه -صلى الله عليه وسلم-، قال أبو السُّعود في تفسيره: "وإظهار الرسول مضافًا إلى نون العظمة في مقام إضماره؛ لتشريفه عليه الصلاة والسلام، والإشعار بمدار الحكم الذي هو كون وظيفته عليه الصلاة والسلام مَحْضَ البلاغ، ولزيادة تشنيع التولِّي عنه"(١).

ونبَّه البِقاعيّ إلى فائدة إضافة الرسول إلى نون العظَمة؛ وهي التعظيم له -صلى الله عليه وسلم- والتهديد لمن يتولَّى عنه، حيث قال: "﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا﴾ أضافه إليه على وجه العظَمة تعظيمًا له، وتهديدًا لمن يتولى عنه"(٢).

إنَّ السِر في الالتفات هنا يحمل معنى التسلية والتأييد من لدن الله تعالى، ومعيَّته لخير رسله صلوات الله وسلامه عليه، فمهما بلَغ المشركون من الإعراض والتولِّي عنه فإن الله تعالى مؤيِّده وناصره، كما أنَّ هذه الآية شاهِد على تعظيم الله تعالى لنبيه -صلى الله عليه وسلم- فالواجب على مَن آمن بالله أن يُعظِّم مَن عظَّمه الله.

---

(١) إرشاد العقل السليم: ٢٥٨/٨، وينظر: روح المعاني: ٣٢٠/١٤.

(٢) نظم الدرر: ١٢٦/٢٠.

وهكذا يلحظ القارئ المنصِف، والمتتبِّع الواعي لهذا النوع من الالتفات براعة وروعة وسُمُوّ النَّظْم القرآني في تغييره لمسار الخطاب من موضع إلى آخر، حتى يتَّسع لمعانٍ قد يُدرَك بعضها، ويُجهَل منها الكثير، حيث أفاد هذا النوع من الالتفات دلالات كثيرة، تفاوتت بين التعيين، والحصر، والمبالغة في الترهيب، والتشريف، والتعظيم، والتشنيع، والتهديد، وزيادة الترغيب، وتأكيد معنى الاختصاص، وإبراز كمال العناية بالأمر، وغيرها مما يعين على إدراك إعجاز هذا القرآن المنزَّل من لدن عليم حكيم.

المطلب الرابع: الالتفات من التكلم إلى الغَيْبة

ومعناه: أن يكون أسلوب الكلام جاريًا على ضمائر التكلم ثم ينتقل إلى ضمائر الغَيْبة، ومن خلال تتبُّعي لمواضع وروده في القرآن الكريم وجدتُ أنَّ الشواهد فيه قليلة، بخلاف ما سبقه من الأنواع، ومن أمثلته:

المثال الأول:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِإِلَيْكُمْ جَمِيعاً ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٨].

المعنى العام للآيات:

في هذه الآيات يخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- بأنه رسول من الله إلى الناس جميعًا، والذي أرسله هو خالق كل شيء، وربُّه، ومليكه، الذي بيده الملك، والإحياء، والإماتة، ثم أمَرهم بالإيمان بالله، والإيمان به النبي الأمِّي الذي يؤمن بما أُنْزِل إليه من ربه، ويُصَدِّق قوله عمله، وأَمَرهم بسلوك طريقه، واقتفاء أثره رجاء أن يهتدوا إلى الطريق المستقيم[(١)].

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣/٤٤٠-٤٤٣، تيسير الكريم الرحمن: ٣٠٥.

موضع الالتفات:

في قوله تعالى: ﴿وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّءِ ٱلۡأُمِّيِّ﴾ بأسلوب الغَيْبة، بعد أن كان للتكلم في قوله تعالى: ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ﴾.

نص كلام ابن عاشور المتعلق بالالتفات:

قال ابن عاشور: "وفي قوله: ﴿وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّءِ ٱلۡأُمِّيِّ﴾ التفات من التكلم إلى الغَيْبة؛ لِقصد إعلان تحقُّق الصفة الموعود بها في التوراة في شخص محمد صلى الله عليه وسلم"(١).

بيَّن ابن عاشور نكتة التفات إلى الغَيْبة هنا؛ وهو إعلان أنَّ ما ذُكِر في التوراة في وصف النبي –صلى الله عليه وسلم– متحقِّقٌ في ذات النبي، وهو كونه –صلى الله عليه وسلم– رسولًا نبيًّا أمِّيًّا يؤمن بالله وكلماته، لذا ناسب الإعلان عنه بطريق الغَيْبة، وقريب من هذا المعنى أشار الزَّمَخْشَريّ في تفسيره(٢).

وعلَّل المفسرون والبلاغيون هذا الالتفات بذِكر جملة من النُّكت؛ أولها: لِما فيه تنبيهٌ ودلالةٌ على وجوب الامتثال بالنبي –صلى الله عليه وسلم– واتِّباعه؛ لِما اتَّصف به من صفات داعية للإيمان به.

والثاني: لِما فيه دفْع التهمة عن نفسه بالعصبية لها، والدلالة على صِدقه، وأنه لا يدعو إلى الاتِّباع لذاته، بل لِما اتَّصف به من صفات يُبلِّغ بها شريعة ربه.

---

(١) التحرير والتنوير: ٩/١٤١.

(٢) ينظر: الكشاف: ٢/١٦٧.

والثالث: لِما أفضى هذا الالتفات من مزية بلاغة[١].

والذي أراه –والله أعلم– أنَّ ما ذكره ابن عاشور هو الأقرب؛ لِما في الانتقال إلى الغَيْبة هنا من تأكيد لِما ورد من صفات مُثبَتة للرسول –صلى الله عليه وسلم– في التوراة والإنجيل في الآية السابقة لها في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَٰةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٧].

المثال الثاني:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [سورة العنكبوت: ٣].

(١) ينظر: الكشاف: ١٦٧/٢، والمثل السائر: ١٤٤/٢، وأنوار التنزيل: ٣٨/٣، ومدارك التنزيل:٦١١/١، والبحر المحيط: ١٩٧/٥، والدر المصون: ٤٨٣/٥، والبرهان: ٣١٧/٣، والإتقان: ٢٩٠/٣، وإرشاد العقل السليم: ٢٨١/٣، وروح المعاني: ٧٨/٥، ٧٩.

المعنى العام للآيات:

ذكَر الله في هذه الآيات سنته وعادته في الأوَّلين وفي هذه الأمة، وهو ابتلاؤهم واختبارهم؛ ليتميَّز الذين صدَقوا من الكاذبين(١).

موضع الالتفات:

في قوله تعالى: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾بأسلوب الغَيْبة، وذلك بإظهار اسم الجلالة، بعد أن كان للتكلم في قوله تعالى: ﴿فَتَنَّا﴾.

نص كلام ابن عاشور المتعلق بالالتفات:

قال ابن عاشور: "وقد عدل في قوله: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾عن طريق التكلم إلى طريق الغَيْبة بإظهار اسم الجلالة على أسلوب الالتفات؛ لِما في هذا الإظهار من الجلالة؛ ليُعلم أنَّ الجزاء على ذلك جزاء مالك الملك"(٢).

صرَّح ابن عاشور بنُكتة الالتفات إلى الغَيْبة، وهي التعظيم لهذا الجزاء المترتِّب على تمييز الذين صدَقوا والكاذبين، وبيان أنَّ هذا الجزاء من الثواب أو العقاب جزاء من مالك الملك سبحانه.

وذهب أبو السُّعود إلى أنَّ الالتفات بإظهار اسم الجلالة كفيل بإلقاء الخوف والرهبة في النفوس،

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٦/٢٣٧، تيسير الكريم الرحمن: ٦٢٦.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٠/٢٠٦.

حيث قال: "والالتفات إلى الاسم الجليل؛ لإدخال الروعة وتربية المهابة"[١].

ويرى البِقاعيّ أنَّ الالتفات هنا فيه انتقال عن مظهر العظَمة في ابتلاء الناس واختبارهم إلى المعظَّم سبحانه؛ تنبيهًا للناقصين على أنه منزَّه عن كل نقص، حيث قال: وعَبَّر بالاسم الأعظم الدالِّ على جميع صفات الكمال التفاتًا عن مظهر العظَمة إلى أعظم منه؛ تنبيهًا للناقصين على أنه منزَّه عن كل شائبة نقص[٢].

إن مِثل هذا الالتفات من شأنه أن يُدخِل الروعة في قلوب الكاذبين، والأُنس والفرح في قلوب الصادقين؛ لذا ناسب تغيير الأسلوب إلى الغَيْبة بإظهار اسم الجلالة في هذا المقام.

والناس عند الفتنة درجات لا يحصيها إلا الله، فمستقِلٌّ ومستكثِر، فنسأل الله تعالى أن يثبِّتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يثبِّت قلوبنا على دينه، فالابتلاء والامتحان للنفوس بمنزلة الكِير، يُخرج خبثها وطيبها[٣].

---

(١) إرشاد العقل السليم: ٣٠/٧، وينظر: روح المعاني: ٣٤١/١٠.

(٢) ينظر: نظم الدرر: ٣٩٠/١٤، باختصار.

(٣) ينظر تيسير الكريم الرحمن: ٦٢٦.

المطلب الخامس: الالتفات من الخطاب إلى التكلم

ومعناه: أن يكون أسلوب الكلام جاريًا على ضمائر الخطاب ثم ينتقل إلى ضمائر التكلم، ومن أمثلته:

المثال الأول:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ [سورة القصص: ٥٩].

المعنى العام للآيات:

جاءت هذه الآية مبيِّنة سُنَّة الله تعالى في الإهلاك، حيث لا يُهلِك تعالى أُمَّة حتى يبعث فيها رسولًا يتلو عليهم آياته، فيُكذَّب بها ويُكفَر، ومن سنته أن لا يُهلِك أهل القرى إلا بعد ظُلم أهلها[1].

موضع الالتفات:

في قوله تعالى: ﴿ءَايَٰتِنَاۚ﴾ بأسلوب التكلم، بعد أن كان للخطاب في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾.

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٦/٢٢٣، ٢٢٤، تيسير الكريم الرحمن: ٦٢٠.

نص كلام ابن عاشور المتعلق بالالتفات:

قال ابن عاشور: الخطاب للنبي عليه السلام، ووقع الالتفات عنه إلى ضمير المتكلم في قوله: ﴿ءَايَـٰتِنَا﴾ للإشارة إلى أنَّ الآيات من عند الله، وأنَّ الدِّين دين الله(١).

ذهب ابن عاشور إلى أنَّ غرض الالتفات هنا هو الإشارة بأنَّ الآيات الْمَتْلُوَّة من لدُن الرسل عليهم السلام هي آيات الله، والدِّين الذي بُعث به كل رسول هو دين الله.

ويرى أبو السُّعود في تفسيره أنَّ باعث الالتفات إلى التكلم هو بَثُّ الهيبة والروعة في النفوس، حيث قال: "والالتفات إلى نون العظَمة؛ لتربية المهابة، وإدخال الروعة"(٢)، وتبِعَه الآلوسيّ بذكر هذه النكتة في تفسيره(٣).

فلا يخفى على ذي بصر ما أضافه الالتفات للتكلم هنا من معنى قد لا نجد شيئًا منه في عدمه.

المثال الثاني:

﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ۝٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ ٱلْجَحِيمِ ۝٢٣ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ۝٢٤ مَا لَكُمْ لاَ تَنَاصَرُونَ ۝٢٥ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ۝٢٦ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٢٧ قَالُواْ

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥٣/٢٠، باختصار.

(٢) إرشاد العقل السليم: ٢٠/٧.

(٣) روح المعاني: ٣٠٦/١٠.

إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْماً طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾ [سورة الصافات: ٢٢-٣١].

المعنى العام للآيات:

جاءت هذه الآيات تحكي مآل الكافرين وأزواجهم، وما كانوا يعبدون من الأصنام والأنداد، والحوار الذي يدور بين التابعين منهم والمتبوعين في يوم القيامة(١).

موضع الالتفات:

يُحتمَل أن يكون من الخطاب في قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لاَ تَنَاصَرُونَ﴾ إلى التكلم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾، ويُحتمَل أن يكون من الغَيْبة ابتداءً من قوله تعالى: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ﴾ إلى التكلم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾.

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣/٤٤٠-٤٤٣، تيسير الكريم الرحمن: ٣٠٥.

نص كلام ابن عاشور المتعلق بالالتفات:

قال ابن عاشور: "وجملة ﴿إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾ بيان لـ﴿قَوْلُ رَبِّنَا﴾، وحُكي القول بالمعنى على طريقة الالتفات، ولولا الالتفات لقال: إنكم لذائقون أو إنهم لذائقون، ونُكتة الالتفات زيادة التنصيص على المعنِيّ بذَوق العذاب"(١).

بيَّن ابن عاشور نُكتة الالتفات إلى التكلم في هذا الموضع، وهي زيادة تنصيص لهؤلاء الكفار المذكورين في الآيات بذَوقهم العذابَ، حيث نُصَّ في الآيات التي قبلها بالعذاب الذي سيحلُّ بهم في قوله تعالى: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ ٱلْجَحِيمِ﴾، فهو زيادة تنصيص على ما نُصَّ من قبل، ومقتضى الظاهر أن يقال: إنكم لذائقون؛ عَوْدًا على ضمير الخطاب في قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لاَ تَنَاصَرُونَ﴾، فيكون نوع الالتفات من الخطاب إلى التكلم، أو: إنهم لذائقون؛ عَوْدًا على ضمير الغَيْبة في قوله تعالى: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ﴾ فيكون نوع الالتفات من الغَيْبة إلى التكلم.

ويرى الزَّمَخْشَريّ أنَّ الالتفات هنا يحمِل معنى الوعيد بلسانهم، حيث قال في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾: "وعيد الله بأنَّا ذائقون لعذابه لا محالة، لِعلْمه بحالنا

(١) التحرير والتنوير: ٢٣/١٠٥.

واستحقاقنا بها العقوبة، ولو حكى الوعيد كما هو لقال: إنكم لذائقون، ولكنه عدل به إلى لفظ المتكلم؛ لأنهم متكلمون بذلك عن أنفسهم، ونحوه قول القائل[١]:

لَقَـــدْ زَعَمَـــتْ هَـــوَازِنُ قَـــلَّ مَـــالِي[٢]

ولو حكى قولها لقال: قل مالك، ومنه قول المحلِّف للحالف: احلف لأخرجنّ ولتخرجن؛ الهمزة لحكاية لفظ الحالف، والتاء لإقبال المحْلِف على المحْلِف"[٣].

وأرى أنَّ الالتفات هنا غرضه -والله أعلم- التنبيه على عِظَم هذا العذاب وشدَّته، ويعضد ذلك التعبير بالذَّوق لهذا العذاب، حيث إن أصل الذوق في اللغة فيما يقِل تناوله دون ما يكثر، فإن ما يكثر منه يقال له: الأكل، وارتبط ذِكْره بذوق الطعام الذي يتلذَّذ به الإنسان، وقد يخرج إلى دلالات أخرى.

واختير في القرآن لفظ الذَّوْق في العذاب؛ لأنَّ ذلك -وإن كان في التعارف للقليل- فهو مستصلَح للكثير، فخصَّه بالذِّكر ليعمَّ الأمران، وكثر استعماله في العذاب[٤]، نحو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٦].

---

(١) لم أقف على قائل هذا البيت.

(٢) هذا الجزء هو صدر البيت وعجزه: وهل لي غير ما أنفقت مال، ينظر: روح المعاني: ٨١/١٢.

(٣) الكشاف: ٤٠/٤، ٤١، وينظر: مدارك التنزيل:١٢١/٣، وينظر: روح المعاني:٨١/١٢.

(٤) ينظر: المفردات: ٣٣٢، وتاج العروس: ٢٥/ ٣٢٦، ٣٢٧، مادة: (ذوق).

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ [سورة النساء: ٥٦].

وقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾[سورة السجدة: ٢٠].

ومنْه يُفْهَم أنَّ في ذَوق العذاب يتبين للإنسان المعذَّب شدة هذا العذاب وحقيقته، تمامًا كما يستطيع الإنسان أن يعلم حقيقة الطعام بتذوُّق القليل منه، أعاذنا الله وإياكم من العذاب.

المطلب السادس: الالتفات من التكلم إلى الخطاب

ومعناه: أن يكون أسلوب الكلام جاريًا على ضمائر التكلم ثم ينتقل إلى ضمائر الخطاب، ومن خلال تتبُّعي لمواضع وروده في القرآن الكريم عند ابن عاشور لم أقف إلا على موضع واحد، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدىً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة النحل: ١٠١-١٠٢].

المعنى العام للآيات:

يخبر تعالى في هذه الآيات عن المشركين المكذِّبين بالوحي أنهم إذا رأوا تغيير الأحكام ناسخها بمنسوخها قالوا لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾ أي: كذَّاب، وعلَّم الله تعالى رسوله كيف يردُّ عليهم بأنَّ الذي أنزله هو جبريل عليه السلام من لدُن الله تعالى بالصدق والعدل؛ ليَثبُت الذين آمنوا فيصدِّقوا به، وتُخْبت له قلوبهم، وجعله هدى وبشرى للمسلمين[1].

موضع الالتفات:

في قوله تعالى: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ بأسلوب الخطاب، بعد أن كان للتكلم في قوله تعالى: ﴿نَزَّلَهُۥ﴾.

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٥١٧/٤، ٥١٨، تيسير الكريم الرحمن: ٤٤٩.

نص كلام ابن عاشور المتعلق بالالتفات:

قال ابن عاشور: "فبعد أن أبطل الله دعواهم عليه أنه مُفْتَرٍ بطريقة النقض أمر رسوله أن يبيِّن لهم ماهية القرآن، وهذه نُكتة الالتفات في قوله تعالى: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ الجاري على خلاف مقتضى ظاهر حكاية المقول المأمور بأن يقوله؛ لأنَّ مقتضى الظاهر أن يقول: من ربي، فوقع الالتفات إلى الخطاب تأنيسًا للنبي –صلى الله عليه وسلم– بزيادة توغُّل الكلام معه في طريقة الخطاب"(١).

بيَّن ابن عاشور غرض الالتفات إلى الخطاب في قوله: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ وهو تأنيس النبي –صلى الله عليه وسلم–، وبالنظر في سياق الآيات نجد أنَّ هذه النكتة جاءت مناسبة لِما ورد في سياقها في حق النبي –صلى الله عليه وسلم– لا سيما بعد أن بالَغ المشركون في نسبة الافتراء إليه بلفظ ﴿إِنَّمَا﴾، وبمواجهته بالخطاب، واستخدام اسم الفاعل الدالِّ على الثبوت(٢) في قولهم: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ﴾ لذا جاء هذا الالتفات يحمل معنى التسلية للنبي عليه الصلاة والسلام والتأنيس له، فهو تعالى ربُّه وناصره ومؤيِّده، وجاء مخالفًا لمقتضى ظاهر الكلام؛ لأنَّ مقتضى الظاهر أن يقال: (من ربي)، ومعلوم أنَّ الالتفات أحد الحالات التي يخرج فيها الكلام عن مقتضى الظاهر(٣) لنكت بلاغية أشار ابن عاشور في هذا الموضع إلى إحداها.

---

(١) التحرير والتنوير: ١٤/٢٨٤.

(٢) ينظر: الدر المصون: ٧/ ٢٨٦.

(٣) من الحالات التي يخرج فيها الكلام عن مقتضى الظاهر: تنزيل خالي الذهن منزلة المتردد، وغير المنكر منزلة المنكر، والمنكر منزلة غيره، ووضع الْمُضْمَر موضع الْمُظْهَر، والْمُظْهَر موضع الْمُضْمَر، والتعبير عن المستقبل بلفظ الماضي، والماضي بلفظ المستقبل، ولبسط هذا الكلام ينظر: المعاني في ضوء أساليب القرآن: ١١٤، و ٢٢٤-٢٣٦.

ونبَّه أبو حَيَّان إلى أنَّ في إضافة اسم الرب إلى كاف الخطاب تشريفًا للرسول -صلى الله عليه وسلم- باختصاص الإضافة له، والإعراض عنهم إذ لم يُضَفْ إليهم(١).

فيما يرى أبو السُّعود في أنّ في الإضافة إلى كاف الخطاب دلالة على تحقيق إفاضة آثار الربوبية عليه -صلى الله عليه وسلم- ما ليس في إضافته إلى ياء المتكلم المبنيَّة على التلقين المحض(٢).

بعد هذا التفصيل في بيان أنواع الالتفات الستة المعروفة عند ابن عاشور، ومناقشة الأمثلة المندرجة تحتها، وإبراز النُّكت البلاغية المستنبَطة منها، تبيَّن أنَّ لديه نوعًا آخر ظهر في عدد من الشواهد القرآنية سنتناوله في المبحث الثاني بإذن الله.

(١) ينظر: البحر المحيط: ٥٩٤/٦.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم: ١٤١/٥، ومحاسن التأويل: ٤٠٩/٦.

المبحث الثاني

المواضع الأخرى التي عَدَّها ابن عاشور من الالتفات

المبحث الثاني
المواضع الأخرى التي عَدَّها ابن عاشور من الالتفات

جاء عند ابن عاشور نوع مغاير لأنواع الالتفات الستة المتنقلة بين الضمائر الثلاث (المخاطب والغائب المتكلم)، وهو الالتفات من الخطاب إلى الخطاب (الالتفات اللغوي)، ويعني به الانتقال في الخطاب بين عدة مخاطَبين؛ لنكتة أو غرض أراده المخاطِب، وقد سبقه إليه أبو السُّعود في تفسيره بعد أن أبان بعضًا من صوره مُدْخِلًا بعضه من باب تلوين الخطاب[(١)]، وذكره ابن قُتَيْبَة في كتابه "تأويل مشكل القرآن" تحت باب مخالفة اللفظ معناه عندما قال: ومنه أن يخاطب الرجل بشيء ثم يجعل الخطاب لغيره، كقوله: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ﴾ [سورة هود: ١٤]، الخطاب للنبي -صلى الله عليه وسلم- ثم قال للكفار: ﴿فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ﴾ [سورة هود: ١٤]، يدلُّك على ذلك قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [سورة هود: ١٤]، وقال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ [سورة الفتح: ٨]، ثم قال: ﴿لِّتُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [سورة الفتح: ٩][(٢)].

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٢٠٤/٢، ١٨٧/٣، ١٣/٤، ١٣٣/٥، ٤٠/٦.

(٢) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ١٧٧، ١٧٨، باختصار.

ومن خلال تأمُّلي لمواضعه عند ابن عاشور وجدته يتفرَّع لأنواع:

النوع الأول: الالتفات من خطاب مفرد إلى خطاب مفرد:

ومثاله: ما جاء في قوله تعالى:﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [سورة يوسف: ٢٩].

المعنى العام للآيات:

جاءت هذه الآية في ثنايا ذِكْر قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز بعدما ثبت صِدق يوسف عليه السلام وكَذِب امرأة العزيز فيما قذفته ورمته به، حيث أمره العزيز بالإعراض عن هذا الأمر، وعدم ذِكْره لأحد، وأمر امرأته بطلب العفو من الذنب الذي ارتكبته[(١)].

موضع الالتفات:

في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ﴾ في خطاب العزيز لامرأته، بعد أن كان الخطاب ليوسف عليه السلام في قوله تعالى:﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾.

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٤/ ٣٢٩، تيسير الكريم الرحمن: ٣٩٦.

نص كلام ابن عاشور المتعلق بالالتفات:

قال ابن عاشور: "وجملة ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا﴾ من قول العزيز؛ إذ هو صاحب الْحُكم، وجملة ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ﴾ عطف على جملة ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ﴾ في كلام العزيز، عطفُ أمْرٍ على أمر، والمأمور مختلِف، وكاف المؤنثة المخاطَبة متعيِّن أنه خطاب لامرأة العزيز، فالعزيز بعد أن خاطبها بأنَّ ما دبَّرته هو من كيد النساء وجَّه الخطاب إلى يوسف عليه السلام بالنداء، ثم أعاد الخطاب إلى المرأة، وهذا الأسلوب من الخطاب يسمى بالإقبال، وقد يسمَّى بالالتفات بالمعنى اللغوي عند الالتفات البلاغي، وهو عزيز في الكلام البليغ، ومنه قول الجَرْميِّ[(١)] من طيء من شعراء الحماسة:

إِخَالُكَ مُوعِدِي بِبَنِي جَفِيفٍ وَهَالَةَ إِنَّنِي أَنْهَاكَ هَالَا

قال الْمَرْزُوقِيّ[(٢)] في «شرح الحماسة»[(٣)]: "والعرب تجمع في الخطاب والإخبار بين عِدَّة ثم تُقْبِل أو تلتفت من بينهم إلى واحد؛ لكونه أكبرهم أو أحسنهم سماعًا وأخصَّهم بالحال"[(٤)].

في هذا الموضع وضَّح ابن عاشور نوعًا مغايرًا لأنواع الالتفات الستة المعروفة عنده، حيث يختص هذا النوع بأسلوب الخطاب المتنقَّل منه إلى خطاب آخر، وكأنه يشير إلى أنه مصاحب لالتفات حقيقي وهو

---

(١) هو عامر بن جوين بن عبد رضاء بن قمران الطائي، شاعر فارس، من أشراف طيء في الجاهلية، من المعمَّرين.

ينظر ترجمته في: الأزمنة والأمكنة: ٣٨٨، الأعلام للزركلي: ٣/ ٢٥٠.

(٢) أحمد بن محمد بن الحسن، ويكنى بأبو علي، من أهل أصبهان، كان غاية في الذكاء والفطنة، وحسن التصنيف، وإقامة الحجج، وحسن الاختيار، من تصانيفه: شرح الحماسة، شرح الفصيح، شرح المفضليات، مات في ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وأربعمائة.

ينظر ترجمته في: إرشاد الأريب: ٢/ ٥٠٦، بغية الوعاة: ١/ ٣٦٥.

(٣) شرح ديوان الحماسة: ١٨١.

(٤) التحرير والتنوير: ٢٥٩/١٢.

المذكور في المعنى اللغوي للالتفات، حيث يعمد فيه المخاطِب إلى مخاطبة أحد، ثم يلتفت بِلَيِّ رأسه إلى مخاطبة آخرين؛ لذا سُمِّي باسمه (الالتفات اللغوي)، وسُمِّي أيضًا بالإقبال، حيث يخاطِب فيه جماعة ثم يُقْبِل على آخرين ويخاطبهم.

وقد عُرِف هذا الأسلوب قديمًا، واستعمله العرب في أشعارهم، وشاهِد ذلك ما نقله ابن عاشور من قول الجُرْميِّ:

إِخَالُكَ مُوعِدِي بِبَنِي جَفِيفٍ وَهَالَةَ إِنَّنِي أَنْهَاكَ هَالَا

في قوله: (إخال) ضربٌ من الاستهانة، يقول: أحسبك تهدِّدني ببني جفيفٍ وبهالة، ثم أقبل على هالة فقال: إني أزجرك عن التحكُّك بنا، ونصرة من ينابذنا، ومثل هذا الكلام يسمى التفاتًا، ونُكتته كما أشار قد تكون للتخصيص، أو كون المخاطب الثاني هو الأكبر أو الأكثر سماعًا[1].

وفيما يخص باعث الالتفات في هذا الموضع فقد ألمح إليه ابن عاشور، ويظهر أنه مرتبط بالمعنى، ومقصود منه اختلاف الأمر باختلاف المأمور، فبعد أن اتَّضح صِدق يوسف عليه السلام وانكشف مكْر امرأة العزيز وكيدها أمَرَ العزيزُ يوسف عليه السلام بالإعراض عن هذا الأمر، وعدم ذِكره لأحد، ثم التفت إلى امرأته وأمرها بطلب العفو من الذنْب الذي ارتكبته، ومن هنا نلحظ ما أفاده هذا الالتفات في إبراز صورة هذا المشهد.

(١) ينظر: شرح ديوان الحماسة: ١٨١.

النوع الثاني: الالتفات من خطاب مفرد إلى خطاب جماعة:

ومثاله: ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَامِرِيُّ ۝٩٥ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ۝٩٦ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَّن تُخْلَفَهُۥ وَانظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفاً ۝٩٧ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْماً﴾ [سورة طه: ٩٥-٩٨].

المعنى العام للآيات:

جاءت هذه الآيات في سياق ذِكر حادثة عبادة بني إسرائيل للعجل بعد تزيين السامِريّ لهم ذلك في فترة غياب موسى عليه السلام، ثم خطابه للسامِريّ وخطابه للأُمَّة من بني إسرائيل(١).

موضع الالتفات:

في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْماً﴾ في خطاب موسى عليه السلام للأمة من بني إسرائيل، بعد أن كان الخطاب للسامِريّ في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَامِرِيُّ﴾، وفي قوله: ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾.

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٥/ ٢٧٥، ٢٧٦، تيسير الكريم الرحمن: ٥١٢.

نص كلام ابن عاشور المتعلق بالالتفات:

قال ابن عاشور: "﴿إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْماً﴾ هذه الجملة من حكاية كلام موسى عليه السلام، فموقعها موقع التذييل لِوعظه، وقد التفت من خطاب السَّامِرِيّ إلى خطاب الأُمَّة إعراضًا عن خطابه تحقيرًا له، وقصدًا لتنبيههم على خطئهم، وتعليمهم صفات الإله الحق"(١).

ذكر ابن عاشور باعث الالتفات من خطاب السامِرِيّ إلى خطاب الأمة؛ وهو التحقير للسامِرِيّ الذي صنع لهم العجل وزيَّن لهم عبادته، كما أنَّ الالتفات فيه تنبيه على خطأ بني إسرائيل في انسياقهم للسامِرِيّ، وعبادتهم للعجل في غياب موسى عليه السلام، وقد ختَم وعظه بالالتفات المتضمِّن صفات الإله الحق سبحانه، الذي اختص بوحدانيته وسِعَة علمه، المستحق للعبادة.

وقال أبو السُّعود معلِّقًا على هذا الالتفات في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ﴾ "استئناف مَسُوق لتحقيق الحق إثر إبطال الباطل، بتلوين الخطاب وتوجيهه إلى الكل، أي: إنما معبودكم المستحق للعبادة الله"(٢).

---

(١) التحرير والتنوير: ١٦/٣٠٠.

(٢) إرشاد العقل السليم: ٦/٤٠، وينظر: روح المعاني: ٨/٥٦٧.

النوع الثالث: الالتفات من خطاب جماعة إلى خطاب جماعة:

ومثاله: ما جاء في قوله تعالى: ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَـٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [سورة الكهف: ١٥-١٦].

المعنى العام للآيات:

يخبر تعالى عن قيل الفتية من أصحاب الكهف لَما ربط الله على قلوبهم؛ إذ قالوا في وجه المشركين الظَّلمة: ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ هلّا ﴿يَأْتُونَ عَلَيْهِم﴾ بحجة واضحة تثبت عبادة هؤلاء الأصنام من دون الله؟ فلا أحد أظلم ممن افترى الله الكذب باتخاذ آلهة تُعْبَد معه، ثم أخبر تعالى عن قيل أصحاب الكهف بعضهم لبعض حين فارقوا قومهم بدينهم، وتركوا ما يعبدون من الآلهة إلا عبادة الله: الْجَؤوا إلى الكهف لعبادة ربكم وحده يبسط لكم ربكم من رحمته، ويسهِّل لكم من أمركم ما تنتفعون به في حياتكم من أسباب العيش[1].

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ١٢٨/٥، ١٢٩، تيسير الكريم الرحمن: ٤٧٢.

موضع الالتفات:

في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ ٱللَّهَ فَأْوُۥاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مَّرْفِقاً﴾ في خطاب أصحاب الكهف بعضهم لبعض، بعد أن كان الخطاب في مواجهة قومهم في قوله تعالى: ﴿هَٰؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلاَ يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍ بَيِّنٍ﴾.

نص كلام ابن عاشور المتعلق بالالتفات:

قال ابن عاشور بعد قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ ٱللَّهَ فَأْوُۥاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مَّرْفِقاً﴾ يتعيَّن أن يكون هذا من كلام بعضهم لبعض على سبيل النصح والمشورة الصائبة، وليس يلزم في حكاية أقوال القائلين أن تكون المحكيات كلها صادرة في وقت واحد، فيجوز أن يكونوا قال بعضهم لبعض ذلك بعد اليأس من ارعواء[1] قومهم عن فتنتهم في مقام آخر، ويجوز أن يكون ذلك في نفس المقام الذي خاطبوا فيه قومهم بأن غيَّروا الخطاب من مواجهة قومهم إلى مواجهة بعضهم بعضًا، وهو ضرب من الالتفات، وعلى الاحتمالين

(١) والارعواء هو: النزوع وحسن الرجوع، يقال: ارعوى فلان عن الجهل يرعوي ارعواءً حسنًا ورَعْوَى حسنة، وهو نزوعه وحُسْن رجوعه، ينظر: لسان العرب: ١٤/ ٣٢٨، مادة (رعي).

فالقرآن اقتصر في حكاية أقوالهم على المقصد الأهم منها في الدلالة على ثباتهم، دون ما سوى ذلك مما لا أثر له في الغرض، وإنما هو مجرد قَصص[(١)].

ذكر ابن عاشور غرض الالتفات من خطاب أصحاب الكهف لقومهم إلى خطاب بعضهم بعضًا؛ وهو الدلالة على ثباتهم، سواءً جاءت المحكيات في وقت واحد، أو حال بينهم زمن، ودليل ذلك مواجهة بعضهم لبعض بتقديم النصح والمشورة بعد خطابهم لقومهم في قوله تعالى: ﴿فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفِقاً﴾ [سورة الكهف: ١٦]، والمتأمِّل في قصة أصحاب الكهف يلحظ ثباتهم؛ إذ لم يتأثروا بتقليد آبائهم فأنجاهم الله، وزادهم هدى، وخصَّهم تعالى بالذِّكر في كتابه، وأثنى عليهم، وخلَّد ذِكرهم وسيرتهم إلى يوم القيامة؛ فلله درُّهم!

النوع الرابع: الالتفات من خطاب جماعة إلى خطاب مفرد:

ومثاله: ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَاناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [سورة النحل: ٨١-٨٣].

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧٦/١٥، باختصار.

المعنى العام للآيات:

جاءت هذه الآيات في ثنايا تذكير الله لعباده بنِعَمه حتى ينقادوا ويُسْلِموا، فإن تمرَّدوا وأعرضوا فإنما على الرسول البلاغ؛ بالوعظ والتذكير، والإنذار والتحذير، وليس عليه من هدايتهم شيء[١].

موضع الالتفات:

في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ في خطاب الله تعالى للنبي -صلى الله عليه وسلم- بعد أن كان الخطاب عامًّا للعباد الذين كان الحديث عنهم في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾.

نص كلام ابن عاشور المتعلق بالالتفات:

قال ابن عاشور: "وقد حوِّل الخطاب عنهم إلى خطاب النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو نوع من الالتفات، فيه التفات من أسلوب إلى أسلوب، والتفات عمَّن كان الكلام موجَّهًا إليه بتوجيه الكلام إلى شخص آخر، والمعنى: كذلك يتم نعمته عليكم لتسلموا، فإن لم يسلموا فإنما عليك البلاغ، والمقصود تسلية النبي -صلى الله عليه وسلم- على عدم استجابتهم"[٢].

بيَّن ابن عاشور نُكتة الالتفات من خطاب الناس عمومًا إلى خطاب النبي -صلى الله عليه وسلم- وهي تسليته -صلى الله عليه وسلم- في حال تولِّي قومه وعدم استجابتهم لدعوته، فليس عليه -صلى الله

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم:٤/ ٥٠٧، ٥٠٨، تيسير الكريم الرحمن: ٤٤٥.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٤١/١٤.

عليه وسلم- إلا البلاغ المبين، أمَّا هداية الخَلْق وحسابهم فبيد الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ [سورة الرعد: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة القصص: ٥٦].

وما ذكَره ابن عاشور قد سبقه إليه أبو السُّعود في تفسيره بعد قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ حيث قال: "فعل ماضٍ على طريقة الالتفات، وصرَف الخطاب عنهم إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تسليةً له، أي: فإن أعرضوا عن الإسلام ولم يقبلوا منك ما ألقي إليهم من البينات، والعبرة، والعظات، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ أي: فلا قصور من جهتك؛ لأنَّ وظيفتك هي البلاغ الموضِّح أو الواضح، وقد فعلته بما لا مزيد عليه"(١).

وفي الإعراض عن خطاب مَن تولى إلى خطاب النبي -صلى الله عليه وسلم- إيذانٌ بعدم تأهُّلهم لخطاب الله تعالى، خاصَّة بعد ذِكر جملة من النِعَم المقتضية انقيادهم لأمر الله وطاعة رسوله، لذا وبَّخهم الله في الآية التي تليها بقوله: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ۖ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [سورة النحل: ٨٣].

هذه هي بعض الأمثلة لصُوَر الالتفات عند ابن عاشور، والصُّوَر الأخرى التي عدَّها منه، ومن خلال ما سبق يظهر جليًّا ما بذله -رحمه الله- من جهد كبير في الكشف عن كثير من قيمة هذا الفنِّ البلاغي

(١) إرشاد العقل السليم: ١٣٣/٥.

وأسراره، وبيان جمالياته التي تختلف بحسب السياق ومقام الخطاب في القرآن الكريم، ومما يجدر ذِكره أنَّ ابن عاشور كان يشير إلى الالتفات أحيانًا دون أن يوضح صورته أو النُّكت الناتجة عنه، ومثال ذلك ما أورده بعد قوله تعالى: ﴿وَالَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [سورة الزخرف: ١١]، حيث قال: "وضمير ﴿فَأَنشَرْنَا﴾ التفات من الغَيْبة إلى التكلم"(١).

وقد يكتفي بالتعليل في بعض المواضع بالتفنُّن، ومثال ذلك ما أورده بعد قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [سورة النحل: ١٢٠-١٢٢]، حين قال: "وضمير ﴿ءَاتَيْنَٰهُ﴾ التفات من الغَيْبة إلى التكلم؛ تفنُّنًا في الأسلوب لتوالي ثلاثة ضمائر غَيْبة"(٢).

وقد يعبِّر في مواضع أُخَر بأنه مُحسِّن لا يحتاج إلى نُكتة، ومثال ذلك ما أورده بعد قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [سورة النور: ٥٤]، حين قال: "في

(١) التحرير والتنوير: ١٧١/٢٥.

(٢) التحرير والتنوير: ٣١٧/١٤.

ضمائر ﴿فَإِنَّمَاعَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ التفات، وأصل الكلام: فإنما عليك ما حُمِّلت وعليهم ما حُمِّلوا، والالتفات مُحسِّن لا يحتاج إلى نكتة"[1].

(١) التحرير والتنوير: ١٨/٢٨٠.

الخاتمة

الخاتمة

أحمد الله تعالى أن يسَّر لي كتابة هذا البحث، وأعانني على إتمامه، وأسأله بمنِّه وكرمه أن يعمَّ بنفعه، وبعد دراسة أسلوب الالتفات عند الإمام ابن عاشور في تفسيره، وعَرْض بعض نماذجه القرآنية ومناقشتها، وإبراز ما تضمنته من أسرار بلاغية ولطائف ونُكَت بديعية؛ توصَّلت إلى جملة من النتائج والتوصيات، ومن أبرزها:

أولاً: النتائج:

١- مصطلح "الالتفات" من المصطلحات التي لاقت اضطرابًا في تحديد دلالتها عبر العصور؛ فالناظر في كُتب المتقدمين يجد أنَّ التعريف لم يستقر على شيء بعينه، ولذا اختُلِفَ في تسميته؛ فسُمِّي بِاسم الالتفاف، والصرف، والانصراف، والمجاز، والتعريض، والاستدراك، وسُمِّي أيضًا بالشجاعة العربية.

٢- وقد تبيَّن من خلال هذه الدراسة تبايُن مصطلح "الالتفات" عند البلاغين، وتعريفهم له بحدود متقاربة في الدلالة؛ إذ لم يخرجوا في تعريفاتهم عن أصل معناه اللغوي الذي يرتبط بالتنقُّل والتحوُّل بالكلام من صيغة إلى أخرى.

٣- تنازع أهل البلاغة في تصنيف الالتفات؛ لأصالته ووفرة دلائله المعنوية، والفنية، والجمالية، فعدَّه بعضهم من عِلم البديع؛ كأبي هِلَال العَسْكَرِيّ، وابن الْمُعْتَزّ، والباقِلّانِيّ، وعدَّه آخرون من عِلم البيان؛ كابن الأَثِير، والزَّمَخْشَرِيّ، وأما السَّكّاكيّ فتارةً يجعله من عِلم البيان، وتارة يجعله من عِلم المعاني، وليس هذا التنازع إلا دليلًا على عناية البلاغيين بفنِّ الالتفات واهتمامهم به.

٤- يدخل هذا الفن ضمن الحالات التي يخرج فيها الكلام عن مقتضى الظاهر لنُكَت بلاغية.

٥- نال هذا الفنُّ منزلةً لدى بعض المفسرين؛ فأَوْلَوْه عنايةً عندما عرَّفوا به وأبانوا بعضًا من صوَره في تفاسيرهم؛ كالطَّبَريّ، والرَّازِيّ، وأبي حَيَّان، وأبي السُّعود، والآلوسيّ.

٦- فنّ الالتفات أحد الفنون البلاغية التي أولاها الطاهر ابن عاشور عنايةً كبيرة، وعدَّها من الفصاحة؛ بل ومن النفائس عند بُلغاء العرب، حيث أخذ هذا الفن حيِّزًا كبيرًا من جهوده البلاغية، فعرَض مفهومه في مُقدمته العاشرة من تفسيره، وأدرجه ضمن وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، وتعقَّب بعض أمثلته بذِكر الفوائد والنُّكت، وحسَّنه في بعض المواضع مع ذِكْر السبب.

٧- للالتفات فائدة عامة متمثِّلة في تجديد نشاط السامعين وجَذْب انتباههم، وفوائد ولطائف أخرى مما تناسب المقام، أو الموضع، أو الآية، أو السياق بعينه.

٨- نُكَت الالتفات وأسراره الخاصة كثيرة في القرآن الكريم، ولعل مَن فتح الله عليه بالتدبر والتأمل يتجلَّى له ما لا يتجلَّى لغيره، فأسراره لا تنقضي، وعجائبه لا تنتهي، وهذا بلا شك من إعجاز القرآن الكريم.

٩- يُعَدُّ ابن عاشور ممن تطرَّقوا إلى الالتفات بمفهومه الخاص، حيث حصروا الالتفات في الانتقال بين الضمائر فقط، أي بأحد الطرق الثلاثة: "التكلم، والخطاب، والغَيْبة".

١٠- ذكر ابن عاشور أنَّ الالتفات كثير في القرآن الكريم، ويظهر ذلك في تفسيره، فقد أَورد -فيما ظهر لي- ما يقرب من مائة وخمسة وثمانين موضعًا، تتبَّعتُها في الثبت الخاص بالمواضع، وناقشتُ بعضها خلال هذه الدراسة.

١١- اتخذ ابن عاشور طُرقًا متشابهة في التعبير عن الالتفات، فتارة يعبِّر عنه صراحةً بالالتفات، وهو الأكثر، وأحيانًا يعبِّر عنه بقوله: "على طريقة الالتفات" أو "من قَبِيل الالتفات"، وقد يعبِّر عنه بقوله: "قريبًا من الالتفات وليس عينه"، وقد يُوَضِّح الالتفات دون أن يسميه ثم يقول: "وهو ضرْب

من الالتفات"، وقد يأتي بعبارة "سكون الالتفات"، وقد يعرِض وجه الالتفات المحتمَل في الآية ويقول: "وهو يحتمل الالتفات".

١٢- قد يكتفي ابن عاشور أحيانًا بالإشارة إلى الالتفات دون أن يوضِّح صورته أو النُّكَت الناتجة عنه، وقد يعلِّل وقوعه في بعض المواضع بالتفنُّن، وقد يعبِّر في مواضع أُخَر بأنه مُحسِّن لا يحتاج إلى نكتة.

١٣- يظهر من خلال مدارسة الأمثلة لكل نوع من أنواع الالتفات بلاغة النَّظم القرآني، واتساعه في استيفاء المعاني، وإعجازه في التصرف بالأساليب.

١٤- يُعَدُّ الالتفات من الغَيْبة إلى الخطاب أكثر أنواع الالتفات ورودًا في القرآن الكريم.

١٥- ومن خلال استعراض الأمثلة يظهر بجلاء تنوُّع النكت الناشئة من الالتفات، والتي منها: الامتنان، والتكريم، والتوبيخ، والتقريع، والمبالغة، وتشديد الإنكار، والتبكيت، والإنذار، والتعريض، والتهديد، والتشريف، والتلذيذ بالخطاب، وتنشيط الهمم، وإيقاظ القلوب، والإعراض، والحط من رتبة الخطاب، والتحقير، والحكاية لغير المخاطَبين، والتخصيص، والتأييس، والتشهير، والتنصيص بالحال الذميم، وتمحيض الخطاب للمؤمنين، والتعجيب، والمقت، والتبعيد، والطرد، وغيرها.

١٦- وقد تبيَّن من خلال هذه الدراسة أنَّ النُّكت الناشئة عن الأمثلة في كل نوع من أنواع الالتفات ليست محصورة بهذا النَّوع بعينه، فقد يتكرَّر ذِكرها في الأنواع الأخرى، كما أنه لا يمكن تخصيص نكت لكل نوع من أنواع الالتفات، وقد يستنبط الباحث من هذه المواضع نكتًا أخرى تظهر له بعد توفيق الله.

١٧- أحيانًا يحاكي ابن عاشور المفسرين والبلاغيين في نُكتِهِ ويسير على نهجهم، وقد يستنبط فوائد جديدة ويخرج بملْمح دقيق المعنى لم يسبقه أحد إليه.

١٨- هناك أسلوب عَدَّهُ ابن عاشور من الالتفات، ويسمى بالإقبال، أو الالتفات بالمعنى اللغوي، ويَتفرَّع منه عِدة صور، فمنه الالتفات من خطاب مفرد إلى خطاب مفرد، ومنه الالتفات من خطاب مفرد إلى خطاب جماعة، ومنه الالتفات من خطاب جماعة إلى خطاب جماعة، ومنه الالتفات من خطاب جماعة إلى خطاب مفرد.

١٩- الالتفات فن بلاغي يحتاج من المستنبِط أدوات يستطيع من خلالها استخراج اللطائف والنكت المعينة على تدبُّر كتاب الله، ومن هذه الأدوات:

أ- معرفة وسعة اطِّلاع على معاني كلام الله من حيث سوره، وارتباط الآي بعضها مع بعض، وأسباب النزول، وغيرها من علوم القرآن.

ب- معرفة بأساسيات البلاغة والنحو.

ت- معرفة في القراءات وتوجيهها.

ث- تأمُّل وبصيرة نافذة بعد عون الله وتوفيقه.

ثانيًا: التوصيات:

أوصي بدراسة الالتفات عند المفسرين الذين أولوه عناية ولم يُفْرِد الباحثون له دراسة وافية كالرَّازِيّ، والآلوسيّ، وأبي حَيَّان.

وأملي بالله أن أكون قد وفِّقت في هذا البحث إلى ما قصدت إليه من تجلية الالتفات عند الإمام الطاهر ابن عاشور في تفسيره، وبيان موقفه منه، مع إبراز النكت واللطائف المتعلِّقة ببعض الشواهد القرآنية خدمةً للقرآن وأهله، فإن أفاد ونفع فذلك رجائي فيه، وإن كان دون ذلك فمن نفسي والشيطان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثبت تفصيلي بمواضع الالتفات في تفسير ابن عاشور

م	السورة	الآية	الجزء	الصفحة	نوع الالتفات
١	الفاتحة	٢-٥	١	١٧٨-١٧٩	غيبة – خطاب
٢	البقرة	٥٣-٥٤	١	٥٠٥	تكلم – غيبة
٣		٨٨	١	٥٩٩	خطاب – غيبة
٤		١٤٣-١٤٦	٢	٣٩	خطاب – غيبة
٥		١٦٨-١٧٠	٢	١٠٦	خطاب – غيبة
٦		٢٠٨،٢٠٩-٢١٠	٢	٢٨١، ٢٨٢	خطاب – غيبة
٧		٢٨٥	٣	١٣٣	غيبة – تكلم
٨	آل عمران	١٣	٣	١٧٧	خطاب – غيبة
٩		٣٦	٣	٢٣٣	خطاب – غيبة
١٠		٤٧-٤٨	٣	٢٤٩	غيبة – تكلم
١١		٥٦-٥٧	٣	٢٦٢	تكلم – غيبة
١٢		٦٧-٧٠	٣	٢٧٩	غيبة – خطاب
١٣		٧٩-٨٠	٣	٢٩٦، ٢٩٧	غيبة – خطاب
١٤		٨١-٨٣	٣	٣٠٠-٣٠١	خطاب – غيبة
١٥	النساء	٧٥-٧٤	٥	١٢٢	غيبة – خطاب
١٦		١١٤	٥	٢٠٠	غيبة – تكلم

١٧		١٣٩-١٤٠	٥	٢٣٤	غيبة – خطاب
١٨		١٤٥-١٤٧	٥	٢٤٥	غيبة – خطاب
١٩	المائدة	١٢	٦	١٤٠	غيبة – تكلم
٢٠		٤٧-٥٠	٦	٢٢٧	غيبة – خطاب
٢١	الأنعام	١-٢	٧	١٢٩	غيبة – خطاب
٢٢		٣-٤	٧	١٣٣-١٣٤	خطاب – غيبة
٢٣		٦	٧	١٣٨	غيبة – خطاب
٢٤		٣٢	٧	١٩٦	غيبة – خطاب
٢٥		٩١	٧	٣٦٤، ٣٦٥ ٣٦٧ ٣٦٧	*غيبة – خطاب أو خطاب – غيبة *غيبة – خطاب
٢٦		٩٩	٧	٣٩٨	غيبة – تكلم
٢٧		١٠٩	٧	٤١١	غيبة – خطاب
٢٨		١٢٧-١٢٨	٨-أ	٦٦	غيبة – تكلم
٢٩	الأعراف	٣	ب-٨	١٨	خطاب – غيبة
٣٠		٢٦	٨-ب	٧٦	خطاب – غيبة
٣١		١٥٨	٩	١٤١	تكلم – غيبة
٣٢		١٦٩	٩	١٦٣	غيبة – خطاب
٣٣		١٨٧	٩	٢٠٠	غيبة – تكلم

٣٤		١٨٩-١٩٠	٩	٢١٥	خطاب – غيبة
٣٥		١٩٣-١٩٤	٩	٢٢٠	غيبة – خطاب
٣٦	الأنفال	١٩-١٨	٩	٢٩٨	غيبة – خطاب
٣٧		٤٨	١٠	٣٦	غيبة – خطاب
٣٨	التوبة	٢-١	١٠	١٠٥	غيبة – خطاب
٣٩		٦٧-٦٩	١٠	٢٥٦	غيبة – خطاب
٤٠	يونس	٢-٣	١١	٨٧	غيبة – خطاب
٤١		٥	١١	٩٧	غيبة – تكلم
٤٢		٢٢	١١	١٣٥	خطاب – غيبة
٤٣	يوسف	٢٩	١٢	٢٥٩	التفات لغوي
٤٤		١٠٩	١٣	٦٩	غيبة – خطاب
٤٥	ابراهيم	٢-٩	١٣	١٩٥	غيبة – خطاب
٤٦	النحل	١	١٤	٩٨	خطاب – غيبة
٤٧		٣-٥	١٤	١٠٤	غيبة – خطاب
٤٨		١٧-١٩	١٤	١٢٥	خطاب – غيبة
٤٩		٢٠-٢١	١٤	١٢٦	خطاب – غيبة
٥٠		٤٥-٤٨	١٤	١٦٨	غيبة – خطاب
٥١		٥١	١٤	١٧٤	غيبة – خطاب

٥٢		٥١	١٤	١٧٤	غيبة – تكلم
٥٣		٥٣-٥٦	١٤	١٨٠	خطاب – غيبة
٥٤		٥٦	١٤	١٨١	غيبة – خطاب
٥٥		٦٦-٦٥	١٤	١٩٩	غيبة – خطاب
٥٦		٧١	١٤	٢١٦	خطاب – غيبة
٥٧		٧٨-٧٩	١٤	٢٣٥	خطاب – غيبة
٥٨		٨١-٨٢	١٤	٢٤١	التفات لغوي
٥٩		٩٥-٩٦	١٤	٢٧٢	غيبة – تكلم
٦٠		١٠٢	١٤	٢٨٤	تكلم - خطاب
٦١		١٢١-١٢٢	١٤	٣١٧	غيبة – تكلم
٦٢	الإسراء	١	١٥	٢١-٢٢	غيبة – تكلم
٦٣		٤٠-٤١	١٥	١٠٩	خطاب – غيبة أو التفات لغوي
٦٤		٤٢-٤٣	١٥	١١٣	غيبة – خطاب
٦٥		٦٧- ٦٨، ٦٩	١٥	١٦٤	غيبة – تكلم
٦٦		٩٠-٩٥	١٥	٢١١	خطاب – غيبة
٦٧	الكهف	١٦	١٥	٢٧٦	التفات لغوي
٦٨		١٠٣	١٦	٤٦	خطاب – غيبة
٦٩		١٠٣	١٦	٤٦	غيبة – تكلم

٧٠	مريم	٢١	١٦	٨٣	غيبة – تكلم
٧١		٦٨-٧١	١٦	١٤٩	غيبة – خطاب
٧٢		٨٨-٨٩	١٦	١٧٠	غيبة – خطاب
٧٣	طه	١٩-١٤	١٦	٢٠٧	تكلم – غيبة
٧٤		٥٣	١٦	٢٣٧	غيبة – تكلم
٧٥		٨٠	١٦	٢٧٥	قريبًا من الالتفات
٧٦	الأنبياء	٦-٧	١٧	١٨	غيبة – خطاب
٧٧	الحج	٢٨	١٧	٢٤٧	غيبة – خطاب
٧٨		٦٠-٦٢	١٧	٣١٧	غيبة – خطاب
٧٩		٧٣-٧٤	١٧	٣٤٢	خطاب – غيبة
٨٠	المؤمنون	١٥-١٤	١٨	٢٦	غيبة – خطاب
٨١		٧٧-٧٨	١٨	١٠٤	غيبة – خطاب
٨٢		٨٠-٨١	١٨	١٠٦	خطاب – غيبة
٨٣		٨٩-٩٠	١٨	١١٢	خطاب – غيبة
٨٤	النور	١٢	١٨	١٧٤	خطاب – غيبة
٨٥		٣١	١٨	٢١٤	التفات لغوي
٨٦		٥٤	١٨	٢٨٠	خطاب – غيبة
٨٧		٦٢	١٨	٣٠٧	غيبة – خطاب

٨٨		٦٢-٦٣	١٨	٣٠٩	غيبة – خطاب
٨٩	الفرقان	١٧	١٨	٣٣٧	تكلم – غيبة
٩٠		١٧-١٩	١٨	٣٤١، ٣٤٢	التفات لغوي
٩١		٤٥	١٩	٤١، ٤٢	غيبة – تكلم
٩٢		٤٦-٤٧	١٩	٤٤	تكلم – غيبة
٩٣		٤٨-٥٠	١٩	٤٧	غيبة – تكلم
٩٤	النمل	٢٤-٢٥	١٩	٢٥٥	غيبة – خطاب
٩٥		٦٠	٢٠	١١	غيبة – تكلم
٩٦		٦٢	٢٠	١٦	خطاب – غيبة
٩٧		٨٣-٨٤	٢٠	٤٠	تكلم – غيبة
٩٨		٨٠-٩٠	٢٠	٥٣	غيبة – خطاب
٩٩	القصص	٩	٢٠	٧٩	التفات لغوي
١٠٠		٥٩	٢٠	١٥٣	خطاب - تكلم
١٠١		٥٧-٦٠	٢٠	١٥٤	غيبة – خطاب
١٠٢		٦٠	٢٠	١٥٤	خطاب – غيبة
١٠٣	العنكبوت	٣	٢٠	٢٠٦	تكلم – غيبة
١٠٤		٢٣	٢٠	٢٣٤	غيبة – تكلم
١٠٥		٤١-٤٢	٢٠	٢٥٥	غيبة – خطاب

١٠٦		٥١-٥٥	٢١	٢٠	تكلم – غيبة
١٠٧	الروم	١٠-١١	٢١	٦١	غيبة – خطاب
١٠٨		٨-١٧	٢١	٦٥	غيبة – خطاب
١٠٩		٣٤-٣٥	٢١	٩٩	خطاب – غيبة
١١٠		٤٠	٢١	١٠٨	خطاب – غيبة
١١١	لقمان	٢٣-٢٨	٢١	١٨٣	غيبة – خطاب
١١٢		٣٢	٢١	١٩٢	غيبة – تكلم
١١٣	السجدة	٣-٤	٢١	٢١١	غيبة – خطاب
١١٤		٧-٩	٢١	٢١٧	غيبة – خطاب
١١٥	الأحزاب	٧-٨	٢١	٢٧٦	تكلم – غيبة
١١٦		٩	٢١	٢٧٩	خطاب – غيبة
١١٧	سبأ	٩	٢٢	١٥٤	تكلم – غيبة
١١٨		٣٦-٣٧	٢٢	٢١٥	غيبة – تكلم
١١٩	فاطر	٢٧	٢٢	٣٠٠	غيبة – تكلم
١٢٠		٢٩	٢٢	٣٠٦	غيبة – تكلم
١٢١	يس	٦٣-٦٥	٢٣	٥٠	خطاب – غيبة
١٢٢		٦٩-٧٠	٢٣	٦٦	غيبة – خطاب
١٢٣	الصافات	٢٦-٣١	٢٣	١٠٥	**خطاب - تكلم أو غيبة – تكلم**

١٢٤		١٤٩-١٥٠	٢٣	١٨١	غيبة — تكلم
١٢٥	ص	٥٠-٥٣	٢٣	٢٨٤	غيبة — خطاب
١٢٦		٥٢-٥٣	٢٣	٢٨٤	التفات لغوي
١٢٧	الزمر	٣-٦	٢٣	٣٣١	غيبة — خطاب
١٢٨		٣٦	٢٤	١٣	غيبة — خطاب
١٢٩	غافر	١٨-٢٠	٢٤	١١٨	غيبة — خطاب
١٣٠		٢١	٢٤	١٢٠	غيبة — خطاب
١٣١		٥٦-٥٨	٢٤	١٧٩	غيبة — خطاب
١٣٢	فصلت	٩-١٢	٢٤	٢٥١	غيبة — تكلم
١٣٣	الشورى	٦-٧	٢٥	٣٥	غيبة — تكلم
١٣٤		٩-١١	٢٥	٤٤	غيبة — خطاب
١٣٥		١٣	٢٥	٥٢	غيبة — تكلم
١٣٦		٢٥	٢٥	٩٠	غيبة — خطاب
١٣٧	الزخرف	٥-٨	٢٥	١٦٦	خطاب — غيبة
١٣٨		١١	٢٥	١٧١	غيبة — تكلم
١٣٩		١٥-١٦	٢٥	١٧٩	غيبة — خطاب
١٤٠		١٦-١٧	٢٥	١٧٩	خطاب — غيبة
١٤١		٨٣-٨٥	٢٥	٢٧٠	غيبة — خطاب

١٤٢		٨٧-٨٨	٢٥	٢٧٢	خطاب – غيبة
١٤٣	الدخان	١٣-١٥	٢٥	٢٩٢	غيبة – خطاب
١٤٤		٥٤-٥٦	٢٥	٣٢٠	تكلم – غيبة
١٤٥	الجاثية	٣-٦	٢٥	٣٣١	غيبة – خطاب
١٤٦		١٤	٢٥	٣٤٢	غيبة – تكلم
١٤٧		٣٥	٢٥	٣٧٦	خطاب – غيبة
١٤٨	محمد	٢١-٢٢	٢٦	١١١	غيبة – خطاب
١٤٩	الفتح	١٠	٢٦	١٦٠	غيبة – تكلم
١٥٠		١٧	٢٦	١٧٢	غيبة – تكلم
١٥١		٢٥	٢٦	١٩٢	غيبة – تكلم
١٥٢		٢٥-٢٦	٢٦	١٩٤	تكلم – غيبة
١٥٣	ق	٢٨-٣٠	٢٦	٣١٧	غيبة – تكلم
١٥٤	الطور	٣٠-٣٩	٢٧	٧٤	غيبة – خطاب
١٥٥	النجم	٢- ٢٣	٢٧	١٠٩	خطاب – غيبة
١٥٦	القمر	٢٦-٢٧	٢٧	١٩٩	خطاب – غيبة
١٥٧	الرحمن	٣١	٢٧	٢٥٧	تكلم – غيبة
١٥٨	الواقعة	٩٠-٩١	٢٧	٣٤٩	غيبة – خطاب
١٥٩	الحديد	١٦-١٧	٢٧	٣٩٤	غيبة – خطاب

١٦٠		٢٨-٢٩	٢٧	٤٣١	خطاب – غيبة
١٦١	الجمعة	٩-١١	٢٨	٢٢٧	خطاب – غيبة
١٦٢	التغابن	٨	٢٨	٢٧٣	غيبة – تكلم
١٦٣		٩	٢٨	٢٧٧	غيبة – تكلم
١٦٤		١٢	٢٨	٢٨١	غيبة – تكلم
١٦٥	الطلاق	١١	٢٨	٣٣٨	غيبة – تكلم
١٦٦	الحاقة	٣٨-٤٢	٢٩	١٤٣	خطاب – غيبة
١٦٧	الجن	١٧	٢٩	٢٤٠	غيبة – تكلم
١٦٨	المزمل	٢٠	٢٩	٢٨٣	غيبة – خطاب
١٦٩	المدثر	٣٦-٣٧	٢٩	٣٢٤	غيبة – خطاب
١٧٠		٥٥-٥٦	٢٩	٣٣٣	غيبة – خطاب
١٧١	القيامة	٣، ١٥-٢٠، ٢١	٢٩	٣٥١	غيبة – خطاب
١٧٢		٣١-٣٤	٢٩	٣٦٣	غيبة – خطاب
١٧٣	الإنسان	٢٩-٣٠	٢٩	٤١٥	غيبة – خطاب
١٧٤	المرسلات	٢٩-٣٥، ٣٦	٢٩	٤٣٩	خطاب – غيبة
١٧٥		٤٦-٤٨	٢٩	٤٤٦	خطاب – غيبة
١٧٦	النبأ	١	٣٠	٩	من باب الالتفات
١٧٧		١-٦	٣٠	١٣	غيبة – خطاب

١٧٨		١-٨	٣٠	١٦	غيبة – خطاب
١٧٩	النازعات	(١٠-١٤)-٢٧	٣٠	٨٣	غيبة – خطاب
١٨٠	الانشقاق	٦-٢٠	٣٠	٢٣١	خطاب – غيبة
١٨١	الأعلى	(١١-١٣)-١٦	٣٠	٢٨٩	غيبة – خطاب
١٨٢	الغاشية	٢٤-٢٥	٣٠	٣٠٨	غيبة – تكلم
١٨٣	الفجر	١٥-(١٧-٢٠)	٣٠	٣٣٣	غيبة – خطاب
١٨٤		٢٨-(٢٩،٣٠)	٣٠	٣٤٤	غيبة – تكلم
١٨٥	التين	(٤،٥)-٧	٣٠	٤٣٠	غيبة – خطاب

الفهارس العلمية

- ❖ فهرس الآيات القرآنية
- ❖ فهرس الأحاديث النبوية
- ❖ فهرس الأعلام
- ❖ فهرس الأشعار
- ❖ فهرس المصادر والمراجع

فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	٥	٨٠
سورة البقرة		
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِالرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ...﴾	٨٧–٨٩	١٣٦
﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	٢٢٠	٧٧
﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ...﴾	٢٨٥	٩٢
سورة آل عمران		
﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾	١٠٦	١٩١
سورة النساء		

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۗ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا ...﴾	٤٦	١٣٩
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾	٥٦	١٩٢
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾	٦٤	٧٦
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ﴾	٨١	٢
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾	١٧٤	١٧٧

سورة المائدة

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ...﴾	١٣	١٤٠
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى	٥٦	٥٧

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾		
﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّاغُوتَ ...﴾	٦٠	١٤٠
﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ ...﴾	١١٨	٥٣،٥٢

سورة الأنعام

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم ...﴾	١-٢	٩٧
﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ۝٢ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ...﴾	٢-٥	١٤١،١٤٠
﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝٣ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ ...﴾	٣-٤	٩٣
﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ	٥	١٤٣

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
أَنبَـٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾		
﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ ...﴾	٦	٧٥، ١٠١
﴿وَقَالُواْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾	٢٩	١٣١
﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَـٰٓؤُلَآءِ﴾	٨٩	٩١
﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً...﴾	٩٩	١٧١

سورة الأعراف

﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾	٢٦	١٤٣
﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِإِلَيْكُمْ جَمِيعاً ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ...﴾	١٥٨	١٨٢
﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ	١٥٧	١٨٤

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ...﴾		
﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾	١٩٩	٥٥

سورة التوبة

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾	١-٢	١٠٤
﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	٦١	٥٧،٥٨
﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَالْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٦٧ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَالْمُنَٰفِقَٰتِ ...﴾	٦٧-٦٩	١٠٧،١٠٨
﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ	١١١	٧٧،٧٨

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾		

سورة يونس

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ نُفَصِّلُ ءَايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾	٥	١٦٦
﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلإِنسَانَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِۦ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَآئِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا....﴾	١٢	١١٥
﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ...﴾	٢٢—٢٣	١٤٦
﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾	٢٢	٦٧، ٦٩، ٧٠

سورة هود

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِۦ صَدْرُكَ أَنْ يَّقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾	١٢	٥٩

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ...﴾	١٤	١٩٧
﴿وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِى أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْراً ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِى أَنفُسِهِمْ إِنِّىَ إِذاً لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	٣١	٥٠
﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰ ءَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخاً إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾	٧٢	٥٤
﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ بُعْداً لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾	٩٥	٦١

سورة يوسف

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِى لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَٰطِـِٔينَ﴾	٢٩	١٩٨

سورة الرعد

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾	٤٠	٢٠٧
﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلاَ يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَاقَ﴾	٤٤	٥٤

سورة إبراهيم

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۝٦ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ ٱللَّهِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾	٦-٧	٧٨

سورة الحجر

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾	٩	١٧٨
﴿فَاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾	٦٥	٦٦

سورة النحل

﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَاسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾	١٥-١٦	١٥١
﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لاَ تَتَّخِذُواْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّاىَ فَارْهَبُونِ﴾	٥١	١٦١
﴿وَأَقْسَمُواْ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَنْ يَّمُوتُ بَلَىٰ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾	٣٨	١٣١
﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَاناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ ...﴾	٨١-٨٣	٢٠٥
﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾	٨٣	٢٠٧
﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ ...﴾	١٠١-١٠٢	١٩٣

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِّلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٢٠ شَاكِراً لِّأَنْعُمِهِ ...﴾	١٢٠-١٢٢	٢٠٨

سورة الإسراء

﴿إِقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾	١٤	١٥٥
﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً﴾	٢٩	٦٠
﴿وَقُرْءَاناً فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلاً﴾	١٠٦	١٧٨

سورة الكهف

﴿فَأْوُۥاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مَّرْفِقاً﴾	١٦	٢٠٥
﴿هَٰؤُلاَءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلاَ يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً ۝١٥ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ ...﴾	١٥-١٦	٢٠٣،٩٠
﴿وَأُحِيطَ بِثُمُرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّى أَحَداً﴾	٤١	٥١

سورة مريم

﴿وَمَا يَنبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً﴾	٩٢	١١٣

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَداً ۝٨٨ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً﴾	٨٨–٨٩	١١٠

سورة طه

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾	٧٧	٥٢
﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾	٧٨	٩٠
﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَامِرِيُّ ۝٩٥ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ۝٩٦ قَالَ فَاذْهَبْ ...﴾	٩٥–٩٨	٢٠١
﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾	١١١	٣٢

سورة الأنبياء

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾	٣٣	٦٢

سورة الحج

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَالْقَآئِمِينَ وَالرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾	٢٦	٦٢

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾	٣٣	٦٢

سورة المؤمنون

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾	١٨	٥٢
﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	٤١	٥٠

سورة النور

﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ...﴾	٥٤	٢٠٨

سورة الفرقان

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾	٤٥-٤٦	١٦٤

سورة الشعراء

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾	٧	١٧٢

سورة النمل

﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا	٦٠	١٦٧،٩٢

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُواْ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾		

سورة القصص

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾	٥٩	١٨٧
﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾	٥٦	٢٠٧
﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَداً إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ ...﴾	٧١-٧٣	١٦٥،١٦٦

سورة العنكبوت

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾	٣	١٨٤
﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾	٦٥	١١٤،١١٥
﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَا ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلْيَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾	٦٦	١١٥

سورة الروم

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَه	١٧-١٨	٥٥

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
ٱلْحَمْدُ ...﴾		
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۖ﴾	٢٧	٩٩
﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً ...﴾	٣٣-٣٤	١١٣
﴿وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُواْ فِىٓ أَمْوَالِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾	٣٩	٧٠
﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ﴾	٥٥	٦٢

سورة السجدة

﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ ...﴾	٧-٩	١١٨
﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ ...﴾	٢٠	١٩٢

سورة الأحزاب

﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦۖ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۖ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۖ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾	٤	٥٣

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيراً﴾	٢١	٥٨
﴿لاَّ جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي ءَابَآئِهِنَّ وَلاَ أَبْنَآئِهِنَّ وَلاَ إِخْوَانِهِنَّ وَلاَ أَبْنَآءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلاَ أَبْنَآءِ أَخَوَاتِهِنَّ ...﴾	٥٥	١٢١

سورة يس

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾	٣٣	٦٠
﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ ...﴾	٣٣-٣٤	١٧٢
﴿هَاذِهِ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾	٦٣-٦٥	١٥٤
﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً ...﴾	٧٧-٧٩	١٣١

سورة الصافات

﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُواْ	٢٢-٣١	١٨٨،١٨٩

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَاهْدُوهُمْ ...﴾		

سورة ص

﴿هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا ...﴾	٤٩–٥٣	١٢٤

سورة الزمر

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَاداً لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾	٨	١١٦

سورة فصلت

﴿بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ﴾	٤	١٤٥
﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَاداً ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ مِن فَوْقِهَا ...﴾	٩–١٢	١٧٢،١٧٣
﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾	٥٣	١٦٧

سورة الزخرف

﴿وَالَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾	١١	٢٠٨

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الجاثية		
﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ...﴾	٣٤–٣٥	١٥٦،١٥٧
سورة الفتح		
﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾	٨	١٩٧
﴿لِّتُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾	٩	١٩٧
سورة ق		
﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ ٱلأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾	١٥	٩٩
سورة الحجرات		
﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلإِيمَانَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ﴾	٧	٧٠
سورة النجم		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِٱلآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلأُنثَىٰ﴾	٢٧	٦١
سورة الواقعة		
﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ تَأْثِيماً ﴿٢٥﴾ إِلاَّ قِيلاً سَلَٰماً سَلَٰماً﴾	٢٥–٢٦	٥٨

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة التغابن		
﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾	٣	٨٩
﴿فَـَٔامِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَالنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾	٨	٨٩، ١٧٦
﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾	١٢	١٧٩
سورة الطلاق		
﴿رَّسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِاللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا﴾	١١	٩١
سورة المزمل		
﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾	٢٠	٨٢
سورة القيامة		
﴿كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾	٢٠-٢١	٦٩
﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ٣٣ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ﴾	٣٣-٣٤	٦٨
سورة النبأ		
﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ٦ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ٧﴾	٦-٨	٨٩

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَاجاً﴾		

سورة النازعات

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَٰهَا﴾	٣٠	٦٠
﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾	٣٢-٣٣	٥٩

سورة عبس

﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ إِنَّا صَبَبْنَا الْمَآءَ صَبّاً ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً ﴿٢٧﴾ وَعِنَباً وَقَضْباً ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْباً ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبّاً﴾	٢٤-٣١	١٧٢

سورة المطففين

﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾	١١-١٣	٥٤

سورة الغاشية

﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾	٢٤-٢٥	٨٩

سورة الفجر

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾	١٣	٥١

سورة التين

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ ...﴾	٤-٧	٩٣، ١٢٩

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة العاديات		
﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾	٩	٥٣
سورة النصر		
﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾	٣	٥٦

فهرس الأحاديث والآثار

م	طرف الحديث	الصفحة
١	ألم أزوِّجك ألم أكرمك ألم أسخِّر لك الخيل والإبل وأذَرْك تَرْأس وتَرْبَع فيقول بلى ..	١٥٨
٢	إنَّ العاص بن وائل أخذ عظمًا من البطحاء، فَفَتَّه بيده	١٣١
٣	بأي شيء بُعِثْتَ قال بأربع لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، ولا يطوف ..	١٠٥
٤	تدرون مِمَّ أضحك قلنا الله ورسوله أعلم، قال من مجادلة العبد ربَّه يوم القيامة، ..	١٥٥
٥	لعنة الله على اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد	١٤٠
٦	هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد	٧٢

فهرس الأعلام

م	العلم	الصفحة
١	إبراهيم بن عمر بن حسن الرّبَاط الشافعي، برهان الدين	١٠٣
٢	ابن قدامة الكاتب، أبو الفرج	٧١
٣	أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي البصري	١٢٥
٤	أحمد بن محمد بن الحسن	١٩٩
٥	أحمد بن يوسف بن محمد	٩٩
٦	أسامة بن مُنْقِذ	٧١
٧	إسحاق بن إبراهيم بن سليمان، أبو الحسين	٧١
٨	جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي	٦٨
٩	جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي	١٠٠
١٠	حازم بن محمد بن حسين بن حازم النّحوي الأنصاري القرطاجني	٨١
١١	الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان، أبو علي الفارسي	٤٧
١٢	الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران	٦٨
١٣	الحسن بن محمد بن محمد بن حسن الصفوري البوريني	١١٢
١٤	زيد بن يُثَيْع	١٠٥
١٥	سالم بن عمر بو حاجب البنبلي	١٩
١٦	عامر بن جوين بن عبد رضاء بن قمران الطائي	١٩٩
١٧	عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، الغرناطي، أبو محمد	١١٧
١٨	عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس	٣١
١٩	عبد الرحمن بن أبو بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري	٨١
٢٠	عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة	١٢٧
٢١	عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر	٧٢
٢٢	عبد الله بن أحمد بن محمود النسفيّ	١١٧

م	العلم	الصفحة
٢٣	عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد	٧١
٢٤	عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، البيضاوي	١١١
٢٥	عبد الله بن كثير بن المطلب	١٢٥
٢٦	عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبَة	٧٠
٢٧	عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي	٦٨
٢٨	عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الأنصاري، الزَّمْلَكَانِيّ	٧٢
٢٩	عبيد الله بن محمد بن أحمد بن أبو مسلم الفرضي	٦٨
٣٠	عثمان بن جني النحوي، أبو الفتح	٨٥
٣١	علي بن أحمد بن محمد، الواحدي	١١٧
٣٢	علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان، أبو الحسن	٤٧
٣٣	عمر بن أحمد بن علي بن حسن بن علي بن قاسم المعروف بابن الشيخ	١٩
٣٤	عمر بن علي الدمشقي، سراج الدين أبو حفص	١٣٣
٣٥	عمرو بن عبد الله السَّبيعي الكوفي	١٠٥
٣٦	عمرو بن عثمان بن قَنْبَر الفارسي ثم البصري، أبو بشر	٤٧
٣٧	محمد الأمين بن عبد الله الشافعي	١٣٣
٣٨	محمد الخضر بن الحسين	١٨
٣٩	محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور	١٧
٤٠	محمد العزيز بوعتور	١٦
٤١	محمد الفاضل ابن الإمام محمد الطاهر بن محمد بن عاشور	٣١
٤٢	محمد النخلي القيرواني	١٩
٤٣	محمد بن الطيب بن محمد، الباقلاني	٧٣
٤٤	محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي	٢٤

م	العلم	الصفحة
٤٥	محمد بن بهادر بن عبد الله المصري الشافعي	٨١
٤٦	محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر	٧٤
٤٧	محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد، جلال الدين	٧٢
٤٨	محمد بن علي بن محمد، أبو عبد الله الشوكاني	١١٧
٤٩	محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، فخر الدين الرازي	٧٦
٥٠	محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، أبو السعود	٧٧
٥١	محمد بن يزيد الْمُبرِّد	٦٩
٥٢	محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيَّان، الإمام أثير الدين	٧٧
٥٣	محمد يحيى الصُّولي	٦٨
٥٤	محمود ابن الشيخ محمد بن أحمد بن الخوجة، الفقيه الحنفي	٢٢
٥٥	محمود بن عبد الله بن محمود ، شهاب الدين، أبو الثناء، الآلوسي	٧٨
٥٦	محمود بن عمر بن محمد، أبو القاسم	٧٣
٥٧	محي الدين بن أحمد بن مصطفى درويش	١٣٢
٥٨	مَعْمَر بن الْمُثَنَّى	٦٧
٥٩	نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشَّيْباني الجزري	٧٣
٦٠	نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الليث السمرقندي	١٢١
٦١	وهبة بن مصطفى الزحيلي	١٣٣
٦٢	يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور بن مروان الأسلمي الديلمي الكوفي، أبو زكريا	٤٧
٦٣	يوسف بن أبي بكر بن محمد، أبو يعقوب	٧٤

فهرس الأشعار

م	الشطر الأول	الشطر الثاني	الصفحة
	حرف اللام		
١	إِخَالُكَ مُوعِدِي بِبَنِي جَفِيفٍ.	وَهَالَةَ إِنَّنِي أَنْهَاكَ هَالَا.	١٩٩، ٢٠٠
	حرف الميم		
٢	أَتَنْسَى إِذْ تُوَدِّعُنا سُلَيْمَى.	بِفَرْعِ بَشَامَةٍ سُقيَ البَشَامُ.	٦٩
	حرف الهاء		
٣	أَبَى لَكَ (كَسْبَ الْحَمْدِ) رَأْيٌ مُقَصِّرٌ.	وَنَفْسٌ أَضَاقَ اللهُ بِالْخَيْرِ بَاعَهَا.	١٣٨

فهرس القصائد بأنصاف الأبيات

م	الشطر		الصفحة
١	لَقَدْ زَعَمَتْ هَوَازِنُ قَلَّ مَالِي	.....	١٩١

فهرس المصادر والمراجع

١- **الإتقان في علوم القرآن**. جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢- **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**. محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي. جمع وتقديم: نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، (١٩٩٧م)، (ط١)، دار الغرب الإسلامي.

٣- **إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**. شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي. تحقيق: إحسان عباس. (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، (ط١)، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

٤- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**. أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي. (د.ت)، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٥- **الأزمنة والأمكنة**. أبو على الأصفهاني، أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي. (١٤١٧هـ)، (ط١)، بيروت، دار الكتب العلمية.

٦- **أسرار الالتفات في ضوء الذِّكْر الحكيم**. إبراهيم علي حسن داود. (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، (ط١)، مصر، مطبعة الأمانة.

٧- **أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية**. حسن طبل. (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، (ط١)، القاهرة، دار الفكر العربي.

٨- **إعجاز القرآن**. الباقلاني، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب. تحقيق: السيد أحمد صقر. (١٩٩٧م)، (ط٥)، مصر، دار المعارف.

٩- **إعراب القرآن وبيانه**. محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش. (١٤١٥هـ)، (ط٤)، حمص – سورية، دار الإرشاد للشئون الجامعية.

١٠- **أعلام الفكر وأركان النهضة بالمغرب العربي**. محمد الفاضل ابن عاشور. (٢٠٠٠م)، تونس، مركز النشر الجامعي.

١١- **أعلام تونسيون**. الصادق الزّمرلي. (١٩٨٦م)، (ط١)، بيروت - لبنان، دار الغرب الإسلامي.

١٢- **الأعلام**. الزركلي الدمشقي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس. (٢٠٠٢م)، (ط١٥)، دار العلم للملايين.

١٣- **الإلتفات في القرآن الكريم**. سلام حسين علوان. رسالة دكتوراة. (٢٠١٦م)، (ط١)، عمان، دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع.

١٤- **الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير**. عبد الغفار عبد الرحيم. (د.ت)، القاهرة، دار الأنصار.

١٥- **إنباه الرواة على أنباه النحاة**. جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (١٤٠٦هـ - ١٩٨٢م)، (ط١)، القاهرة، دار الفكر العربي، وبيروت، مؤسسة الكتب الثقافية.

١٦- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي. تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. (١٤١٨هـ)، (ط١)، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

١٧- **الإيضاح في علوم البلاغة**. خطيب دمشق جلال الدين القزويني الشافعي، أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن عمر. تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي. (د.ت)، (ط٣)، بيروت، دار الجيل.

١٨- **بحر العلوم**. السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم. تحقيق: علي محمد معوض؛ وعادل أحمد عبد الموجود؛ وزكريا عبدالمجيد النوتي. (١٤١٣هـ- ١٩٩٣م)، (ط١)، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية.

١٩- **البحر المحيط في التفسير**. أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي. تحقيق: صدقي محمد جميل. (١٤٢٠هـ)، بيروت، دار الفكر.

٢٠- **البداية والنهاية**. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي. تحقيق: علي شيري. (١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨م)، (ط١)، دار إحياء التراث العربي.

٢١- **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله. (د.ت)، بيروت، دار المعرفة.

٢٢- **بديع القرآن**. ابن أبي الإصبع المصري. تحقيق: حمني محمد شرف. (د.ت)، (ط٢)، الفجالة – القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر.

٢٣- **البديع في البديع**. ابن المعتز، أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي. (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، (ط١)، دار الجيل.

٢٤- **البديع في نقد الشعر**. أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين، أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري. بتحقيق: أحمد أحمد بدوي؛ وحامد عبد المجيد. (د.ت)، الجمهورية العربية المتحدة - وزارة الثقافة والإرشاد القومي - الإدارة العامة للثقافة.

٢٥- **البرهان في علوم القرآن**. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م)، (ط١)، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

٢٦- **البرهان في وجوه البيان**. ابن وهب الكاتب، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان. تحقيق: حفني محمد شرف. (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م)، القاهرة، مكتبة الشباب - مطبعة الرسالة.

٢٧- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (د.ت)، لبنان/صيدا، المكتبة العصرية.

٢٨- **بلاغة الالتفات عند أبي السعود في تفسيره إرشاد العقل السليم**. فادي عون ابراهيم الشامي. (٢٠٠٨م)، الأردن، الجامعة الأردنية.

٢٩- **البيان والتبيين**، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي. (١٤٢٣ هـ)، بيروت، دار ومكتبة الهلال.

٣٠- **تاج العروس من جواهر القاموس**. مرتضى، أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي. تحقيق: مجموعة من المحققين. (د.ت)، دار الهداية.

٣١- **تأويل مشكل القرآن**. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري. تحقيق: إبراهيم شمس الدين. (د.ت)، بيروت — لبنان، دار الكتب العلمية.

٣٢- **التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن**. لابن الزملكاني. تحقيق: أحمد مطلوب؛ وخديجة الحديثي. (١٣٨٣هـ — ١٩٦٤م)، (ط١)، بغداد، مطبعة العاني.

٣٣- **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي. (١٩٨٤هـ)، تونس، الدار التونسية للنشر.

٣٤- **تحليل الخطاب البلاغي دراسة في تشكل المفاهيم والوظائف**. عماد عبد اللطيف. (١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م)، (ط١)، عمان- الأردن، دار كنوز المعرفة العلمية.

٣٥- **تراجم المؤلفين التونسيين**. محمد محفوظ. (د.ت)، بيروت – لبنان، دار الغرب الإسلامي.

٣٦- **التفسير البسيط**. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي. تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه. (١٤٣٠هـ)، (ط١)، عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٣٧- **تفسير القرآن العظيم**. الحافظ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي. تحقيق: محمد حسين شمس الدين. (١٤١٩هـ)، (ط١)، بيروت، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون.

٣٨- **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**. وهبة بن مصطفى الزحيلي. (١٤١٨هـ)، (ط٢)، دمشق، دار الفكر المعاصر.

٣٩- **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**. محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي. (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)، (ط١)، بيروت – لبنان، دار طوق النجاة.

٤٠- **تقريب التهذيب**. ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني. تحقيق: محمد عوامة. (١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م)، (ط١)، سوريا، دار الرشيد.

٤١- **تنويرات بيانية في التحرير والتنوير**. طالب محمد إسماعيل. (١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م)، (ط١)، عمّان – الأردن، دار كنوز المعرفة العلمية.

٤٢- **تونس وجامع الزيتونة**. محمد الخضر حسين. تحقيق: علي الرضا التونسي. (١٣٩١هـ - ١٩٧١م)، (د.م).

٤٣- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي. عبد الرحمن بن معلا اللويحق. (١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م)، (ط١)، مؤسسة الرسالة.

٤٤- **التيسير في القراءات السبع**. أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر. تحقيق: اوتو تريزل. (١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م)، (ط٢)، بيروت، دار الكتاب العربي.

٤٥- **جامع البيان في تأويل القرآن**. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي. تحقيق: أحمد محمد شاكر. (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، (ط١)، مؤسسة الرسالة.

٤٦- **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه صحيح البخاري**. أبو عبدالله البخاري الجعفي، محمد بن إسماعيل. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. (١٤٢٢هـ)، (ط١)، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).

٤٧- **الجهود البلاغية لابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير**. محمد دعدوش نعمان سلهب. (٢٠١٤م)، (ط١)، عمّان — الأردن، دار قنديل للنشر والتوزيع.

٤٨- **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**. أحمد بن إبراهيم الهاشمي. تحقيق: يوسف الصميلي. بيروت، المكتبة العصرية.

٤٩- **جوهر الكنز"تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة"**. لنجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي. تحقيق الدكتور: محمد زغلول سلام. (د.ت)، منشأة المعارف بالإسكندرية.

٥٠- **حجة القراءات**. أبو زرعة ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد. تحقيق: سعيد الأفغاني. (د.ت)، دار الرسالة.

٥١- **الخصائص**. أبو الفتح الموصلي، عثمان بن جني. (د.ت)، (ط٤)، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٥٢- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**. السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدي أحمد بن يوسف بن عبد الدائم. تحقيق: أحمد محمد الخراط. (د.ت)، دمشق، دار القلم.

٥٣- **ديوان جرير**. جرير بن عطية الخطفي. (١٩٩١م)، بيروت، دار صادر.

٥٤- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**. الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني .تحقيق: علي عبد الباري عطية. (١٤١٥هـ)، (ط١)، بيروت، دار الكتب العلمية.

٥٥- **سنن الترمذي**. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك. تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر

الشريف. (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م)، (ط٢)، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

٥٦- **سير أعلام النبلاء**. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز. تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط. (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، (ط٣)، مؤسسة الرسالة.

٥٧- **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**. محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف. (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، (ط١) لبنان، دار الكتب العلمية.

٥٨- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. أبو الفلاح، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي. تحقيق: محمود الأرناؤوط؛ عبد القادر الأرناؤوط. (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، (ط١)، دمشق – بيروت، دار ابن كثير.

٥٩- **شرح ديوان الحماسة**. أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني. تحقيق: غريد الشيخ. (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، (ط١)، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية.

٦٠- **الشعر والشعراء**. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. (١٤٢٣هـ)، القاهرة، دار الحديث.

٦١- **شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية**. محمد الحبيب ابن الخوجة. (٢٠٠٨ م)، تونس، الدار العربية للكتاب.

٦٢- **شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور حياته وآثاره**. بالقاسم الغالي. (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، (ط١)، بيروت، دار ابن حزم .

٦٣- **الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور**. محمد العزيز ابن عاشور. *دائرة المعارف التونسية* (١٩٩٠م)، قرطاج - تونس، المؤسسة الوطنية (بيت الحكمة)، (ع١)، ص ٤٠ – ٤٦.

٦٤- **صفحات من تاريخ تونس**. محمد بن الخوجة . تقديم وتحقيق: حمادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحي. (١٩٨٦م)، (ط١)، بيروت – لبنان، دار الغرب الإسلامي.

٦٥- **الصناعتين**. أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري. تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. (١٤١٩هـ)، بيروت، المكتبة العنصرية.

٦٦- **الطاهر ابن عاشور وجهوده البلاغية في ضوء تفسيره التحرير والتنوير "المعاني والبديع"**. رانية جهاد إسماعيل الشوبكي. (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م)، غزة، الجامعة الإسلامية.

٦٧- **الطبقات الكبرى**. ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري البغدادي. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، (ط١)، بيروت، دار الكتب العلمية.

٦٨- **طبقات المفسرين العشرين**. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. تحقيق: علي محمد عمر. (١٣٩٦م)، (ط١)، القاهرة، مكتبة وهبة.

٦٩- **طبقات المفسرين للداوودي**. محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي. (د.ت)، بيروت، دار الكتب العلمية .

٧٠- **طبقات المفسرين**. الأدنه وي، أحمد بن محمد الأدنه وي. تحقيق: سليمان بن صالح الخزي. (١٤١٧هـ- ١٩٩٧م)، (ط١)، السعودية، مكتبة العلوم والحكم.

٧١- **طبقات النحويين واللغويين**. أبو بكر، محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (د.ت)، (ط٢)، دار المعارف.

٧٢- **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**. بهاء الدين السبكي، أبو حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م)، (ط١)، بيروت – لبنان، المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

٧٣- **عيون الأخبار**. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. (١٤١٨هـ)، بيروت، دار الكتب العلمية.

٧٤- **غاية النهاية في طبقات القراء**. شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف. (١٣٥١هـ)، مكتبة ابن تيمية.

٧٥- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**. النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري. تحقيق: زكريا عميرات. (١٤١٦هـ)، (ط١)، بيروت، دار الكتب العلميه.

٧٦- **فتح القدير**. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني. (١٤١٤هـ)، (ط١)، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب.

٧٧- **فن الالتفات في مباحث البلاغيين**. جليل رشيد فالح. *مجلة آداب المستنصرية* (١٩٨٤م)، بغداد، كلية الآداب، جامعة الموصل، (ع٩)، ص ٦٨.

٧٨- **القاموس المحيط**. الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة؛ محمد نعيم العرقسُوسي. (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، (ط٨)، بيروت – لبنان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

٧٩- **الكامل في اللغة والأدب**. أبو العباس، محمد بن يزيد المبرد. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، (ط٣)، القاهرة، دار الفكر العربي.

٨٠- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**. الزمخشري جار الله ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. (١٤٠٧هـ)، (ط٣)، بيروت، دار الكتاب العربي.

٨١- **اللباب في تهذيب الأنساب**. عز الدين ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري. (د.ت)، بيروت، دار صادر.

٨٢- **اللباب في علوم الكتاب**. أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض. (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، (ط١)، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية.

٨٣- **لسان العرب**. ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن على الأنصاري. (١٤١٤هـ)، (ط٣)، بيروت، دار صادر.

٨٤- **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**. ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد. تحقيق: أحمد الحوفي؛ وبدوي طبانة. (د.ت)، الفجالة - القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

٨٥- **مجاز القرآن**. أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري. تحقيق: محمد فواد سزگين. (١٣٨١هـ)، القاهرة، مكتبة الخانجى.

٨٦- **محاسن التأويل**. القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي. تحقيق: محمد باسل عيون السود. (١٤١٨هـ)، (ط١)، بيروت، دار الكتب العلميه.

٨٧- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. (١٤٢٢هـ)، (ط١)، بيروت، دار الكتب العلمية.

٨٨- **محمد الطاهر ابن عاشور علّامه الفقه وأصوله والتفسير وعلومه**. إياد خالد الطباع. (١٣٩٤هـ-١٩٧٣م)، دمشق، دار القلم.

٨٩- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية. تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي. (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م)، (ط٣)، بيروت، دار الكتاب العربي.

٩٠- **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**. النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي. تحقيق: يوسف علي بديوي. (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، (ط١)، بيروت، دار الكلم الطيب.

٩١- **المستدرك على الصحيحين**. الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. (١٤١١هـ — ١٩٩٠م)، (ط١)، بيروت، دار الكتب العلمية.

٩٢- **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د.ت)، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٩٣- **معالم التنزيل في تفسير القرآن**. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. (١٤٢٠هـ)، (ط١)، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٩٤- **معاني القرآن**. الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي. تحقيق: أحمد يوسف النجاتي؛ ومحمد علي النجار؛ وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي. (د.ت)، (ط١)، مصر، دار المصرية للتأليف والترجمة.

٩٥- **المعاني في ضوء أساليب القرآن**. عبد الفتاح لاشين. (١٩٧٧م)، (ط٢)، مصر، دار المعارف.

٩٦- **معجم المصطلحات النحوية والصرفية**. محمد سمير نجيب اللبدي. (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، (ط١)، عمان — الأردن، دار الفرقان.

٩٧- **معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر**. عادل نويهض، تقديم الشَّيْخ حسن خالد. (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م)، (ط٣)، بيروت — لبنان، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر.

٩٨- **معجم المؤلفين**. عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق. (د.ت)، بيروت، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي.

٩٩-**معجم مقاييس اللغة**. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، دار الفكر.

١٠٠- **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي. (١٤١٧هـ- ١٩٩٧م)، (ط١)، دار الكتب العلمية.

١٠١- **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**. فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي. (١٤٢٠هـ)، (ط٣)، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

١٠٢- **مفتاح العلوم**. السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب ضبطه وكتب. (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، (ط٢)، بيروت — لبنان، دار الكتب العلمية.

١٠٣- **المفردات في غريب القرآن**. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. تحقيق: صفوان عدنان الداودي. (١٤١٢هـ)، (ط١)، دمشق - بيروت، دار القلم، الدار الشامية.

١٠٤- **مقاصد الشريعة الإسلامية**. محمد الطاهر بن عاشور. تحقيق: محمد الطاهر الميساوي. (١٤٢٠هـ -١٩٩٩م)، (ط١)، عمّان — الأردن، دار النفائس.

١٠٥- **المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور**. حوّاس برّي. (٢٠٠٢م)، (ط١)، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

١٠٦- **من فوائد الالتفات ومقاصده في القرآن الكريم**. محجوب الحسن محمد، (١٤١١هـ-١٩٩١م)، **مجلة جامعة الملك عبدالعزيز : الآداب والعلوم الإنسانية**، م ٤، ص ١٨١-١٨٨.

١٠٧- **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**. أبو الحسن القرطاجني، حازم بن محمد بن حسن. تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة. (١٩٦٤م)، (ط٣)، بيروت — لبنان، دار الغرب الإسلامي.

١٠٨- **منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير**. نبيل أحمد صقر، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م)، (ط١)، القاهرة، الدار المصرية.

١٠٩- **مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح**. ابن يعقوب المغربي، أبي العباس أحمد بن محمد بن محمد. تحقيق: خليل ابراهيم خليل. (د.ت)، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية.

١١٠- **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**. أبو البركات كمال الدين الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري. تحقيق: إبراهيم السامرائي. (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، (ط٣)، الأردن، مكتبة المنار، الزرقاء.

١١١- **النشر في القراءات العشر**. ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف. تحقيق: علي محمد الضباع. (د.ت)، دار الكتاب العلمية.

١١٢- **نظرية المقاصد عن الإمام محمد الطاهر بن عاشور**. إسماعيل الحسني. (١٩٩٥م)، (ط١)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

١١٣- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر. (د.ت)، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي.

١١٤- **نقد الشعر**. أبو الفرج، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي. (١٣٠٢هـ)، (ط١)، قسطنطينية، مطبعة الجوائب.